

لجنة التأليف والترجمة والنشر

---

# أبو العلاء المعربي

نـسـبـه وـأـخـبـارـه .

شـعـرـه .

معـتـقـدـه .

تأليف

## المرحوم أحمد تيمور باشا

القاهرة

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٠٩ - ١٩٤٠ م

لجنة التأليف والترجمة والنشر

---

# ابن الأحبار المحرر

نسبة وأخباره .

شعره .

معتقداته .

تأليف

## المرحوم أ. حمدي مورا باشا

القاهرة

طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر

١٣٥٩ - ١٩٤٠ م



## بيان

كان الفطن أن المؤلف ، طيب الله ثراه ، قد استوفى هذا الكتاب تأليفاً وإعداداً؛ وأنه قد فرغ من جمع المواد ، وتفصيل الأقسام ، وتبين الفصول ، ومراجعة العبارة . ولكن وردت في أضعاف الكتاب إشارات وعلامات تصرف هذا الفطن .

من ذلك أنه بجعل لقسم من الكتاب عنواناً هو : (شهر وثراه) وما يكون المؤلف أن يهمل جانب النثر من آثار المترجم له ؟ إلا أن فصول هذا القسم خالية كلها من حديث النثر كله . فالحتم أنه عقد العزم على أن يكسر بعض فصول عليه .

ومن ذلك أنه بني فصلاً (المكرر من معانيه) وقد وجد مكتوبًا في ورق قصير من غير جنس الورق الذي كتب فيه سائر الكتاب ، وفي إحدى صفحاته جملة مستقلة يفهم موضوعها أن المؤلف صاغها ليهد بها لهذا الفصل ؛ وهذا المظاهر يشهد بأن هذا الورق مسوّدة أُبقيت للزينة عليها ، والتغيير فيها . فإذا لوحظ إلى هذا أن الفصل قليل ضئيل مع سعة الموضوع وتشعبه ، وأن الآيات المستشهد بها

جُلُّها من غير شعر اللازم ؟ قام اليقين بأنَّ المؤلِّف كان مقدراً لإكمال موضوعه فيما بعد ، وتبليغه في ورق مماثل لورق بقية الفصول ؛ جريأاً على سنته في إخراج هذا الكتاب .

ومن ذلك أنَّه عند الحديث في (معتقدده) ساق حكاية أبيات من قصيدة ، ثم قال : « وساوردها تمامها عند الكلام على منظومه ، فإنها من شعره المفقود » ، ولم ترد هذه الأبيات الموعود بها في ثنايا الكتاب . فإن استخْبِرْ مفاد هذه الجملة ، أعطى أنَّه كان يبغى إنشاء فصل لهذا النوع ، يجعله في جملة فصول القسم الذي عنونه : (شعره ونشره) .

ومن ذلك أنَّه قال في خاتمة الفصول الموجودة من هذا الكتاب : « ... بدليل ما ذكرناه من الكلام وما سنذكره » ، واضح أنَّ هذه كُلُّه من لم يقض مأربه من القول بعد .

يضاف إلى هذه جمِيعاً أنَّ حواشى الأوراق حافلة باللوان من الزيادة والإبدال والإصلاح ، مما يدع الرأى مطمئناً إلى أنَّ النسخة كانت في حياة المؤلِّف لا تزال بين يديه : يراجع فيها تسریع الناظر ، وإجراء الخاطر ، وإعمال القلم .

على أنَّه ربما يكون قد أُجلَ معاودة الكتاب إلى فرصة لم تسنح ، وأولاً له مهلة اتصلت بانتقاله إلى جوار ربه ؟ فإنَّه لما عَرَفَ بكتاب

الفصول والغات ، في فصل (مؤلفاته) ؛ اقتصر على بيان طريقته  
وموضوعه ، فما أشار المؤلف إلى حصوله على مخطوطه الجزء الأول  
من هذا الكتاب النادر ؟ ولهذه الإشارة شأنها ، إذ هي إعلام بمكان  
تحفة كانت مفقودة ، ووجدان ضالة ظلت منشودة . ومن سبيل  
المؤلف في كتابه هذا أنه ما تعرّض مناسبة كتاب غير مشهور ،  
أو أثر عن يز الوجود ؛ إلا هدّى إلى مخبئه ، وعُرِفَ بنسخته ،  
ولم يفته أن يذكر حصوله عليه إن كان . وما دام هذا صنيعه في  
الكتب المارضة ، فضل هذا الصنيع في كتب المترجم له أولى وأحق .  
وإذاً فلابد أن يكون المؤلف قد وادع مخطوطه الكتاب قبل أن  
يحصل على نسخة الفصول والغات ، ثم لم يعاوده حتى لبى نداء  
ربه خالد الذكر ، حميد الآخر

## مشتملات الكتاب

### نبه وأخباره

٣	فصل في نسبه ... ... ... ...
٧	» « بيتها ... ... ... ...
١٠	» « مولده ووفاته وحياته ... ...
١٦	» « نشاته وطلبه العلم ورحلته ...
١٩	» « تلاميذه ... ... ... ...
٢٢	» « مبلغ علمه وذكائه ... ...
٦٠	» « مؤلفاته ... ... ... ...
٧٨	» « ترتوته وزهاده ... ...
٨٤	» « بقية أخباره ... ...

### شعره

٩٩	فصل في المكرر في معانيه ... ...
١٠٣	» « سرقاته ... ... ... ...
١١٧	» « مأخذ الشعراه من شعره ... ...
١٢١	» « مقارنة بعض معانيه بمعانى غيره ... ...

### معتقداته

١٢٥	فصل في اختلافهم فيه ... ... ...
١٣٨	» « معتقده في الله ... ... ...
١٥٦	» « معتقده في النبوات والرسل ... ...

# نبه وأخباره

فصل في نسبه .

» « بيتها .

» « مولده ووفاته وحليمه .

» « نشأته وطلبه العلم ورحلته .

» « تلاميذه .

» « مبلغ عالمه وذكائه .

» « مؤلفاته .

» « شرطه وزهده .

» « بقية أخباره .



## فصل في نسبة

هو أبو العلاء أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد بن سليمان بن أحمد بن سليمان بن داود بن المظفر بن زياد بن ربيعة بن الحرف بن ربيعة بن أنور بن أسمه بن أرقم بن النعمان بن عدي بن غطفان بن عمرو بن بريج بن خزيمة بن تيم الله بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة التنوخي المعرسي . هكذا ساق نسبه ابن خلkan ، وهو أصح ما وجدناه بالمعارضة على ما في كتب الأنساب ؛ فإن فيها ذكره ياقوت في « إرشاد الأريب » إسقاطاً لبعض الأسماء « واضطراباً في ترتيب بعضها ، فاعتمدنا على رواية ابن خلkan بعد تصحيح ما حرف منها ، فإن خزيمة بن تيم الله جاء في النسخة المطبوعة ببلاط : جذيمة بالجيم والذال المعجمة ، وما نص عليه في كتب اللغة والأنساب خزيمة بالخاء والزاي مصغراً . وتم الله بن أسد هكذا في جميع ما وفينا عليه من الكتب ، وجاء به أبو العلاء في سقط الزند تم اللات ، في قوله :

سألته قبل يوم السير مبعثة إليك ديوان تم اللات ما ليتا  
وقد يكون هذا تحريراً في النسخة ، إلا أن من خبر شعر أبي العلاء ، ومذهبيه في تكاليف الصناعة والتجنيس ، رجح أنه ما أتى بقوله ما ليت ، أي ما نقص ، بعد قوله اللات ، إلا إرادة للت الجنيس ، والله أعلم . وقد يذهب البعض إلى أن تم اللات هذا ربما كان غير تم الله المذكور مقدماً ، وهو مردود بما ذكره الشارح في سياقه نسبة عند شرح البيت . على أن فيها ذكره ابن خلkan ما لا يسكن عنه أيضاً ، وما نقلناه عنه هو ما وجدناه في النسخة المطبوعة ببلاط ، والنسخة المطبوعة بباريس . ونقل ابن الوردي في تاريخه عبارة ابن خلkan ، فأسقط

أحمد بن سليمان من سلسلة النسب ، ويوافقه ما في «الكتاب الثاقب» لعبد القادر ابن عبد الرحمن السلوى ، إلا أنه أسقط محمد بن سليمان بدل أحمد . وعلى كل حال فالظاهر أن ما ورد في ابن خلكان فيه زيادة اسمين ربما سبق بهما قلم الناسخ : وجده الأعلى قضاة بن مالك أبو حي من اليمن ينتهي نسبه إلى قحطان ، هذا هو المشهور . وزعم نسّاب مضر أنّه قضاة بن مَعْدَنْ بن عدنان ، وأن مالك زوج أمّه ، والنسب إلى زوج الأم عادة معروفة عند العرب ، ولعلماء الأنساب في ذلك اختلاف كثير ، ولهذا قال محمد بن سلام البصري النسابة لما سُئل : أَنِزَارٌ أَكْثَرُ أُمَّ الْيَمَنِ ؟ فقال : إِنْ تَعْذَدْتَ قَضَايَةً فَنِزَارٌ أَكْثَرُ ، وَإِنْ تَيَّنْتَ فَالْيَمَنَ . وعلى القول الأول قول بعضهم :

**قَضَايَةُ بْنُ مَالِكٍ بْنُ جَهْرٍ النَّسَبُ الْمَعْرُوفُ غَيْرُ الْمُنْكَرِ**

ويعنى القول الثاني قول **الكميّت الأسدى** يخاطب قضاة :

فَإِنَّكَ وَالْتَّحَوْلَ عنْ مَعْدَنِ كَعَالِيَّةٍ تَزَيَّنُ بِالْعُطُولِ  
تُغَايِظُ بِالْتَّعَطُّلِ جَارِيَّهَا وَبِالْأَحَمَاءِ تَبَدَّأُ وَالْخَلِيلِ  
فَمَهْلًا يَا قَضَايَةً لَا تَكُونِ كَيْدُحْرَرَ بَيْنَ يَدَيْ مُجِيلِ  
وَمَا مَنْ تَهْتَفِينَ بِهِ لِنَصْرٍ بِأَقْرَبَ بَحَابَةَ لَكِ مِنْ هَدِيلِ  
وَسُمِّيَ قَضَايَةً لَا قَضَايَهَ عَنْ قَوْمِهِ مَعْ أَمَهُ ، أَيْ انْقِطَاعِهِ عَنْهُمْ ، أَوْ مِنْ  
قَضَاهُ ، أَيْ قَهْرِهِ . وَقِيلَ بِلْ هُوَ اسْمُ مَنْ قُولُ ، وَأَصْلُ الْقَضَايَةِ الْفَهْدُ .

وَالْقَنْوَخِيَّ نَسْبَةٌ إِلَى تَنُوخَ كَصْبُورَ ، وَتَشْدِيدُ النُّونِ خطأً ؛ وَهُمْ قَبْيلَةٌ مِنْ  
الْيَمِّنِ مِنْ قَضَايَةٍ ، سُمِّيُوا بِذَلِكَ لِأَنَّهُمْ اجْتَمَعُوا وَتَحَالَّفُوا ، وَتَنَعَّمُوا بِمَكَانٍ فِي الشَّامِ أَيْ  
أَقَامُوا فِيهِ ، وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَطْلُقُ تَنُوخَ عَلَى الضَّجَاجِيَّةِ وَدَوْسَ الَّذِينَ تَنَعَّمُوا  
بِالْبَحْرَيْنِ ، وَالْخَلْفَافِ فِي ذَلِكَ كَثِيرٌ أَيْضًا . وَنَقْلٌ عَنْ أَبِي عَبْيَدَ أَنَّهُمْ تَنَعَّمُوا

على مالك بن زهير بن عمرو بن فهيم بن تيم الله بن أسد ، وعلى مالك بن فهيم  
عم مالك بن زهير . وذكر الحمداني أن المعرة من بلاد الشام هي صلبة تنوخ ،  
يعني أن بها جمجم المستكثر . وفي « إرشاد الأريب » لياقوت أن تيم الله بن أسد  
هو مجتمع تنوخ من أهل معرة النعمان . وقال أبو يعقوب النحوي في شرح « سقط  
الزند » أن تيم الله هو مجتمع تنوخ في النسب ، ولم ينحصر أهل المعرة . ويوافقه  
ما ذكره ياقوت في معجم البلدان ، إلا أن أبيا يعقوب سماه تيم اللات كما قدمنا .  
وكان شعار تنوخ في حروبهم : (واصِلْ ، وَاصِلْ) ، وإليه أشار أبو العلاء في  
لزومياته بقوله :

فِرَّ مِنْ هَذِهِ الْبَرِيَّةِ فِي الْأَرْضِ فَمَا غَيْرُ شَرِّهَا لَكَ حَاصِلْ  
فَشِعَارِيْ قَاطِعْ وَكَانَ شَعَارًا لِتَنُوخِ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ وَاصِلْ  
والشعار : العلامة في الحرب ، وفي الحديث أن شعار أصحاب رسول الله صلى  
الله عليه وسلم كان في الغزو : (يا مَتَصُورُ أَمِّتُ أَمِّتُ) وهو تَفَاؤل بالنصر بعد  
الإماتة . واستشعر القوم إذا تَدَاعَوْا بالشعار في الحرب .

والمعرة نسبة إلى معرة النعمان ، وهي بلدة بالشام من أعمال حمص بين  
حلب وحماء ، وليس منسوبة للنعمان بن المنذر كما توهه بعضهم ، بل تُنسبت فيما  
ذكرها للنعمان بن بشير الأنباري ، لأن ولدًا له مات وهو محتجاز بها ، فدفنه فيها  
وأقام أيامًا حزينًا ، فنسبت إليه لذلك . قال ياقوت في معجم البلدان : وهذا في  
رأي سبب ضعيف لا تسمى بمثله مدينة ، والذى أظنه أنها سميت بالنعامان الملفب  
بالساطع . قلت : وهو النعمان بن عدى ، أحد أجداد المعرى الذكورين في نسبه .  
والذى ذكره ياقوت مقبول ، فإن تسمية بلدة باسم أحد قطعنها المشهورين فيها  
أقرب من تسميتها بأحد المحتجزين بها . وذهب الشريشى في شرح المقامات إلى

أنها أضيفت لجبل مطل عليها اسمه النعسان ، ولم يذكر ياقوت هذا الجبل .

ومن شعر أبي العلاء فيمن غيره باسم بلده :

يعيرنا لفظ المعرة أنها من العرّ قوم في العلا غرباً  
وهل لحق التثريب سكان يثرب  
من الناس ، لا ، بل في الرجال غباء  
ودُوَّنَجِبْ إن كان ما قيل صادقاً فما فيه إلا معشراً نجباً  
أى إن كان اسم البلد له تأثير على ساكنيه ، على ما زعم هؤلاء الزاعمون ،  
فيلزم منه أن التثريب لاحق لسكان يثرب ، وهى مدينة الرسول عليه الصلة  
والسلام . ويلزم منه أيضاً أن يكون سكان ذى نجحب كلهم نجباء ، مع أن  
فيهم النحيب وغير النحيب كسائر سكان البلاد .

ومن شعره في اسمه :

وأحمد سهانى سكيرى وقلما فلت سوى ما مستحق به الذمة  
وقال أيضاً :

رويدك لو كشفت ما أنا مضمر  
أظهر جسمى شاتياً ومحظياً  
وقلبي أولى بالطهارة من جسمى  
وقال في كتبته :

عرفتك جيداً يا أم دفر  
وما إن زلت ظالمة فزولى  
دعى الله أبا القلاء وذاك مين  
ولكن الصحيح أبو النزول  
يقول ذلك جرياً على عادته في الحمول والتواضع .

وقد خلط بعض العصرىين بين أبي العلاء المعرى ، وأبى العلاء صاعد  
اللغوى ، لاتفاقهما فى السكينة واشتهر كلّيهما باللغة ، فنسب المعرى كتاباً باسمه  
الفصوص فى قصة ساقها ، وإنما هو لصاعد ، وسيأتي تفصيل ذلك فى فصل مؤلفاته .

## فصل في مقارنة بعض معانٍ بمعانٍ غيره

قال أبو العلاء :

جمل يمثلك أن يزور بلادنا  
يختال بين أساور وخلال خل  
حتى يجاوزها بحلة عاطل

وقال الوزير ابن زيدون :

تعيدهك أني زرت نورك واضح  
هبيك اعتررت<sup>(١)</sup> الحى واشيك هاجع  
فكيف اعتصفت الهول خطوك مدمج  
وردفك رجاج وخرصرك مخطف<sup>(٢)</sup>

أقول : مدار المعنى في الشعرتين على التعجب من مخاطرة هذه المشوقة في زيارتها صاحبها . فتناوله كلا الشاعرين ، وتلاعب به ، فأبرزه في الصورة التي شاء له اقتداره إبرازه فيها ؛ وقد أجاد كل منهما فيما حاوله ، وتساويا في الإحسان ، فلا أرى للترجيع مدخلًا بينهما . ويلوح لي أن كليهما اعتمد في توليد معناه على قول أبي الطيب :

قلق المليحة وهي مسلك هتكها  
ومسیرها بالليل وهي ذكاء  
ولا يظهر ما قلته إلا بزيادة التدقّيق ، وإطالة التأمل .

\*\*\*

وقال أبو العلاء :

آلي أميرك لا يسرى الخيال لنا  
إذا جمعنا فقد أسرى وما علما  
وكم تمنت رجال فيك مغضبة<sup>(٣)</sup>  
أن يبصروه فلم يظهر لهم سقما

(١) المتر : الرائز .

(٢) الأغصن : المظلوم .

(٣) المخطف : المنطوى .

«أبوه عبد الله بن سليمان» ولـى القضاء بعد أخيه محمد بن سليمان ، وتوفـى  
لحـمص سنة ٣٧٧ هـ وـمن شـعره فـي رثـاء والـدـه :

إن كان أصبح من أهواه مُطَرَّحًا  
باب حمى فما حزني بمُطَرَّح  
لو بان أيسير ما أخفيه من جزع لمات أكثر أعدائي من الفرح  
ووثني أبو العلاء والده بقصيدة نونية أولها :

نَقْمَتِ الرُّضَا حَتَّىٰ عَلَىٰ ضَاحِكَ الْمُزْنِ فَمَا جَادَنِي إِلَّا عَبُوسٌ مِّنَ الدَّجْنِ  
وَسَنُورٌ دُخْتَارٌ هَا عِنْدَ الْكَلَامِ عَلَىٰ مَنْظُومِهِ .

«أخوه أبو المجد محمد بن عبد الله بن سليمان» كان أحسنَ من أبي العلاء ،  
ومن شعره في الزهد :

لَا نَيْتَ أَجْرًا وَلَا عَمَلًا  
كِرْمُ الْهَمِيمِ مُنْتَهِيَ أَمْلِي  
يَا مُفْضِلاً جَلْتُ فَوَاضْلَهُ  
عَنْ بَعْيَتِي حَتَّى اَنْتَهَى أَجْلِي  
كَمْ قَدْ سَرَّتْ عَلَيَّ مِنْ زَلْلٍ  
إِنْ لَمْ يَكُنْ لِي مَا أَلْوَذْ بِهِ  
يَوْمُ الْحِسَابِ فَإِنْ عَفْوُكَ لِي

«أخوه أبو المهيمن عبد الواحد بن عبد الله بن سليمان» كان شاعرًا كأبيه وأخويه أبي الجند وأبي العلاء، ومن شعره :

قالوا نراه سلالات جفونه  
ضنت عشية يئننا بدموعها  
ومن العجائب أن تفيض مدامع  
نار الغرام تشب في ينبوعها  
وله في الشمعة :

و ذات لون كلوني في تغيره وأدمع كدموعي في تحدرها  
شهرت ليليا وباتت لي مسهرة كأن ناظرها في قلب مسهرها

قلت : ومهما قيل في الشمعة ، فليس لقصيدة القاضي ناصح الدين الأرجاني  
ضرير في هذا الباب ، فقد بذل بها من تقدمه وأعيا من بعده ، إذ يقول :

نَمَّتْ بِأَسْرَارِ لَيلِ كَادْ يُخْفِيهَا  
وأطَّلَعَتْ قَابِهَا لِلنَّاسِ مِنْ فِيهَا  
سَفِيهَةَ لَمْ يَزِلْ طُولَ اللِّسَانِ لَهَا  
فِي الْحَىِ يَبْجِنِي عَلَيْهَا ضَرَبَ هَادِيهَا  
غَرِيقَةَ فِي دَمْوعِ وَهِيَ تَحْرِقُهَا  
تَنَفَّسَتْ نَفَسَ الْمَهْجُورَةَ ادْكَرْتْ  
يُخْشِي عَلَيْهَا الرَّدَى مِهْمَا أَلَمَ بِهَا  
كَانَهَا غُرَّةً قَدْ سَالَ شَارِخَهَا  
أَوْ ضَرَّةَ خَلَقَتْ لِلشَّمْسِ حَاسِدَةَ  
لَهَا غَرَائِبَ تَبَدُّلُ مِنْ مَحَاسِنِهَا  
فَالْوَجْنَةُ الْوَرَدُ إِلَّا فِي تَنَاوِلِهَا  
صَفْرُ غَلَانِهَا تُحْمِرُ عَمَانِهَا  
تَحْيِي الْلَّيَالِيَ نُورًا وَهِيَ تَقْتَلُهَا  
فَكَلِمَا حُجَّبَتْ قَامَتْ تَحَاكِيهَا  
إِذَا تَفَكَّرْتَ يَوْمًا فِي مَعَانِيهَا  
وَالْقَابِةُ الْغَصْرُ إِلَّا فِي تَثْنِيَهَا  
سُودُ ذَوَابِهَا بَيْضُ لِيَالِيهَا  
وَلَوْلَا خَوْفُ الْإِطَّالَةِ لَذَكَرْتَهَا بِتَقْيَاهَا لِعِرَابِهَا .

وأتي بعد أبي العلاء جماعة ذكر منهم ياقوت ثانية أسماء ، وأضرب عن ذكر غيرهم اختصاراً ، وغالبهم تولوا القضاء بالمرة ، وكفرطاب ، ومحماة . ومنهم من تولى ديوان الإنشاء .

وإنما تركت ذكرهم لما قدمت من تحريف أسمائهم في النسخة .

## فصل في مولده ووفاته وحليته

ولد يوم الجمعة عند غروب الشمس، لثلاث بقين من شهر ربيع الأول سنة ٣٦٣. وعمره بالحداد أول سنة ٣٦٧. غشي يمنى عينيه بياض، وذهبت العسعس، حملة. وكان يقول : لا أعرف من الألوان إلا الأحمر، لأنهم ألسوني حين جدرت ثواباً ممتصراً؛ لا أعقل غير ذلك. وقال في إحدى رسائله إلى داعي الدعاة : (وقد علم الله أن سمعي ثقيل)، وبصرى عن الإبصار كليل، قضى على وأنا ابن أربع، لا أفرق بين البازل<sup>(١)</sup> والرثيع<sup>(٢)</sup> فلا وجه إذأً لم زعم أنه ولد أكمه).

وحكي السّنّاني عن أبي محمد الإيادى أنه دخل مع عمّه على أبي العلاء يزوره، فرأاه قاعداً على سجادة ليدٍ وهو شيخ. قال : فدعاني ومسح على رأسي، و كنت صبياً، وكأني أنظر إليه الساعة وإلى عينيه إحداها بارزة والأخرى غائرة جداً، وهو مجدر الوجه، نحيف الجسم.

ونقل الشعالي عن المصيصي الشاعر، قال : رأيت بمعرة النعمان عجباً من العجب، رأيت أعمى شاعراً ظريفاً يلعب بالشطرنج والفرد، ويدخل في كل فن من الجد والمهرز، يكنى أبا العلاء، وسمعته يقول : أنا أحمد الله على العمى، كما يحمدك غيري على البصر. انتهى.

وقال الشيخ عبد العنى النابلسى في رحلته الكبرى المسماة بالحقيقة والمجاز،

(١) البازل من الجمال الذى بلغ تسع سنين، وليس بعده سن تسعة.

(٢) والرثيع كسرد الفصيل ينبع في الربيع وهو أول النتاج، فإذا نبع في آخر النتاج فهو هبع، ومراد أبي العلاء : لا أفرق بين الكبير والصغير.

في رحلة الشام ومصر والخجاز ، عند كلامه على القدس وما فيها : « ودخلنا إلى المدرسة المسماة بالفخرية ، وهي في غاية من الحسن والإتقان ، وكمال البهاء وجمال البنيان ، وفيها جملة من الكتب ، ورأينا فيها ديوان أبي العلاء المعري وشرحه ، ورأينا هناك مكتوبًا له هذين البيتين ، وها قوله :

قالوا العمى منظر قبيح      قلت بفقدى لكم يهون  
والله ما في الأنام شئ      تأسى على فقده العيون

ويناسبه قوله أيضًا :

أبا العلاء يا ابن سليمانا      إن العمى أولاك إحسانا  
لو أبصرت عيناك هذا الورى      ما أبصرت عيناك إنسانا»

انتهى كلام الشيخ . والبيتان الأولان اختلفوا في قاتلهما ، فنسبهما الصدفى في شرح لامية العجم ج ٢ ص ٢٨٤ لأبي العلاء كما ذكر الشيخ ، ولكن روایته (ما في الوجود) بدل (ما في الأنام) .

ونسبهما الشريشى في شرح المقامات لشارب بن برد ، وروایته (ما في البلاد) ، ونسبهما الوطواط (في الغرر والعرص ص ١٦١) لأبي العيناء ، وروایته (والله ما في الأنام حر) والله أعلم .

والبيتان الآخران لم أجدهما في شعر أبي العلاء ، ولعلهما من شعره المفقود .  
فإن قيل : كيف كان يحمد الله على العمى ، وهو القائل في عكسه يتحدى الإبصار :  
فليت الليالي ساحتني بساظر يراك ومن لي بالضحى في الأسائل  
فلو أن عيني متعتها بنظرة إليك الأماني ما حلمت بغاليل  
قلنا : ليس هذا من التناقض في شيء ، ولكل مقام مقال ؟ لأنه أبان في الأول  
عن مذهبة ورأيه في الوجود ، وجرى في الثاني على طريقة الشعراء في مدائحهم ؟

إذ كان المقام يقتضيه . ومن هذا تعلم فرق ما بين شعره في سقط الزند والزوبيات ،  
لاختلاف المقامين وتباين الوجهتين . وإن صحت نسبة البيتين السابقين لأبي العيناء  
كما ذكر الوطواط ، فقد جرى على مثل هذا أيضاً في قوله للمتوكل وقد سأله عن  
أصعب ما مر عليه في قدم بصره ، فقال له : فقدمي لرؤيتك يا أمير المؤمنين .  
ومن قول أبي العلاء في عماء ، وهو مما رواه له الصفدي :

سود العين زار سواد قلبي ليتفقا على فهم الأمور  
يشير بذلك إلى أن العميان عُوّضاً عن البصر الذكاء وسرعة الحفظ ، وقرب  
منه ما ينسب لسيدنا عبد الله بن عباس ، وكان أصيب في بصره في آخر عمره :  
إن يأخذ الله من عيني نورها ففي قلبي وقلبي منها نور  
قلبي ذكي وعلقي غير ذكي دخل وفي في صارم بالقول مشهور  
وغاية الغايات في هذا الباب قول بشار بن برد فيمن عَيَّرَه بالعمى ، وإن كان  
من غير هذا المعنى :

وعيني الأعداء والعيوب فيهم وليس بعار أن يقال ضرير  
إذا أبصر المرء المروءة والشقق فإن عين العينين ليس يضرير  
رأيت العمى أجرأً وذخراً وعصمة وإنى إلى تلك الثلاث فقير  
ومن طرائف أبي العلاء أنه لما فرغ من تصنيف كتابه اللامع العزيزى في  
شرح ذيوان المنجى ، وقرئ عليه ، أخذ الجماعة في وصفه ، فقال : كأنما نظر  
المتنبى إلى بمحظ الغيب حيث يقول :

أنا الذي نظر الأعمى إلى أدبي واسمعت كلماتي من به صمم  
وكان أبو حزم مكى بن ريان المقرى الضرير الملقب بصان الدين يتغصب  
لأبي العلاء ، ويطرد إذا قرئ عليه شعره للجامع بينهما من العمى والأدب ،

فسلك مسلكه في النظم . كذا ذكر ابن خلkan نقلا عن ابن المستوفى .  
وتوفي رحمه الله يوم الجمعة ، ثالثاً ، وقيل ثاني ، وقيل ثالث عشر ربيع  
الأول سنة ٩٤٩ بالمعرة ، في خلافة القائم العباسى ، وله من العمر نحو سنتين  
وثمانين سنة ، وسرى ثلثة أيام ، ولم يكن عندة غير بنى عمه ، فقال لهم في اليوم  
الثالث : أكتبوا عنى ، فتناولواوا الدوى والأقلام ، فأملى عليهم غير الصواب ، لفقال  
لهم القاضى أبو محمد عبد الله التتنوخى : أحسن الله عنكم في الشیخ فإنه ميت .  
هات من غده ، ودفن في ساحة بن دور أهله . قال القسطى : أتيت قبره سنة  
خمسين وستمائة ، فإذا هو في بحثة من دور أهله وعليه باب ، فدخلت فإذا القبر  
لا احتفال به ، ورأيت عليه خبازى يابسة ، والموضع على غایة ما يكون من الشعث  
والإهال . وقال الذهبي وقد رأيت قبره بعد مائة سنة من رؤية القسطى ، فرأيت  
بحواً مما حكى . اتهى ويقال إنه أوصى أن يكتتب عليه

هذا جناه إلى عليٍّ وما جئت على أحدٍ

ونقل الصيدى عن خط علاء الدين الوداعى قال : زرت قبره بالمعرة رحمه الله  
تعالى في ربيع الأول سنة تسع وسبعين وستمائة ، ولم أر عليه شيئاً من ذلك ، وقد  
ذر ولصق بالأرض ، وعملت هذين البيتين :

قد زرت قبر أبي العلاء المرنفى لما أتيت معرة النعاف  
ووصلت من غير الخطايا أنه يهدى إليه رسالة الغفران  
قلت : وقبره معروف إلى اليوم أى سنة ١٣٢٧ بالمعرة ، والأهلها اعتقاد  
كبير فيه ، ويزعمون أن الماء إذا بيت في قارورة عند قبره ، وشربه في الفد صحي  
له لحبسة في لسانه ، أو بلادة في ذهنه ، زال ذلك عنه بركة أبي العلاء .  
ويعل ياقوت في « زرشاد الأرباب » عن ابن الهبارية ، أن السبب في وفاة

أبي العلاء مكتبات جرت بيته وبين أبي نصر بن أبي عمران داعي الدّعاء بمصر ،  
دعت إلى الأمر بإحضاره إلى حلب ، وَوَعْدَهُ على الإسلام خيراً من بيت المال ،  
فلم يعلم أنه يحمل للقتل أو الإسلام سَمَّ نفسه ثُمَّ قال ياقوت : وقد ظفرت بذلك  
الرسائل ، فلم أجد بها ما يدل على ما ذهب إليه ابن الهبارية . انتهى . وأقول :  
هذه الرسائل هي التي نصحتها ياقوت في كتابه المذكور ، وقد ظفرت بها أنا أيضاً ،  
وهي عندي تامة في نسخة مخطوطة ، وليس فيها شيء من ذلك [١] وبعد فائي  
إسلام كان يريده منه داعي الدّعاء ، وهو رئيس الباطنية في الدولة الفاطمية ،  
والداعي إلى مذهبهم ، ونحلة القوم معروفة لا تحتاج لبيان . ومن راجع دعواه  
في خطط المقريزى علم كيف كانوا يأخذون الداخل في مذهبهم بشكيره في دينه  
أولاً، ثم الخروج به رويداً رويداً من الإسلام ، حتى ينتهوا به إلى الإلحاد . فهل  
كان ما عليه هؤلاء القوم هو الإسلام في نظر ابن الهبارية حتى يتبعون  
بهذه الدعوى ؟

وكان رحمة الله قصيراً القامة ، نحيف الجسم ضعيفه ، مشوه الوجه بآثار الجدرى ،  
ومُنِي في آخر عمره بالإقعاد ، ولما مات ختم عند قبره في أسبوع واحد مائة ختمة ،  
وفي رواية مائتان ، واجتمع عليه خلق كثير ، وأنشد أربعة وثمانون شاعراً  
من أئبهم فيه . منها قصيدة طويلة لتأميذه على بن هام ، يقول فيها :

إِنْ كُنْتَ لَمْ تُرِقْ الدَّمَاء زَهَادَةً فَلَقَدْ أَرْقَتِ الْيَوْمَ مِنْ جَفْنِي دَمَا  
سَيِّرَتْ ذَكْرَكَ فِي الْبَلَادِ كَأَنَّهُ مَسَكَ تَضَمَّنَ مِنْهِ سَعْيَاً أَوْ فَناً  
وَتَرَى الْحَجَيْحَ إِذَا أَدَارُوا لِيَلَةً ذَكْرَكَ أَوْجَبَ فَدِيَةً مِنْ أَحْرَمَا  
قال ياقوت : كأنه يقول إن ذكرك طيب والطيب لا يحل للمحروم ، فتجب  
عليه فدية . ورثاه أبو الرضى عبد الرحمن بن نوت المعرى بقصيدة نذكر منها  
ما وقفنا عليه في « الكوكب الثاقب » لعبد القادر السلوى ، وهو :

فيأخذ ثارك والأقدار تعذر  
كأنهم بك في ذا القبر قد قبروا  
أن قد تززع فيها الركن والحجر  
والفهم بعده كعلم فات منصه  
ورثاه الأمير أبو الفتح الحسن بن أبي حصينة المعري بقوله :

والأرض خالية الجوانب بلقمع  
تسرى كما تسرى النجوم الطلعم  
أن الثرى فيه الكواكب تودع  
أن الجبال الراسيات تززع  
ويضيق بطن الأرض عنه الأوسع  
ما استكترت فيه فكيف الأدمع  
أم وأنت بئشه لا تسمع  
من قبل ترك كل شيء تجمع  
تؤمن خديعة من يغر ويخدع  
متطوعا بأبر ما يقطع  
أبداً وقلب المهيمن يخشع  
تاج ولكن بالثناء يُرصع  
كندى يديك ومنزنة لا تقلع  
إن الدموع على سواك تضيع  
لعلم بابا بعد بابك يقرع  
وقضى التأدب والمكارم أجمع

سهر الرماح وببعض الهند تشتر  
والدهر فاقد أهل العلم قاطبة  
فهل رَى بك دار العلم عالمه  
والعلم بعده علم فات منصه  
العلم بعد أبي العلاء ضياع  
أودي وقد ملا البلاد غرائبا  
ما كنت أعلم وهو يودع في الثرى  
جبيل ظننت وقد تززع ركته  
وعجبت أن تسع المرة قبره  
لو فاضت المهجات يوم وفاته  
تقصرم الدنيا وتتأني بعده  
لا تجمع المال العتيد وجد به  
وإن استطعت فسر بسيرة أحمد  
رفض الحياة ومات قبل مماته  
عين تسهد للعفاف وللتقي  
شيم تحمله فهن بلحده  
جادت ثارك أبو العلاء غمامه  
ما ضياع الباقي عليك دموعه  
قصدتك طلاب العلوم ولا أرى  
بات النهى وتعطلت أسبابه

## فصل في نشأته وطلبه العلم ورحلته

نشأ بالمعرة ، وأخذ النحو واللغة عن أبيه ، وعن محمد بن عبد الله بن سعد النحوي بحلب ، وحدث عن أبيه وجده . ثم رحل إلى بغداد ، فسمع من عبد السلام بن الحسين البصري هكذا ذكر السيوطي في بغية الوعاة ، قال : وقد أسننا حديثه في الطبقات الكبرى ، وله ذكر في جمع الجوامع . وذكر غيره أن أبا العلاء لما قدم بغداد ، قصد أبا الحسن على بن عيسى الربعي ليأخذ عنه ، فلما أراد الدخول عليه ، قال الربعي : ليدخل الإصطبل ؟ نخرج مغضباً ولم يعد إليه . والإصطبل بلغة أهل الشام الأعمى . قلت : وهي لفظة معربة ، ذكرها الخفاجي في شفاء الغليل ، قال : ولذا قال ابن عباد : جرّوا الإصطبل في قصته مع المعزني . ولعل الخفاجي أراد المرتضى ، ووهم ذكر ابن عباد . وستأتي القصة . وذكر أبو الفداء أنه دخل بغداد واستفاد من علمائها ، ولم يُتَمِّمْ لأحد أصلاً ، وهو يخالف ما ذكره السيوطي وابن خلkan وغيرها . وكان قد رحل أولاً إلى طرابلس ، وبها خزانٌ كتب موقفة ؟ فأخذ منها ما أخذ من العلم . ثم رحل إلى بغداد سنة ٣٩٨ فأقام بها سنة وسبعة أشهر ، ثم رجع إلى الميرة وأقام بها إلى وفاته . وقول ابن خلkan إنه دخل بغداد سنة ٣٩٨ ، ودخلها ثانية سنة ٣٩٩ . وأقام بها سنة وسبعة أشهر ، لا يستقيم مع ما سيرد عليك في فصل مؤلفاته ، من تصریحه عن نفسه أن رجوعه إلى الميرة ولزومه منزله كان سنة ٤٠٠ . وقبل قدومه إلى الميرة بمنة يسيرة ماتت أميه ، وأصبب في مال له ، فرثاها به تصييدة ميمية طويلة ، وأخرى بائية ، وكتب إلى بغداد يخاطب صديقه وتلميذه .

القاضي أبا القاسم علي بن المحسن التنوخي بقصيدة ضمنها أغراضاً يقول فيها معنده  
عن مفارقة العراق :

أثارني عنكمْ أسران والدة لم ألقها وبراء عاد مسفوتاً<sup>(١)</sup>  
أحياتها الله عصرَ البيتينِ ثم قضى قبل الإياب إلى الذخرين أن موتها  
لولا رجاء لقائهما لما تبعت عَنْسِي دليلاً كَسِيرٌ الفمد إاصليتا<sup>(٢)</sup>  
ولا سُبْحَبْتُ ذِئْبَ الْإِنْسَنَ<sup>(٣)</sup> طاوية ترقب الجدى في الخضراء مسبوتاً<sup>(٤)</sup>  
ولما استقر بالمعرة لزم داره، وشرع في التصنيف والإفادة، وأخذ عنه الناس،  
وقصده الطلبة من الآفاق، وكتبه العلماء والوزراء وأهل الأقدار، وسمى نفسه :  
«رهن الحبسين» يعني حبس نفسه في المنزل، وحبس بصره بالعمى .  
وما فتى وهو بعيد عن بلده ، يحن إليه ويشتاقه ، ويذكره في شعره ،  
وفيه يقول :

سرى برقُ المرة بعد وهن فبات برامة يصف الكَلَالا  
بسجنا رَكْبَا وأفاسا وإبلًا وزاد فكاد أن يشجو الرحالا  
بها كانت جيادهم مهاري وهم مُرْدَا وبرُؤُلُمْ فصالا  
وقال :

فيابرق ليس الكَرْزُخُ دارى وإنما رمانى إليه الدهر منذ ليلى  
فهل فيك من ماء المرة قطرة تغيث بها ظمات ليس بسال  
وقال أيضًا :

(١) المسفوت : القليل البركة .

(٢) الإاصليت : الماضي الصقيل .

(٣) يزيد بذئب الإنس المخصوص .

(٤) المسبوت : من السابئ ، وهو النعاس .

متى سألتْ بغداد عن وأهلها فأنى عن أهل العواصم سأله  
وماء بلادى كان أنجع مشرباً ولو أنّ ماء الكرخ صهباء جريراً  
على أنه لما أزمع الرحلة من بغداد، عن عليه فراقها، وفارق أوِذانه فيها، فقال  
من قصيدة يحبب بها أبا على التهاوندى :

أودعكم يا آكل بغداد والحسنا  
وداع ضَنِّ<sup>(١)</sup> لم يستقلَّ وإنما  
فبئس البديل الشام منكم وأهله  
ألا زودوني شربة ولو أُنْفِي  
وأنَّى لنا من ماء دجلة نَفْبة  
وقال من أخرى :

لقد نصحتني في المقام بأرضكم رجال ولكن رب نصح مضيع  
فلا كان سيري عنكم رأى ملحد يقول بياس من معاد ومرجع  
أى لا كان سيري عنكم ذهاباً بلا ايات . آخر جهه مُخْرَج الدعاء .

(١) يقال ضفي كرضي فهو ضفي وضن : صرض .

## فصل في تلاميذه

قرأ على أبي العلاء ببغداد والمعرفة كثيرون ، واشتهر جماعة منهم بالاختصاص به ، والانتساب إليه في العلم ؛ كأبي المكارم عبد الوارث بن محمد الأبهري ، وأبي تمام غالب بن عيسى الأنصارى ، والخليل بن عبد الجبار القزوينى ، ومحمد بن أحمد ابن أبي الصقر الأنبارى وغيرهم . ومن روى عنه : القاضى أبو القاسم على ابن القاضى الحسن ابن القاضى التنوخى لم يكن من أقرانه ، أخذ عنه وهو ببغداد ، وصحابه ، واتصلت صحبته بالتبيرى بسبب أبي العلاء . ولد القاضى المذكور ، سنة ٣٦٥ بالبصرة ، كافى « وفيات الأعيان » لابن خلkan ، أو في سنة ٤٤٧ ، قبل وفاة أبي العلاء بنحو سنتين . وكان صدوقا في حديثه ، وقبلت شهادته عند الحكام في حدائقه ، ولم يزل على ذلك مقبولا إلى آخر عمره ، وتولى قضاء عدة نواح ، منها المدائن وأعمالها ، وأذر بيجان والبردان وغير ذلك . وكانت فيه دعابة ، يروى أن إسكافا اجتاز بداره وهو نائم ، فصاح شرائط النعال وأزعجه بصرياحه ، فقال لغلامه : أجمع كل نعل في الدار وأعطيها لهذا يصلحها ويستعمل بها ، ثم نام واشتغل الإسكاف بإصلاحها إلى آخر النهار ، فلما كان في اليوم الثانى فعل كذلك ، ولم يدعه ينام ، فقال للغلام : أدخله ، فلما دخل قال له : أمس أصلحت كل نعل عندنا ، واليوم تصريح على بابنا ، هل بلغك أنا ناتصاف بالنعال ونقطعها ؟ يا غلام ، قفاه .

وسمع امرأة تقول لأخرى : كم عمر ابنتك ؟ قالت : رزقتها يوم صفع

القاضى وضرب بالسياط ، فقال لها : أصار صفعى تاربخاً لك ما وجدت  
تاربخاً غيره ؟

ومن قرأ على أبي العلاء ، وهو ببغداد : الأديب المشهور بابن فورجة  
البروجري ، ذكر ذلك السيوطى . وهو صاحب « الفتح على أبي الفتح » ،  
و« التبعين على ابن جنى » ، يرد فيما على ابن جنى في شرح شعر المتنبي / واختلفوا  
في اسمه فقيل محمد بن حمد ، وسماه مجد الدين الشيرازى فى كتابه « البلقة فى آئية  
اللغة » : حمد بن محمد ، ومن شعره :

أيها القاتلى بعينيه رفقاً إنما يستحق ذا منْ فلاماكا  
أكثر الائمون فيك عتابى أنا واللائمون فيك فدا كا  
إن لي غيرةً عليك من اسمى إنه دائمًا يقبل فاما

قال السيوطى : هذا الشعر يؤيد أن اسمه حَمَد . واختلفوا أيضًا في اسم جده  
فورجة ؛ فقال السيوطى : بضم الفاء وسكون الواو وتشديد الراء المهملة وفتح  
الجيم . وقال ابن شاكر فى « فوات الوفيات » : فوزجة بالفاء المضمة ، وبعد الواو  
والزاي جيم مشددة . وفي النسخ خلط فى ميلاده ووفاته .

وأشهر تلاميذ أبي العلاء : أبو زكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى ،  
صاحب المصنفات النفيسة ، كشرح الحماسة والمعلقات وتهذيب ألفاظ ابن السككى  
وغيرها ، ولد سنة ٤٢١ . وتوفى بجادة ببغداد سنة ٥٠٢ . ودخل مصر ف  
عنفوان شبابه ، ثم استوطن بغداد ، ودرّس الأدب بالنظمية ، وكان إماماً  
فى اللغة ثقة فيها ، إلا أنه كافر مستهزئًا بالشراب / وكان سبب رحلته إلى  
أبي العلاء أنه تحصل على نسخة من كتاب « التهذيب » للأزهرى فى اللغة فى  
عدة مجلدات ، وأراد تحقيق ما فيها ، وأخذها عن رجل عالم باللغة ، فدلّوه على

أبي العلاء ، نعمل السكتب في محللة ، وجعلها على كتبه من تبريز إلى المعرفة ، ولم يكن له ما يستاجر به من كوبأ ، فنجد العرق من ظهره إليها ، فأشر فيها . وكانت بعض الوقوف ببغداد ، فإذا رأها من لا يعرف صورة الحال خل أنها غريبة ، وليس بها سوى عرق التبريري .

وقال العلامة عبد المادي نجاح الأبياري من شيوخ هذا العصر المتوفى سنة ١٣٠٥ ، في كتابه « القصر المبني على حواشى المغني » عند كلامه على أبي العلاء المعرى : « وما يدل على فضله ، أن الخطيب أبا زكريا يحيى التبريري قرأ الأدب عليه ورحل إليه من تبريز ، وسيدي عبد القادر الجيلاني ، قرأ الأدب على التبريري هذا ، فالشيخ شيخ الجيلاني . والله أعلم » .  
قلت : والذى قاله الشيخ من قراءة الجيلاني الأدب على التبريري صحيح ، ذكره ابن شاكر فى ترجمة الجيلاني من « فوات الوفيات » .

## فصل في مبلغ علمه وذكائه

اتفق محبوه وبغضوه على أنه كان وافر البضاعة من العلم ، غير الماده في الأدب ، إماماً فيه ، حاذقاً بالنحو والصرف ، نسيج وحده في الذكاء والفهم بقوه الحافظة . أما اللغة وحفظ شواهدها وتقييدها فقد كان فيها أجيوبة من العجائب ، وحسبك أنهم إذا عددوا من رزقوا السعادة في أشياء ، لم يأت بعدهم من نالها — عذوا أبو العلاء من تفرد بسعة الاطلاع على اللغة . وكلامه الذي أورده في رسالة الغفران في بيته التمر بن تولب ، وتغييره القوافي ثم وتنزيتها على سائر حروف المعجم حلاً حرف الطاء — يدل على اطلاع كبير ، وتمكن من اللغة والأدب أقل أن يتتفق نظيره لشخيص . وخلاصة ما ذكره أن خلفاً الأحرى تذاكر يوماً مع أصحابه في قول النّمير :

أَلَمْ يَصُنْعْتِي وَهُمْ هُجُوعٌ خَيَالٌ طَارِقٌ مِنْ أُمٌّ حِضْنٍ  
لَهُمْ مَا تَشَتَّتُهُ عَسَلًا مُصَفِّي إِذَا شَاءَتْ وَحُوَارَى يَسْمُنِ

فقال لهم : لو كان موضع أم حصن ، أم حفص ؟ ما كان يقول في البيت الثاني ؟ فسكتوا ، فقال : حوارى بهمس ، يعني الفالوذج . والحاوارى الدقيق الأبيض وهو اللباب ، فغير أبو العلاء قوافي البيتين على حروف المعجم ، وربما أتى في الحرف بالكافيتين والثلاث ، ولا يتتفق هذا إلا من رزق حظاً وأفراً من الاطلاع ، والمسألة ميسوطة في الرسالة ، فارجع إليها إن شئت لتعلم صحة ما قلناه .

وذكر غير واحد من اللغويين أن أبو العلاء لما دخل بغداد ، اعترضوا

عليه في حلقة ابن الحسن ، لقوله :

ويُوشَّعُ ردًّاً يُوحَى بِعْضَ يَوْمٍ وَأَنْتَ مَتَّ سَفَرْتَ رَدَدْتَ يُوحَى  
وَيُوحَى وَيُوحَى بِضَمْهَا مِنْ أَسْمَاءِ الشَّمْسِ، فَقَالُوا لَهُ: حَفِظْتَ إِنَّمَا هُوَ بِوَحْيِ الْبَلَاءِ  
الْمُوَحَّدةِ، وَاحْتَجُوا عَلَيْهِ بِكِتَابِ الْأَلْفَاظِ لَابْنِ السَّكِّيْتِ، فَقَالَ لَهُمْ: هَذِهِ  
النَّسْخَةُ الَّتِي بِأَيْدِيكُمْ غَيْرُهَا شَيْوَخُكُمْ، وَلَكُنْ أَخْرَجُوا مَا فِي دَارِ الْعِلْمِ مِنَ النَّسْخِ  
الْعَتِيقَةِ، فَأَخْرَجُوهَا فَوْجَدُوهَا مَقْيَدَةً كَمَا قَالَ.

وَاحْتَجَ بِهِ يَا قَوْتَ فِي مَعْجمِ الْبَلَادِ فِي تَصْحِيحِ لِفْظَةِ الْفَسْرَاحِ رَدًّا عَلَى مَنْ  
قَالَ إِنَّهَا بِالصَّادِ الْمُهَمَّلَةِ، فَقَالَ: أَلَا تَرَى إِلَى أَبِي الْعَلَاءِ أَحْمَدَ بْنَ سَلِيْمَانَ الْمَعْرِيِّ،  
كَيْفَ جَمِيعُ بَيْنِ الْفَسْرَاحِ وَالْفَسْرِيحِ إِرَادَةُ لِلتَّعْجِينِ وَالْطَّبَاقِ، فَقَالَ:  
لَقَدْ بَلَغَ الْفَسْرَاحَ وَسَاكِنَيْهِ نَشَاكَ وَزَارَ مِنْ سَكِّنِ الْفَسْرِيْحِ  
وَالنَّشَامِ مَقْصُورًا وَبِتَقْدِيمِ النَّوْنِ عَلَى الثَّاءِ: الْخَبَرُ. وَمَنْ غَرِيبٌ مَا يَرَوْنَهُ عَنْهِ  
فِي ذَلِكَ أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى الشَّرِيفِ أَبِي الْقَاسِمِ الْمُرْتَضَى أَخِي الشَّرِيفِ الرَّضِيِّ،  
وَهُوَ بِبَغْدَادِ، فَعَثَرَ بِرَجُلٍ فَقَالَ: مَنْ هَذَا الْكَلْبُ؟ فَقَالَ أَبُو الْعَلَاءِ: الْكَلْبُ مِنْ  
لَا يَعْرُفُ لِلْكَلْبِ سَبْعِينَ اسْمًا. وَسَمِعَهُ الْمُرْتَضَى فَأَدْنَاهُ وَاخْتَبَرَهُ فَوُجِدَهُ عَالِمًا مُشَبِّعًا  
بِالْفَطْنَةِ وَالذَّكَاءِ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ إِقْبَالًا كَثِيرًا. قَلَتْ: وَمَنْ هَذَا هَرْبُ جَلَالِ الدِّينِ  
عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّبِيلِيِّ بِجَمْعِ أَكْثَرِ مِنْ سَتِينِ اسْمًا لِلْكَلْبِ، وَنَظَمَهَا فِي أَرْجُوزَةٍ  
سَمَّاهَا «الْتَّبَرِيِّ مِنْ مَعْرَّةِ الْمَعْرِيِّ»، رَأَيْتَ أَنْ أُورِدَهَا هُنَا إِنْتَامًا لِلْفَائِدَةِ لِعِزَّةِ  
وَجُودِهَا، ثُمَّ أَعْقَبَهَا بِشَرْحٍ يَمْبَطِّئُ اللِّثَامَ عَنِ الْأَسْمَاءِ الْوَارِدَةِ فِيهَا، وَأَتَبَعَهُ بِمَا  
اسْتَدَرَكَتْهُ عَلَى النَّاظِمِ مِنْ أَسْمَاءِ الْكَلْبِ، وَهِيَ:

اللَّهُ حَمْدُهُ دَائِمُ الْوَلَيٌّ ثُمَّ صَلَاتُهُ عَلَى النَّبِيِّ  
قَدْ نَقَلَ الشَّفَقَاتُ عَنِ أَبِي الْعَلَاءِ لِمَا أَتَى الْمُرْتَضَى وَدَخَلَ  
قَالَ لَهُ شَخْصٌ بِهِ قَدْ عَثَرَ مَنْ ذَلِكَ الْكَلْبُ الَّذِي مَا بَصَرَ

فَقَالَ فِي جَوَابِهِ قَوْلًا جَلِيلًا  
الكلب من لم يدر من أسمائه  
وقد تَسْتَعْفَتُ دَوَّاً وَيْنَ اللَّغَةِ  
فَجَهْتُ مِنْهَا عَدَدًا كَثِيرًا  
وقد نَظَمْتُ ذَاكَ فِي هَذَا الرَّاجِزِ  
فَسَعَى هُدِيَّتَ بِالشَّبَرَى

١ - مِنْ ذَلِكَ الْبَاقِمُ شَمَ الْوَارِعُ  
٢ - وَالْخَيْطَلُ السُّحَامُ شَمَ الْأَسَدُ  
٣ - وَالْأَعْنَقُ الدَّرِبَاسُ وَالْعَمَلَسُ  
٤ - وَالْقَعْمُ الْطَّلْقُ مَعَ الْعَوَادِ  
٥ - وَعُدَّ مِنْ أَسْمَائِهِ الْبَصِيرُ  
٦ - وَالْعَربُ قَدْ سَمُونَهُ قَدْ مَاتَ فِي النَّفِيرِ  
٧ - وَهَكُذا سَمُونَهُ دَاعِيَ الْكَرَمِ  
٨ - وَثَمَسُوكَلِبُ وَهِبَلُوكَلِبُ  
٩ - شَمَ كُسَيْبُ عَلَمَ المَذَكُورُ  
١٠ - وَالْقَلَطِيَّ وَالسَّلَوِيَّ نِسْبَةُ  
١١ - وَالْمُسْتَطِيرُ هَائِجُ الْكَلَابُ  
١٢ - وَالْدَّرَصُ وَالْجِرَوُ مُثْلَثُ الْفَانِ  
١٣ - وَالسَّمْعُ فِيهَا قَالَهُ الصَّوْلَى  
١٤ - وَيَقُولُوا أَزَاهَدُونَ لِلْكَلَابِ  
١٥ - مِثْلُ قَطَامِ عَلَمَكَ مَبْنِيَّ

مُعَيْرًا لِذَلِكَ الْمُجَهَّلِ  
سَبْعِينَ مُؤْمِنًا إِلَى قَلَائِيفِ  
لَعْنَى أَجْمَعُ مِنْ ذَا مَبْلَغَةِ  
وَأَرْجُى فِيهَا بَقِيَّةِ فَيْسِيرَا  
لِيَسْتَفِيدَهَا الَّذِي عَنْهَا عَجَزَ  
يَا صَاحِبِ مَقْرَأَةِ الْمَعْرِى  
وَالْكَلَبُ وَالْأَبْقَعُ شَمَ الْأَزَارِعُ  
وَالْعَرْجُونُ الْعَجَوزُ شَمَ الْأَعْقَدُ  
وَالْقَطْرُبُ الْفَرْزِيُّ شَمَ الْفَلَاحِسُ  
بِالْمَدُّ وَالْقَصْرِ عَلَى السَّوَاءِ  
وَفِيهِ لَغْزٌ قَالَهُ خَبِيرٌ  
دَاعِيَ الْضَّمِيرِ شَمَ هَاهِئِيَ الضَّمِيرِ  
مَشِيدُ الذَّكْرِ مَقْمُمُ النَّعْمِ  
وَمَنْذُرُ وَاهْوَجُ وَهِبْرَعُ  
مِنْهُ عَنِ الْمَهْزَةِ وَالْلَّامِ عَرِى  
كَذَا النَّصِيبُ بِذَلِكَ أَشْبَهُ  
كَذَا رَوَاهُ صَاحِبُ الْعُبَابِ  
لَوْلَدُ الْكَلَابُ أَسَامِ تَلْفَى  
وَهُوَ أَبُو خَالِدِ الْمَسْكُنِيُّ  
وَكَلْمَيَّةُ قِيلَ لَهَا أَيْضًا كَسَابُ  
وَكَسَبَةُ كَذَاكَ نَقْلًا رِيَّا

١ - وَخُذْ لَهَا التَّعْوِيقَ وَالْمَعَاوِيَةَ  
١ - وَوَلَدَ الْكَلْبُ مِنَ الدَّنْبَةِ سَمْ  
١ - وَالْحَقُّوا بِذِيَّتِ النَّبِيِّ فَقَى  
١ - وَوَلَدَ الْكَلْبُ بَرْمَةً مِنْ ذِئْبٍ سَمِّيٍّ  
٢ - شَمْ كَلَبُ الْمَاءِ بِالْهَرَاجِ كِلَّهُ  
٢ - كَذَالِكَ كَلَبُ الْمَاءِ يُدْعى الْقُنْدُسَا  
٢ - وَكَلِيلَةُ الْمَاءِ هِيَ الْقُضَاعَةُ  
٢ - وَعَدَدُوا مِنْ جِنْسِهِ ابْنَ آوَى  
وَدُولَى وَدُولَى وَالْدَّلَانُ  
كَذَالِكَ الْعِلْوَاضُ شَمْ النَّوْفَلُ  
وَالْوَاعُ وَالْعِلْوَشُ شَمْ الْوَاعُونَعُ  
هَذَا الَّذِي مِنْ كُتُبِ جَمِيعِهِ  
وَالْحَمْدُ لِلَّهِ لَهَا خَتَامٌ شَمْ عَلَى تَبِيِّنِهِ السَّلَامُ

تحت الأرجوزة . ولنشرع في شرحها معتمدين على ما دونه في كتب اللغة والأمثال والحيوان ؛ وقد وضعنا أرقاماً للأبيات يرجع إليها في هذا الشرح ، فنقول :

(١) البارِقُ والأَبْقَعُ من الكلاب الذي خالط بياضه نون آخر ، والبقع في الطير والكلاب ينزلة البملق في الدواب ، وقول الأخطلل :

كَوَا النَّسَبَ وَابْنَ الْعَيْرِ وَالْبَارِقَ النَّذِي يَتَيَّمُتْ يَعْسُشُ الْأَيَّلَ بَيْنَ الْمَغَارِبِ  
قَيْلُ أَرَادَ الْكَلَبَ ، وَقَيْلُ غَيْرِ ذَلِكَ ، وَالْعَرَبُ هُوَ قَوْلُ : لَا خَيْرٌ فِي بَقْعِ  
الْكَلَبِ . وَتَرَى التَّبْيَقِيَعَ هُجْنَةً فِيهَا ، وَخَيْرَ الْكَلَبِ عِنْدَهَا مَا كَانَ لَوْنَهِ يَذْهَبُ

إلى لون الأسد ، وخير كلاب الصيد البيض . وفي المخصوص : البقع بياض في صدر الكلب الأسود ، وهي البقعة ، وكلب أبقع والجمع بقعان . والوازع الكلب لأنه يزعُ الذئب عن الغنم أى يكتُفه ، ويقال له ابن وازع أيضاً . والكلب كل سبع عقول ، ثم غالب على هذا النابع ، كما في القاموس . وقال شارحه : قال شيخنا : بل صار حقيقة لغوية فيه لا تتحتمل غيره ، ولذلك قال الجوهري وغيره : هو معروف ، ولم يحتاجوا للتعرية لشهرته . انتهى . وهو من الأسماء التي تسمّت بها العرب ؟ فمن مشهور بهم في ذلك : كليب بن ربيعة من بني تغلب بن وائل ، وهو الذي ضربوا به المثل ، فقالوا : أعز من كليب وائل ، وقامت الحرب بسببه بين بكر وتغلب . وكان اسمه في الأصل وائل ؟ وإنما سموه كليباً ، لأنه بلغ من عمره أنه كان يحمي الكلأ فلا يقرب جاه ، ويغير الصيد فلا يهاج . وكان إذا مس بروضة الحبطة ، أو غدير ارتضاه ، كنْع كليب ثم رمى به هناك ، فحيث بلغ عواؤه كان حمي لا يرعى ، فلما حمى كليبه المرمى الكلأ قيل : أعز من كليب وائل . ثم غالب هذا الاسم عليه حتى ظنوه اسمه ؟ كذا في مجمع الأمثال للميداني . وقوله : كنْع هو بمعنى بضم وكواع أى ضربه فصيه مُعَوِّج الأكوع . ومنهم كليب بن حبسية بن سلول في خزانة . وكلب بن عمرو بن لوي في بحيرة . وبنو كلب ، وبنو أكلب ، وبنو كلبة وبنو كلاب ، قبائل معروفة ، منها في قريش كلاب بن مررة ، وفي هوزن كلاب بن ربيعة بن صمعنة . أما ذو الكلب فهو عمرو بن العجلان أحد شعراء هذيل ، لقب به لأنه كان له كلب لا يفارقه . وعائد الكلب هو عبد الله بن مصعب ، كان والياً للرشيد على المدينة ، لقب بذلك لقوله :

مالى مرضت فلم يعذنى عائد منكم ويمرض كلبك فأعود  
وهو أحد من نطقوا في الشعر بكلمات غالب شهرتها عليهم ، فلقبوا بها ،

وربما جمعت ما وقفت عليه من ذلك في رسالة مستقلة . والسبب الذي دعا العرب إلى تسمية أبنائها بمثل هذه الأسماء المستكريّة كان كلب والمذب والحجر والصخر ، هو ما ذكره الراغب وغيره أن أعرابياً سُئل : *لِمْ سَمَّوْنَا أَبْنَاءَهُمْ بِالْأَسْمَاءِ الْقَبِيحةِ* ، وعبيدهم بالحسنة ؟ فقال : لأن أبناءهم لأعدائهم ، وعبيدهم لأنفسهم . قلت : وقد فصل الإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر المشهور بابن قيم الجوزية مذاهب العرب في تسمية أبنائها تقسيماً لا ترتاح إليه النفس ويتلعج به الفؤاد ، فقال في آخر كتابه « مفتاح دار السعادة ومنشور ولادة العلم والإرادة » عند الكلام على *القول والطيرنة* ، ما نصه : وكانت لهم مذاهب في تسمية أولادهم : ف منهم من سموه بأسماء تقاولوا بأنظهر على أعدائهم ، نحو غالب وغلاب ومثالث وظالم وعاصم ومنازل وبقاتل وبعرك ومسهر ومؤرق ومصبح وطارق : ومنهم من تفأجل بالسلام كتسميتهم بسلام وثبت ونحوه ، ومنهم من تفأجل بالليل الحظوظ والسعادة كسعد وسعيد وأسعد ومسعود وسعدى وغانم ونحو ذلك ، ومنهم من قصد التسمية بأسماء السباع ترهيباً لأعدائهم نحو أسد وليث وذئب وضرغام وشبل ونحوها ، ومنهم من قصد التسمية بما يلاحظ وخشى من الأجسام تقاولًا بالقوة كمجبر وصخر وفهر وجندل ، ومنهم من كان يخرج من منزله وامرأته شخص ، فيسمى ما تلده باسم أول ما يلقاه ، كائناً ما كان ، من سبع أو ثعلب أو ضب أو كلب أو ظلي أو حشيش أو غيره . انتهى المقصود منه .

وأما ما سمعني بـ *كلب* أو *ضييف* إله من البداع والسيوف والأسلحة وغيرها ، فقد تركنا ذكره طليباً للاختصار ، وتفتقر منها على قريبة بحلب تسمى جب *الكلب* ، تعد من العجائب لأشهارها بيئر فيها إذا شرب منها *الكلوب* قبل أن يأتي عليه أربعون يوماً برأ . كذلك ذكر صاحب القاموس في مادة *ج ب ب* .

وقال ياقوت في معجمه : حدثني مالك هذه القرية ابن الإسكاف ، وسألته عما يحكى عن هذا الجب وأن الذى نهشه الكلب الكلب إذا شرب منه برأ ، فقال : هذا صحيح لا شك فيه . قال : وقد جاءنا من ذ شهر ثلثة أنفس مكلو بين يسألون عن القرية ، فدلوا علينا ، فلما حصلوا في صحرائنا اضطرب أحدهم وجعل يقول لمن معه : أر بطنى لثلا يصل إلى أحدهم مني أذى ، وذلك أنه كان قد تجاوز أربعين يوماً منذ نهش ، فربط ، فلما وصل إلى الجب وشرب من مائه مات . وأما الآخرين فلم يكونوا بالغاً أربعين يوماً ، فشربوا من ماء الجب فبرآ . قال : وهذه عادته ، إذا تجاوز المنهوش أربعين يوماً لم تكن فيه حيلة . إلى أن قال : وهذه البئر هي بئر القرية التي يشرب منها أهلها . انتهى . قلت : ولا أدرى ما فعل الله بالقرية والبئر ، وإنما خصصتها بالذكر دون غيرها تنبيهاً لأطباء هذا العصر ، لعلهم يتوقفون للبحث والتنقيب عنها ، حتى إذا وجدوها امتحنوا ماءها ، فربما كان فيه من الأملام أو غيرها ما من خاصيته شفاء هذا المرض ، وعسى أن تأخذهم حمية جاهلية فيضرروا بهذا القول عرض الحائط بغير حجة سوى ما اعتادوه من احتقار أقوال علمائنا المتقدمين ، فلو لا تجربة هذا الماء وظهور نفعه في المصابين قبل أن يتجاوزوا أربعين يوماً ، أى قبل استفحال الداء وتمكنه منهم ، لما استفاض خبره ، ونقله هؤلاء الأعلام ، ولا فائدة لعلهم في التواتر على الكذب في مثله .

والزَّارِع بتقديم الزَّائِي على الوااء الكلب ، وفي القاموس : زارع اسم كلب ،  
ومنه قيل للكلاب : أولاد زارع ، وفيه أيضاً في مادة ذرع بالذال المعجمة :  
أولاد ذارع ، وذراع بالكسر : الكلاب . وفي الخصوص : قال علي بن حمزه :  
ابن زارع وابن ذارع وابن وازع : الكلب ، وربما سمي وازع أيضاً . انتهى .

الْخَيْطَلْ بفتح الخاء المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية ، وفتح الطاء، المهملة وبعدها لام : الكلب . والشَّحَام بضم السين المهملة ، وبعدها حاء مهملة ، مأخذ من الشِّخْمَة وهي السُّوَاد ، والذى يؤخذ من نصوص كتب اللغة أَنَّه عَلِمَ عَلَى كُلِّ كُلْبٍ لَا إِسْمَ جَنْسِ الْكَلَابِ . قال الجوهري : سُحَام اسْمَ كُلَّبٍ ، واستشهد بقول لبيد : فَتَقَدَّدَتْ مِنْهَا كَسَابٌ فَضَرَّجَتْ بَدَمْ وَغُودَرَ فِي الْمَكَرِ سُحَامُهَا ووافقه في ذلك شُرَاحُ المعلقات ، وهو ظاهر من سياق البيت . وفي لسان العرب : سُجِيمْ وسُحَامْ من أسماء الكلاب ، ثم أنشد بيت لبيد . وذهب صاحب القاموس إلى أن صوابه بالمعجمة قال : وَوَهْمَ الجوهري . قلت : لا وَهْم ؟ فقد ذكر بعض شراح المعلقات أنه يروى بهما ، ووافقه الميداني في مجمع الأمثال عند تفسير قولهم (هَنِيئًا لسُحَامِ مَا كُلَّ) فإنه أورد البيت ثم قال : ويروي سُحَامُهَا بالخاء . وهذا المثل يضرب في الشِّهَادَة بِهَلَاكِ الدُّورِ . وقول الزُّوْزَنِي في شرح المعلقات إنه اسم كلبة ، يخالف ما أجمعوا عليه من أنه اسم كلب ذَكَرٍ . والله أعلم . والأسد لم أُعثِر في كتب اللغة على أنه يطلق على الكلب ، وإنما الذي فيها أن الكلب من أسماء الأسد . والعرْبُجُ بضم العين المهملة ، وسكون الراء وضم الياء الملوحدة ، وبعدها جيم : الْكَلَبُ الضَّخْمُ ، كما في القاموس ، أو كُلَّبُ الصَّيْدِ ، كما في اللسان . والعِجُوز بفتح العين المهملة وضم الجيم وبعدها واؤساً كنة وزاي : من أسماء الكلب . والأعْقَد بالعين المهملة ، والقاف ، والدال المهملة : الْكَلَبُ ، لانعقاد ذَئْبَه ، جملوه اسمها له معروفا ، قال جرير :

تَبُولُ عَلَى الْقَنَادِ بِنَاتٍ تَيْمٍ مَعَ الْعَقْدِ النَّوَاجِعِ فِي الدَّيَارِ  
قالوا : ليس شئ أحب إلى الكلب من أن يبول على قفادة أو على شجيرة  
صغريرة غيرها . وروى الجاحظ في كتاب « الحيوان » مساور بن هند يهجو قوماً  
بأن كل الكلاب :

إذا أَسْدِيَّةُ وَلَدَتْ غَلَامًا فَبَشَّرَهَا بِلُؤْمٍ فِي الْفَلَامِ  
يُخْرِسُهَا نِسَاءٌ بْنِ دُبَيْرٍ بِأَخْبَثِ مَا يَكُونُ مِنَ الطَّعَامِ  
تَرَى أَظْفَارَ أَعْقَدَ مُلْقَيَاتٍ بِرَاثِنَاهَا عَلَى وَضَمِّ الشَّهَامِ  
يُخْرِسُهَا أَيْ يَصْنَعُ لَهَا الْخُرْسَةُ وَهِيَ طَعَامُ النَّفَسَاءِ ، وَدُبَيْرٌ بِالْتَّصْغِيرِ أَبُو قَبِيلَةٍ  
مِنْ أَسْدٍ ، وَالْوَضَمِّ بِالْتَّحْرِيكِ مَا وَقَيَتْ بِهِ الْمَلَحِمُ عَنِ الْأَرْضِ مِنْ خَشْبٍ أَوْ حَصِيرٍ ،  
وَالشَّهَامُ نَبْتٌ ضَعِيفٌ لَا يَطْوُلُ كَانُوا يَفْرُشُونَهُ تَحْتَ الْأَسْاقِ وَنَحْوَهَا ، وَرَبِّمَا حَشَّوْا  
بِهِ وَسَدُّوا خَصَاصَ الْبَيْوَتِ .

(٣) الأَعْنَقُ بِالْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالنُّونِ وَالْقَافِ : الْكَلَبُ فِي عَنْقِهِ بِيَاضٍ ، وَيُقَالُ  
لِلْقَلَادَةِ الَّتِي تُوَضَّعُ فِي عَنْقِ الْكَلَبِ : مِنْقَةٌ ، وَقَدْ أَعْنَقَهُ إِذَا قَلَدَهُ إِيَاهَا ، وَيُقَالُ  
لَهَا أَيْضًا الْجِدَدَةُ بِالْكَسْرِ ، وَكَذَلِكَ الْأَزْبَةُ بِالْقَضْمِ : قَلَادَةُ الْكَلَبِ الَّتِي يَقَادُهُ بِهَا .  
وَالدَّرْبَاسُ بِكَسْرِ الدَّالِ الْمَهْمَلَةِ وَسِكُونِ الرَّاءِ وَبَعْدِهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ وَأَلْفٌ وَسِينٌ  
مَهْمَلَةٌ : الْكَلَبُ الْعَقُورُ . وَالْعَمَلَّاسُ بِفَتْحِ الْعَيْنِ الْمَهْمَلَةِ وَالْمَيمِ وَاللَّامِ الْمَشَدَّدةِ ، وَبَعْدِهَا  
سِينٌ مَهْمَلَةٌ : كَلَبُ الصَّيْدِ كَافٍ فِي الْقَامُوسِ ، أَوْ الْكَلَبُ الْخَبِيثُ كَافٍ فِي الْإِسَانِ .  
عَلَى أَنَّهُ أَنْشَدَ بَعْدَ ذَلِكَ قَوْلَ الطَّرِّمَاحِ يَصْفِ كَلَبَ الصَّيْدِ :  
يُوزَّعُ بِالْأَمْرَ اسِّيْ كلَ عَمَلَّاسٌ مِنَ الْمَطْعَمِيَاتِ الصَّيْدِ غَيْرِ الشَّوَاحِنِ  
وَقَالَ فِي تَقْسِيرِ يُوزَّعٍ : يَكْفُ ، وَرَوَاهُ فِي مَادَةِ وَدَعٍ : يُودَعُ ، ثُمَّ قَالَ : أَيْ  
يَقَلِّدُهَا وَدَعَ الْأَسْرَاسِ .

وَالْقَطْرُوبُ بِضمِّ الْقَافِ وَسِكُونِ الطَّاهِ الْمَهْمَلَةِ وَضمِّ الرَّاءِ ، وَبَعْدِهَا بَاءٌ مُوَحَّدَةٌ :  
الصَّغِيرُ مِنَ الْكَلَبِ . وَفِي الْخَصْصِ : الْقَطْرُوبُ (أَيْ بِفَتْحِ الْقَافِ وَالرَّاءِ) صَغِيرٌ  
الْكَلَبُ ، زَعَمُوا أَنَّ الْوَاحِدَ قَطْرُوبٌ ، وَلَيْسَ هُوَ جَمْعٌ بِلَّا إِسْمٌ لِلْجَمْعِ  
إِنْتَهَى مُلْخَصًا .

والفرْنِيَّ بضم الناء وسكون الراء وبعدها نون و耶 متشدة : الكلب  
ضخم ، قال العجاج :

### وطَاحَ فِي الْمَرَكَّةِ الْفُرْنِيَّ

قال ابن بَرْيَىٰ : أراد الضخم من الكلاب ، وقال غيره : إنما أراد الرجل  
بلطيخ الضخم .

والفلَحَّسُ بفتح الناء وسكون اللام وفتح الحاء المهملة وبعدها سين مهملة :  
كلب . قال الماجستي في كتاب الحيوان : ويقال للكلب فلحس ، وهو من  
فات الحرص والإلحاد ، ويقال : فلان أسأل من فلحس . فلحس رجل من  
شيبان كان حريصاً رغبياً ومليحفاً ملتحفاً ، وكل حافيل فهو عندهم فلحس .  
تهى . قلت : وإنما سموا الكلب بذلك لأنه موصوف هندهم بالحرص والإلحاد ،  
تى قالوا في أمثالهم : (اللَّعْنُ مِنْ كَلْبٍ) .

(٤) الثغيم : بفتح الشاء المثلثة وكسر الغين المعجمة وبعدها يم : الكلب  
ضاري . والطلقُ بفتح الطاء المهملة وسكون اللام وبعدها قاف : كلب الصيد .  
والعَوَاء بالمعين المهملة وبالمد ، ويقال أيضاً بالقصر : الكلب يموي كثيراً .  
لوزير أبي الوليد إسماعيل بن حجاج الأعلم الأشبيلي في فتوى عضه كلب في خده :  
وأَنْيَدَ وضَاحَ الْمِبَاسِ بِإِسْمِ إِذَا قَامَ الْأَرْوَاحَ نَاظِرُهُ قَرَّ  
تَعْمَدَ كَلْبٌ عَضَّ وَجْنَتِهِ الَّتِي هِيَ الْوَرْدُ إِيَّنَا وَأَبْقَى بِهَا أَثْرَ  
فَقَلَتْ لِشَمْبِ الْأَفْقِ كَيْفَ صَانُوكُمْ وَقَدْ أَثْرَ الْمَوَاءِ فِي صَفِحةِ الْقَمَرِ  
هكذا رواها صاحب « تفعع الطيب » في موضع من كتابه ، منسوبة لوزير  
المذكور ، وأعادها في موضع آخر منسوبة لأبي القاسم بن هشام ، وروى الحسن  
دل المباسم ، والأسياف بدل الأرواح . والله أعلم .

والصُّحَاث بالضم والصَّمَت والصُّمُوت : السُّكُوت ، يشير بذلك إلى قوله  
لا يضر القمر نبع الكلاب ، وأصل المثل « لا يضر السحاب نبع الكلاب »  
لأنَّ كلاب البدارية تتأذى بالمطر لمبيتها أبداً تحت السماء ، فإذا أبصرت غيم  
نبحته ، لأنها قد عرفت ما تلقى من مثله . وتنبع أيضاً القمر ، لأنَّه إذا طلع من  
المشرق يكون كقطعة غيم ، ومنه قول بعضهم :

يا جابرَ بن عدَى أنت مع زُفْرَى كالكلب ينبع من أعدِّي على القمر  
(٥) البصير بفتح الباء المودحة ، وكسر الصاد المهملة ، وبعد هما ياء ساكنة  
وراء مهملة ، لم يذكره القاموس ، وأنشد صاحب اللسان لتوأمة :  
وأشِرِفُ بالقُوَّرِ الْيَفَاعَ لَعَلَّنِي أَرَى نَارَ لَنِيلِي أَوْ يَوْانِي بَصِيرُهَا  
ثم قال نفلا عن ابن سيده : يعني كلها ، لأن الكلب من أحد العيون  
بصراً . انتهى .

قلت : وقد جاء في أمثالهم « أبصر من كلب » . وقول الناظم : « وفيه لغز  
حاله خبير » يريد بذلك قول الحريري في المقامات الثانية والثلاثين في فتاوى فقيه  
العرب « قال : أَيْسَتَبَاحُ مَا هُنْ فِرَرُ ؟ قال : نعم ، وَيُحَتَّنَبُ مَا هُنْ بَصِيرٌ »  
فالتبادر أن الفرير هو الأعمى وهو لا يستباح ما واه الذي يملكه بدون علمه ،  
رسارد الشيخ به : حرف الوادي ، وكذلك التبادر في البصير أنه ضد الأعمى ،  
وماؤه إذا أخذ للوضوء باطلاعه لا يجتنب ، وإنما أراد به الكلب . هكذا  
فسره الحريري نفسه في المقامات .

(٦) هكذا رواية البيت في نسختين من الأصل ، ولم يظهر لي وجه تسمية  
العرب للكلب في تغيرهم بداعي الضمير أو داعي الضميرة كما يفهم من سياقه ،  
فعلم الكلام محرف ، وقد دخل البيت التسدييل ، وهو من عمل الزيادة ،  
ودخوله في الرجز معتبر المؤذين .

(٧) قوله : داعي الْكَرْم ، إنما سمه بذلك على ما يظهر ، لأن نباح الكلب يبشرهم بقدوم الضيف ، ويرشدء إلى منزلهم ، فيكون سبباً للكرم وداعياً إليه . وقد كان الرجل من العرب إذا ضل وتحير في الليل ، فلم يدر أين البيوت ، أخرج صوته على مثل النباح ، فتسمعه الكلاب وتظنه كلباً ، فتنبع ، فيستدل بنباحها ويهدى إلى المكان . وهو الذي تسميه العرب بالمستنبج . وأنشد أبو على القالي في أعماليه :

وَمُبِدِّلَ الشَّخْنَاءِ بَيْنِ وَبَيْنِهِ دَعْوَتْ وَقَدْ طَالَ السَّرَّى فَدَعَانِي  
يَعْنِي كَلْبًا ، وَيَرِيدُ نَبْحَتْ لَهُ فَنَبَحَ فَاهْتَدَيْتْ بِهِ فَكَانَهُ دَعَانِي بَنْبَاحِهِ .  
وَأَنْشَدَ أَبُو عَلَى أَيْضًا :

فَتَاهَ وَجَوَزَ اللَّيْلَ مُضْطَرِبُ الْكَسْرِ  
رَفَعَتْ لَهُ نَارًا ثَقُوبَاً زَنَادِهَا  
فَلَمَّا أَتَى وَالْبُؤْسُ رَادِفَ رَحْلَهُ  
فَقَلَتْ لَهُ أَهْلٌ بِأَهْلٍ فَلَمْ يَجُزْ  
وَكَادَتْ تَطِيرُ الشَّوْلُ عَرْفَانَ صَوْتَهُ  
إِنْتَهَى . وَقَدْ اتَّفَقَ أَكْثَرُ عُلَمَاءِ الْأَدْبِ ، كَابِنْ رَشِيقٍ وَأَسْرَابِهِ ، عَلَى أَنَّ أَجْهِي  
بَيْتَ قَالِهِ الْعَرَبُ ، قَوْلَ الْأَخْطَلِ فِي بَنِي بَرْ بَوْعَ قَوْمٍ نَجَرِيرُ :

قَوْمٌ إِذَا اسْتَنْبَغَ الأَضِيافُ كُلَّهُمْ قَالُوا لَأُمِّهِمْ بُولِي عَلَى النَّارِ  
وَقَالَ آخَرٌ يُوصَى بِالْكَلْبِ ، وَأَنْشَدَهَا الْجَرْجَانِي فِي كَنْيَاتِهِ ، وَقَالَ ابْنُ  
الْمَرْزَبَانُ : إِنَّهُمَا لِأَعْرَابٍ قَالُوهَا لَا كَبِرُ وَلَدُهُ فِي كَلْبِهِ :

أَوْصِيكَ خَيْرًا بِهِ فَإِنَّهُ لَهُ خَلَاثَةً لَا أَزَالَ اتَّحَدُهَا

يَدُلُّ ضَيْفَهِ عَلَى فِي غَسْقِ الْلَّيْلِ إِذَا النَّارُ نَامَ مُوقَدُهَا

وفي معنى استثنى أيضاً: كلب الرجل يكلب من باب ضرب، واستكاب،  
أنشد ابن سيده على الأول:

وداع دعا بعد ما أفترت عليه البلاد ولم يكلب  
وأنشد صاحب اللسان على الثاني:

ونبع الكلاب لستَ كَلْبِ انتهى.

قلت: وكما يكون الكلب سبباً لإيصال الخير وتشييد الذكر، فقد يكون أيضاً سبباً للشر، كما جفت على أهلها برائقش، وهي كلبة كانت لقوم من العرب، فأغیر عليهم، فهربوا وهي معهم، فاستدل العدو عليهم بنباحتها، فهجموا عليهم وأصطلموا بهم، فقالوا (على أهلها تجني برائقش) هكذا رواه الميداني في مجمع الأمثال، ورواه ابن سيده في المخصص، والجاحظ في كتاب الحيوان: (على أهلها دلت برائقش).

على أن نباح الكلب على الضيف وإن جعلوه من دواعي الكرم، لما سبق ذكره؛ فقد رأيناهم يعدونه في نفسه من خصاله المذمومة، لأنه لا ينبع على القادر إلا كراهة منه في الغريب. ومن أحسن ما يروى في هذا الصدد نادرة أبي عبدالله محمد بن مرزوق عالم المغرب مع أهل تونس لما ورد عليهم وسؤاله قراءة درس في التفسير بحضورة السلطان، فأجابهم إلى ذلك، وعينوا له محل البداء، فطالع فيه، فلما حضروا قرأوا القرآن غير ذلك، وهو قوله تعالى: «فَثُلَّهُ كَثُلَ الْكَلْبُ .. الْآيَة» وأرادوا بذلك إخاف الشیخ والتعریض به، فوجم هنیہ ثم تفجر بینا بیع العلم، إلى أن أجرى ذکر ما في الكلب من الخصال المحمودة، وساقه أحسن مساق، وأنشد عليها الشواهد، وجلب الحکایات، حتى عدّ من ذلك جملة؛ ثم قال في آخرها: فهذا ما حضر من محمود أفعال الكلب وخصاله، غير أن فيه خصلة ذمیمة، وهي إنكاره للضیف. انتهى.

وعندى أن ذمهم له يانكاره الضيف لم يقصدوا به إلا معنى من المعانى الشعرية ،  
إلا فائى فالدة من الكلب أعظم من حراسته أهلة ، ودفعه عنهم !

(٨) **الثَّقِيمُ** بفتح الثاءين المثلثتين وسكون الياء الأولى : كلب الصيد .  
الكاتب ليس اسم الكلب ، بل هو والكليب كأمير : جماعة الكلاب ، وفي  
اللسان : الكليب كالعبد ، جمع عزيز . وأنشد في وصف مفارزة :

كَأَنْ تَجَاؤْبَ أَصْدَائِهَا مُكَاهُ الْكَلْبِ يَدْعُو السَّكَلِيَّبَا  
وَالْكَلْبُ بِكَسْرِ الْلَّامِ الْمُشَدَّدَةِ : معلم كلب الصيد ، ومكاوه : صفيره . وقال  
نارخ القاموس نacula عن شيخه : إنهم اختلفوا في الكليب هل هو جمع أو اسم  
جمع ، وصححوا أنه إذا ذكر كان اسم جمع كالحجيج ، وإذا أنت كان جمعاً  
كالعبد . انتهى .

وهيبلغ كدرهم ؛ أي بكسر الهاء وسكون الباء الموحدة وفتح اللام وبعدها  
يin مهملة : الكلب السلوقي ، واسم كلب بعينه . ومنذر كأنه من إنذار أهلة  
لطارق . وأهوج لم يذكره ، وذكره الجاحظ على أنه الكلب في بيت أنشده  
كتاب الحيوان . والهجرأع بكسر الهاء وسكون الياء وفتح الراء وبعدها عين  
مهملة : الكلب السلوقي الخفيف .

(٩) **كَسِيبٌ مصَفَّرٌ** : اسم كلب ، كافي المخصوص ، وفي اللسان : كسيب من  
سماء الكلاب ، ومراده من الأعلام التي تسمى بها الكلاب ؛ كما وضحه الناظم في  
بيت . وقد خصوه بذلك تفاوتاً لا بالكسب والاكتساب . وسيأتي  
ول الناظم فيما ، وإنما كانوا يسمون كلابهم بذلك تفاوتاً لا بالكسب والاكتساب .

(١٠) **القَلَاطِي** بفتح القاف واللام . وكسر الطاء المهملة وبعدها ياء مشددة ،  
القلاط كغراي ، والقليط بكسر القاف واللام ؛ كل ذلك القصير المجتمع من

الناس والسناني والكلاب ، وقد جاء به أبو الشمقمق في قوله من أبيات :

جُسْتَه زائِرًا فاذْنَى مَكَانِي وَتَلَقَّ بِمَرْحَبٍ وَتَحْيَةٍ  
لَا كَمِيلٌ الأَصْمَمُ حارِثَةُ الْأَوَّلِ مِشْبِيهُ السَّكَلِيَّةُ الْقَلَاطِيَّةُ

وفي حياة الحيوان أن القلطي نوع من الكلاب السلوقية صغير الحجم  
قصير القوائم ، ويقال له : الصيني .

والسلوق بفتح السين المهملة ، نسبة إلى سلوق ، وهي أرض أو قرية بالین ،  
وذهب الجوهري إلى أنها مدينة بالشام ، قال القطامي :

مَعْهُمْ ضَوَارِيرٌ مِنْ سَلُوقٍ كَاثِنَاهَا حُصُنٌ تَجْوَلُ تَجَرَّزُ الْأَرْسَانَا

وفي معجم ياقوت نقلا عن ابن الحاكم ، وهو يذكر الین : سلوق كانت  
مدينة عظيمة بأرض الجديد ، وأسم بقعتها اليوم حصل الزينة . إلى أن قال : وإليها  
كانت العرب تنسب الدروع السلوقية والكلاب السلوقية . انتهى . وقيل : سلوق  
بلاد بطرف أرمينية يعرف بذلك اللان ، وتنسب إليه الكلاب . وقيل : بل هي  
منسوبة إلى سلقية افتتحتين فسكنون دياراً مفتوحة مخففة : بل بالروم ، فلما نسبوا  
إليه قالوا : سلوق ، فغيروا النسب . وجاء في المسان : سلوق أرض بالین ، وفي  
التمذيب : قرية بالین ، وهي بالرومية : سلقية . انتهى . فسلقية على هذا في اللغة  
الرومية هي سلوق التي بالین . والله أعلم . أما علماء الحيوان من الأفرنج اليوم ،  
فيقسمون السلوق إلى عدة أنواع ، لكل صنف نوع ؛ واسمه في لغة الفرنسيس افريه  
(Lévrier) ويذهبون إلى أن أنواعه تفرعت من جنس أصله كان في سهول غربي  
آسيا ، ولم في تعديدها كلام كثير ليس هذا موضعه . ورأيت في المعجم الكبير  
للأروس أن السلوق (Sloughi) الحقيق يوجد في الأقاليم الهندية الغربية ، وهو  
أصهب الملون .

والنَّصِيبِي بفتح النون وكسر الصاد المهملة ، نسبة إلى نَصِيبِين ، ويقال  
النسبة إليها : نَصِيبِيني أيضاً . وهي ثلاثة مواضع : مدينة من بلاد الجزيرة ،  
ية من قرى حلب ، ومدينة بشاطئ الفرات ، تعرف بنصيبيين الروم . ولم  
أحداً نص على اشتهر واحدة منها بنوع من الكلاب ينسب إليها ؟ فاما أن  
ون الناظر آه في كتاب لم نطلع عليه ، أو يكون أراد الصَّيني ، فخرقه الناسخ ،  
لى هذا يكون الشطر ( كذلك الصَّيني بذلك أشْبَه ) أو نحو ذلك . وقد صرَّبَ  
الدميري في « حياة الحيوان » أن القاطن يقال له : الصيني . فقول الناظر ( بذلك  
به ) بعد ذكره القاطن ، يرجح أنه أراد الصيني . على أن كثيراً من أئمة اللغة لم  
كروا الصيني إلا في معرض ورده وتغليط قائله ؟ فقالوا : كلب زَئْنِي : قصير ، ولا  
صيني . ورأيت الجاحظ جمع بينهما في كتاب الحيوان فقال : ( والكلب الزَّئْنِي  
مدينى ) سُرَج على رأسه ساعات كثيرة من الدليل ، فلا يتحرك . وقد كان في  
ضبة كلب زَئْنِي صيني سُرَج على رأسه ، فلا ينبعض فيه نابض ، ويدعوه  
نه ، ويرُومُ إلَيْه ببضعة اللام ، والمسرحة على رأسه ، فلا يميل ولا يتحرك ، حتى  
ون القوم هم الذين يأخذون المصباح من رأسه ؟ فإذا أزيل عن رأسه وئب على  
هم فاكاه . دُرُّبَ فَدَرِّبَ ، وَتَقَفَ فَتَقَفَ ، وَادْبَ فَقَبَيل ) . وعلى كل حال  
صيني ذكره ، وإن خطأ بعضهم قائله ، بخلاف النَّصِيبِي ، فأنما لم نر أحداً  
ذكره فيما نعلم .

(١١) المستطير بالسین والطاء والراء المهملة جمیعها : الكلب الهاجج ؟ أى  
ظالب السفاد . وأراد الناظر بالعياب : كتاب العياب الآخر في اللغة ، وهو كتاب  
مثير يقع في عشرين مجلداً للإمام حسن بن محمد الصَّاغَانِي أو الصَّاغَانِي المتوفى سنة  
٦٥٦ ، بلغ فيه إلى الميم ، ووقف في مادة بَكَم ، ومات قبل إتمامه ؟ ولهذا قيل :

إن الصَّفَافِيُّ الَّذِي حَازَ الْعُلُومَ وَالْحِكْمَ  
كَانَ قُصَّارَى أَمْرِهِ أَنْ اتَّهَى إِلَى بَحْكَمَ

(١٢) الْدَّرْصُ بِتَشْلِيمِ الدَّالِ الْمُهَمَّلَةِ وَسَكُونِ الرَّاءِ وَبَعْدِهَا صَادٌ مُهَمَّلٌ : وَلَدَ  
الْكَلْبِ ، وَكَذَلِكَ الْجِرْوُ مُثْلِثُ الْأُولِ .

(١٣) السَّمْعُ بِكَسْرِ السِّينِ الْمُهَمَّلَةِ وَسَكُونِ الْمِيمِ وَبَعْدِهَا عَيْنٌ مُهَمَّلَةٌ ، أُورَدَهُ  
النَّاظِمُ عَلَى أَنَّهُ مِنْ أَسْمَاءِ وَلَدِ الْكَلْبِ ، نَقْلًا عَنِ الْمُشْوِليِّ . وَالَّذِي فِي مَادَةِ (سِمْعٌ)  
مِنْ كَتَبِ الْلُّغَةِ أَنَّهُ سَمْعٌ مُرْكَبٌ ، وَهُوَ وَلَدُ الذَّئْبِ مِنِ الْضَّبْعِ ، وَمِنْ أَمْشَاهِمْ :  
(أَشَمَّ مِنْ سَمْعٍ) وَمِنْ السَّمْعِ : الْأَزَلِ . قَالَ :

تَرَاهُ حَدِيدَ الطَّرْفِ أَبْلَجَ وَاضْجَحَّا أَغْرَى طَوْيلَ الْبَاعِ أَشَمَّ مِنْ سَمْعٍ  
ثُمَّ رَأَيْتَ فِي مَادَةِ (خَيْرٌ هَفْعٌ) مِنِ الْلِّسَانِ أَنَّهُ وَلَدَ الْكَلْبَةِ مِنَ الذَّئْبِ  
نَقْلًا عَنِ الْأَزْهَرِيِّ ، وَرَأَيْتَ أَيْضًا فِي جُزْءِ النَّاظِمِ سَمَاهَ « التَّهْذِيبُ فِي أَسْمَاءِ الْذَّئْبِ »  
أَنَّ السَّمْعَ بَيْنَ الذَّئْبِ وَالْكَلْبِ . وَأَبُو خَالِدٍ : مِنْ كُنْتِي الْكَلْبِ ، ذَكْرُهُ النَّاظِمُ فِي  
الْمَزْهُرِ ، وَقَالَ أَبُو السَّعَادَاتِ الْمَبَارِكُ بْنُ الْأَثِيرِ فِي الْمَرْصَعِ : أَبُو خَالِدٍ هُوَ الْكَلْبُ ، مِنْ  
قَوْلِكَ : أَخْلَدَ الرَّجُلَ بِصَاحِبِهِ إِذَا لَزَمَهُ ، وَأَخْلَدَ بِالْمَكَانِ إِذَا أَقَامَ بِهِ . وَهُوَ كَفِيَّةُ  
الشُّعْبِ أَيْضًا . اتَّهَى .

قَلْتَ : وَالْكَلْبُ كُنْتِي أُخْرَى مَنْذُكِرُهَا فِيهَا اسْتَدَرَ كَنَاهُ عَلَى النَّاظِمِ بَعْدَ  
تَكَمِيلِ الْمَشْرُحِ .

(١٤) فِي نَسْخَتَيْنِ مِنِ الْأَصْلِ يَأْسَاقُطُ لِفَظَةً (أَيْضًا) مِنْ عِجزِ الْبَيْتِ ،  
فِي صَبَرِ الشَّطَرِ : (وَكَلْبَةٌ قَبِيلٌ لِهَا كَسَابٌ) وَلَا بَدْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِنْ كَسْرِ بَاءِ كَسَابٍ  
لِلْوَزْنِ ، وَهُوَ مَعَ هَذَا لَا يَلْتَمُ مَعَ الصَّدْرِ ؛ لِأَنَّ الْغَرْوَضَ دَخْلَتْهَا إِحْدَى عَلَى الزِّيَادَةِ  
وَهِيَ التَّدْبِيلُ ، وَدُخُولُهُ فِي الْوَرْجَزِ مُغْتَفِرٌ لِلْمُوْلَدِينَ . وَالْبَيْتُ مُصَرْعٌ ، وَلَا بَدْ فِي

التصريح من مطابقة الفرب للعرض في الوزن والقافية ؟ فلهمذا اضطررنا لزيادة (أيضا) مع التنبيه عليها في الشرح ليُلْتَسِمَ الشطران في الوزن . ويمكن أن يقال بإسقاطها :

**وَنَقْلُوا الرَّهَادَ لِلْكَلَابِ وَكَلْبَةً قَيْلَ لِهَا كَسَابِ**

إلا أن احتمال سقوط لفظة من قلم الناشر سهوا أقرب من تغيير (الزاهدون) بالزهاد . أما وصف الكلب بالزهد ، فقد وقفت في مجموع على رسالة في خصال الكلب المحمودة ، تنسب للحسن البصري ، جاء فيها مانصه : (الخصلة الرابعة ، أنه إذا مات لا يكون له ميراث ، وذلك من أخلاق الزاهدين) وكنت في ريب من أمر هذه الرسالة ، حتى رأيتها في نفح الطيب مسوقة في ترجمة أبي عبد الله الرايعي الغوثائي ، وذكر أنه أوردها في باب الععلم من شرحه على الألفية ، منسوبة للحسن البصري . والله أعلم .

ومن أمثلهم في ذلك : (أشكر من كلب) إلا أن الأثريين على وصفه بالخرص والشره ، ومن أمثلهم فيه (آخر من كلب على جيفة) ومن كلب على عرق ، والعرق بالفتح : العظم عليه اللحم ، أو الذي أكل لحمه . وقالوا أيضاً (الأم من كلب على عرق) و (أنهم من كلب) . وكساب كقطام مبنياً على السكسر : الذئب ، كما في القاموس ، وفي الصحيح والخصوص أنه اسم كلبة ، وهو الذي أراده الناظم . وقد مر بك بيت لم يجد الذي ذكر فيه كلبة تسمى بهذا الاسم . ومثله كتبة بالفتح ، قال الأشعى :

**وَلَرَّكَشَةً أُخْرَى فَرَعَّاهَا فَهِيقٌ**

(١٦) العوناق بفتح العين المهملة وسكون الواو وفتح اللام وبعدها قاف : الكلبة الخريضة . والمعاوية الكلبة المستحرومة تعود إلى الكلاب . ومن طريف

ما يحکی أن جارية بن قدامة دخل على أمير المؤمنين معاوية بن أبي سفيان ،  
فقال له : ما كان أهونك على أهلك إذ سموك جارية ! فقال : وما كان  
أهونك على أهلك إذ سموك معاوية ! وهي الأنت من الكلاب . ويروى أن  
شريك بن الأعور دخل عليه وكان دميا ، فقال له معاوية : إنك لدميم والجميل  
خير من الدميم ، وإنك لشريك وما لـه شريك ، وإن أباك لأعور والصحيح  
خير من الأعور ، فكيف سُدْتَ قومك ؟ فقال له : إنك معاوية ، وما معاوية  
إلا كلبة عوت فاستعوْت الكلاب ، وإنك لابن صخر والسهل خير من الصخر ،  
وإنك لابن حرب والستم خير من الحرب ، وإنك لابن أمية ، وما أممية إلا أمة  
صُفت ، فكيف صرت أمير المؤمنين ؟

ويشبه هذا ما رواه أبو هلال في الصناعتين : أن رجلاً من قريش قال  
خالد بن صفوان : ما اسمك ؟ قال خالد بن صفوان بن الأهم ، فقال الرجل :  
إن اسمك لكذب ، ما خلق أحد ، وإن أباك لصفوان ، وهو حجر . وإن جدك  
لأهتم ، وال الصحيح خير من الأهم . قال خالد : من أى قريش أنت ؟ قال :  
من بني عبد الدار . قال : فثلاث يشتم تيمها في عزّها وتحسّها ، وقد هشمتك  
هاشم ، وأهنتك أمية ، وجحث بك جمع ، وحرمتك مخزوم ، وأقصتك قصيّ ،  
فجعلتكم عبد دارها ، وموضع شنارها ؛ تفتح لهم الأبواب إذا دخلوا ، وتغلقها إذا  
خرجوا ا انتهى .

واللَّغْوَةُ بفتح اللام وسكون العين المهملة ، واللَّعْنَةُ بفتحتيين : الكلبة من غير تخصيص بشَرِّهِ وحرص ، وقال الجاحظ في كتاب «الحيوان» : يقال أحراص من لَعْنَة ، وهي الكلبة . وفي اللسان وبجمع الأمثال الميداني : (أجوع من لَعْنَة) .  
 (١٧) العَسْبُورَةُ بضم العين وسكون السين المهملتين وضم الباء الموحدة

وبعدها واو ساكنة وراء وهاه : ولد الكلب من الذئبة ، ويقال له : العسبور أيضاً ، وهذا قال الناظم ( وإن تزل ها لا تلم ) أى إن نطقت به بدون هاء لا يلومك إنسان ، لأنه مسموع .

(١٨) **الخَيْرَهَقَعِي** بفتح الهاء المعجمة وسكون الياء المثناة التحتية ، وفتح الماء والفاء والعين المهملة مقصورة : ولد الكلب من الذئبة . وقد سمع أيضاً بالمد . وفي اللسان : حكى الأزهري عن أبي تراب قال : سمعت أعرابياً من بنى تميم يكتفي **أبا الخَيْرَهَقَعِي** ، وسألته عن تفسير كنيته ، فقال : يقال إذا وقع الذئب على الكلبة جاءت بالسمع ، وإذا وقع الكلب على الذئبة جاءت بالخيهقعي . قال : وليس هذا على أبنية أسمائهم مع اجتماع ثلاثة أحرف من حروف الحلق ، وقال عن هذا الحرف وعما قبله في باب رباعي العين في كتابه : وهذه حروف لا أعرفها ، ولم أجدها أصلاً في كتب الثقات الذين أخذوا عن العرب المغاربة ما أودعوا **كتبهم** ، ولم أذكرها وأنا أحقها ، ولكنني ذكرتها استناداً لها وتعجبنا منها ، ولا أدرى ما صحتها . انتهى .

(١٩) **الدَّيْسَم** بفتح الدال المهملة وسكون الياء المثناة التحتية وفتح السين المهملة وبعدها ميم : ولد الثعلب من الكلبة ، أو ولد الذئب منها . هكذا في القاموس واللسان ، وقال الجوهري في الصحاح : **الدَّيْسَم** : ولد **الدُّب** ، قال : وقلت لأبي القواث : يقال إنه ولد الذئب من الكلبة ، فقال : ما هو إلا ولد **الدُّب** . انتهى . وقال الجاحظ : إنه ولد الذئب من الكلبة ، وهو أغير اللون ، وغبرته متزرجة بسوداد .

(٢٠) **الهَرَاءِكَلَة** بفتح الهاء والراء وكسر الكاف وفتح اللام : **كَلَابُ الْمَاءِ** ، وقول ابن أحمر الباهلي يصف درجة :

رأى من ذُرِّيَّةِ الْغَوَّاصِ هَوْلَاً هَرَاكَةً وَحِيتَانًا وَنُونًا  
فسره الأزهري في التهذيب بكلاب الماء . وقال الصاغاني في العباب : هي  
جمال الماء ، وقيل : هي ضيغام السمك .

(٢١) **القندس كتفنفند** ، أي بضم القاف وسكون النون وضم الدال المهملة  
وبعدها سين مهملة : كلب الماء . أهمله القاموس والسان والشخص ، وذكره شارح  
القاموس والدميري في حياة الحيوان ، ونسباً تفسيره بذلك لابن دحية . كما ذكره  
الناظم ، وعبارة تقييد أنه أهمل ونسى .

(٢٢) **القضاعة** بضم القاف وفتح الصاد المعجمة والعين المهملة : اسم كلبة الماء .

(٢٣) شرع الناظم في هذا البيت وما يبعده يعدد أسماء ابن آوى ، تبعاً لمن  
بعدة نوعاً من الكلاب ، فذكر من أسمائه : **الدَّأْل** بفتح الدال المهملة وسكون المهمزة  
وبعدها لام . **والدَّئْل** بضم فكسر ، وقد نصوا على أن لا نظير لها إلا : **رُثْم** .  
**والدَّوْل** بضمتين . **والدَّلَان** محركة ، ويقال فيه **الدَّلَان** بفتح الدال المعجمة ،  
**والدَّلُّان** بضمها ، إلا أن المهمزة فيها ساكنة . **والعِلْوَض** بكسر العين المهملة  
وفتح اللام المتشدة ، وسكون الواو وبعدها ضاد معجمة . **والنَّوْفَل** بفتح النون  
وسكون الواو وفتح الفاء وبعدها لام . **واللَّغْوَض** بفتح اللام وسكون العين  
المهملة وفتح الواو ؛ وبعدها ضاد معجمة . **والشَّرْحُوب** بضم السين المهملة وسكون  
الراء وضم الخاء المهملة وبعدها الواو ساكنة وباء موحدة . **والوَاعَ** بفتح الواو  
وبعدها عين متشدة . **والعِلْوَش** بكسر العين المهملة وفتح اللام المتشدة  
وبعدها الواو ساكنة وشين معجمة . **والوَاعُونَعَ** بفتح الواوين وإسكان العين  
الأولى المهملة . **والشَّغَبَر** بفتح الشين وإسكان الغين المعجمتين ، وفتح الباء الموحدة  
وبعدها راء ؛ وبالزاي المعجمة تصحيف . **والوَأْوَاءَ** بفتح الواوين وسكون المهمزة  
الأولى . وكلها من أسماء ابن آوى .

هذا ما أردنا بيانه، ويتبين منه ثلاثة أمور :

الأول : أن الناظم — رحمه الله — مع استيفائه لـكثير من أسماء الكلب قد أدرج فيها بعض صفات يشترط فيها الكلب مع غيره ، ولم نجد مع كثرة البحث نصاً على أنها غلبت عليه ، حتى يمكن عدها في أسمائه ؟ كذلك كره الزاهد والمنذر ، وداعي الـكـرـم ، ومشيد الذكر ونحوها . فالظاهر أنه تسامح في إيرادها ، أو يكون وقف فيها على مالم تقف عليه . وفوق كل ذي علم عليم .

الأمر الثاني : إيراده أربعة أعلام مشهورة للكلاب نص منها على ثلاثة ، وهي : كـسـيـب وـكـسـاب وـكـسـبة ، وسكت عن واحد وهو سـحـام ، فدلـسـكـوـتهـ على عـدـهـ منـأـسـمـاءـ الـأـجـنـاسـ ، وـكـلـاـهـ لاـ يـبـرـهـ منـ مـعـرـةـ الـمـعـرـىـ ؟ لأنـ جـعـلـ سـحـامـ اـسـمـ جـنـسـ وـهـمـ ظـاهـرـ . وإـرـادـ ثـلـاثـةـ أـلـاـمـ خـارـجـ عنـ مـقـصـودـ أـبـيـ الـعـلـاءـ . إـلـاـ أنـ يـكـونـ أـورـدـهـاـ زـيـادـةـ مـذـهـةـ فـيـ الـفـائـدـةـ . وـهـوـ أـيـضـاـ تـقـصـيـرـ ، لـاقـتـصـارـهـ عـلـيـهـاـ ، مـعـ وـجـودـ هـاـ هـوـ أـشـهـرـ مـنـهـاـ .

الأمر الثالث : ما فاته من أسمائه ، وهو ما زيرد استدرأ كـهـنـاـ ، وبـعـضـهـ مـرـاثـيـاءـ الشـرـحـ . فـنـهـاـ :

« الدـرـوـاسـ » بـكـسـرـ أـوـلهـ ، وـهـوـ الـغـلـيـظـ الـعـنـقـ مـنـ الـكـلـابـ ، وـقـيـلـ الـكـبـيرـ الرـأـسـ مـنـهـاـ ، وـقـولـ بـعـضـهـمـ :

بـتـنـاـ وـبـاتـ سـقـيـطـ الطـلـ يـضـرـ بـنـاـ      عـنـدـ النـدـولـ قـرـانـاـ نـبـعـ دـرـوـاسـ  
قيـلـ : إـنـ أـولـيـ ماـيـفـسـرـهـ : الـكـلـابـ ، قـولـهـ : قـرـانـاـ نـبـعـ دـرـوـاسـ ؟ لأنـ النـبـعـ  
إـنـاـ هـوـ فـيـ الـأـصـلـ الـكـلـابـ . وـقـولـهـ : النـدـولـ ، يـجـوزـ أـنـهـ عـنـيـ بهـ اـسـرـأـةـ أـوـ رـجـلـ مـنـ  
الـنـدـلـ وـهـوـ شـبـيهـ الـوـسـخـ ، أـوـ عـنـيـ بـهـ كـلـبـةـ . وـرـواـهـ الجـاحـظـ فـيـ كـتـابـ الـحـيـوانـ : ( بـيـنـ

البيوت). ودرؤاس أيضاً: اسم كلب بعینه. والأظہر أن البيت قيل فيه، أو في كلب آخر يسمى بهذا الاسم.

و «الأَرْشَم» قالوا سُمِيَ بذلك لتشممه الطعام وحرصه. وقد يطلق أيضاً على الذئب.

و «الغَرَّاسُ» بالكسر، وهو الشديد العنق الغليظ من الكلاب، ومثله «الغَرَّنَسُ». و «القَلَاطُ» بالضم و «القِيلِيطُ» بالكسر كلاماً تفسير المجتمع، ويقال فيهما : القَلَطِي، وقد ذكره الناظم.

«الْأَغْضَفُ» ومثله «الْفَاضِفُ» وهو المسترخي الأذن من الكلاب، وفرق بينهما ابن الأعرابي فقال : الفاضف من الكلاب التكسّر أعلى أذنه إلى مقدمة، والأغضف إلى خلفه، كذا في اللسان. ثم قال : والنُّضْفُ : كلاب الصيد من ذلك صفة غالبة. اتهى : وقول لميد :

حَتَّى إِذَا يَئِسَ الرَّمَاءُ وَأَرْسَلُوا غُضْفًا دَوَاجِنَ قَافِلًا أَعْصَامَهَا أَرَادَ كَلَابَ الصَّيْدِ.

و «ابن بُقَيْع» بالتصغير ذكره ابن الأثير في المرصع. و «ابن وَازِع وابن زَارِغ وابن ذَارِع وابن ذِرَاع وابن بَوْزَع وابن عَوْلَق» وهذه خمسة عشر اسمًا للكلب فاتت الناظم.

وفاته من أسماء أولاده :

«الْفُرْوُ» بالكسر، وهو الناري من أولاد الكلاب. ومثله «الْفَرِيَّ» و «الْأَسْبُورُ» وهو ولد الكلب من الضبع، كما في حياة الحيوان وجمع الأمثال، عند تفسير قوله : «أَسْمَعَ مِنْ سَمْعٍ». وفاته من أسماء ابن آوى :

«البرغل» بالضم ، وهو ولد الوبر من ابن آوى .

وفاته من أسماء الكلبة :

«اللامة» بفتحتين ، وهي الكلبة الحريصة ، أو الكلبة مطلقاً من غير تخصيص .

«والبوزع» وهي الكلبة الحريصة ، كما في المرصع .

وفاته من كني الكلب : «أبو حاتم» . و «أبو ذراع» . و «أبو قيس»

و «أبو عاصر» لأنه يصر بيت صاحبه بحراسة إيهاد . و «أبو عطاف» بكسر العين والتحفيف ، لأنه يعطف على أصحابه ، قال العجاج يصف صائداً :

ذَا كَلْبٍ كَالْأَشْهُمِ الْعِطَافِ يُشَلِّي عِطَافاً وَأَبَا عِطَافِ

كذا في المرصع . ورواية الديوان : ذَا كَلْبٍ نَوَاهِزِ خِفَافِ .

ومن أمثلهم في هذا المعنى : «آلفٌ مِنْ كَلْبٍ» .

ولهم في وفاة الكلب وعطافه على أصحابه أقوالٌ نوادرٌ كثيرة ، وربما فضلوه في ذلك على الصاحب والخليل . وقد جمع منها ابن المزبان جملة صالحة في كتاب سماه : «فضل الكلاب على كثير من لبس الشياط» وفقت عليه ونقلت منه في هذه الرسالة . ومن وقف على ما كتبه الجاحظ عن الكلب في كتاب «الحيوان» رأى عجباً عجباً . ويدركون من نوادر وفاته أن الريبع بن بدر كان له كلب قد رباء ، فلما مات جعل الكلب يتضرب على قبره حتى مات . ولما مات عاصر بن غيرة لزمت كلابه قبره حتى ماتت عنه ، وتفرق عنه الأهل والأقارب . وقال الشعبي : خير خصلة في الكلب أنه لا ينافق في محنته . وأنشد القالي في أماليه لأعرابي :

كَلَابُ النَّاسِ إِنْ فَكَرْتَ فِيهِمْ أَنْسَرُ عَلَيْكَ مِنْ كَلْبِ الْكَلَابِ

لَانَّ الْكَلَابَ لَا يَؤْذِي صَدِيقًا وَأَنَّ صَدِيقَ هَذَا فِي عَذَابِ

ويأتي حين يأتي في ثياب وقد خُزنت على رجل مُصاب  
فأنجزى الله أثواباً عليه وأخرى الله ما تحت الثياب  
ومن أغرب ما رأيته ما حكاه الجرجاني في كتاباته عن محمد بن حرب قال :  
رأيت العَتَّابِيَّ ينادم كلباً، يشرب كأساً ويولغه كأساً . فكلامته في ذلك ، فقال :  
إنه يكفي عن أذاء وأذى سواه ، ويشكر قليلي ، ويحفظ مبيقي ومقيلي ، فهو من  
بين الحيوان خليلي . قال ابن حرب : فتخمين أن أكون كلباً لأحوز هذا  
النعت . انتهى . وقد ذكر ابن المزبان هذه القصة لإبراهيم الموصلى مع الفضل  
ابن يحيى ببعض اختلاف . والله أعلم .

ولم يذكر الناظم من كفى الآتش شيئاً وهى :  
«أم عولق» و «أم ذراع» و «أم الهرش» بتشديد الميم المفتوحة كما في  
الموضع : وفي القاموس والسان : الهرش اسم كلبة . و «أم يغفور» قال في  
الموضع : هي الكلبة ، وأنشد :

يا أم يغفور سقاكِ العهد لازال من صيادي عليكِ لبده  
يقول : لا زال عليكِ مما تصيدين لبده من وبَر الأرانب وغيرها . واليغفور في  
الأصل : ولد الطبيعة ولد البقرة الوحشية . و «أم العاويات» والعاويات أولادها ..  
وكذلك لم يذكر من كفى ابن آوى شيئاً ، وهى :  
«أبوذؤيب» . و «أبوكعب» . و «أبومعاوية» . و «أبوأيوب» .  
و «أبووائل» . والله أعلم .

أما أعلام الكلاب المشهورة التي عنوا بذكرها فكثيرة منها :  
سُجَيْمٌ ، وَطِحَّالٌ ، وَكُدرٌ ، وَوَاسِقٌ ، وَزُهَانٌ ، وَمَيْلَعٌ ، وَبَرَاقِشٌ ،  
وَجَدْلَاء : كلبات . والمختلس ، وغلاب ، والقنيص ، وسلهب ، وسنجان ،

**الْمِغْنَاطِيسُ**، هي خمسة أكلب كانت لرجل اسمه ذريح، وآخر اسمه أبو ذجانته،  
صيادان بها الظباء.

**وَقَرْحَانُ** : اسم كلب له قصة تحميلت عن ذكرها ، حبس سيدنا عثمان بن عفان بسبتها ضئلي بن الحارث البرجمي .

وضمران بالضم وبالفتح ، وروى بهما في قول النابغة :  
فهاب ضمران منه حين يوزعه طعن المعاير عند المجنح النجد  
هو اسم كلب .

وضمار بتشديد الباء الموحدة ، الذي قال فيه الحارث بن الخزرج الخفاجي :  
سفرت فقتلت لها هيج قتبرقت فدكوت حين تبرقت ضيارا  
وتركت لتروعن بجماتها فكانوا كسي إخمار خمارا  
نخرجت أغتر في قوادم جبقي ولا الحياة أطربتها إخضارا  
هو اسم كلب له ، قوله : هيج زجر الكلب . وكان لسليمان بن داود الهاشمي .  
كلب صيد يسمى زنبورا ، وفيه يقول أبو نواس :

إذا الشياطين رأت زنبورا قد قلد الحلة والسيورا  
من أرجوزة يقول في آخرها :

فأمنع الله به الأميرا ربى ولا زال به مسرورا

ومن طرائفهم ما رواه الزاغب في محاضراته لأبي مجتن ، في رجل اسمه :  
ونتاب باسم كلبه : عمرو ، ورواهما في موضع آخر من هذا الكتاب لابن أبي عتيق ،  
باختلاف في الرواية .

ولوز هيما له الله من التوفيق أسبابا  
لسمى نفسه عمراما وسمى الكلب وثابا

قلت : تذكرت بهذهين البيتين قصة ظلم ، لما جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم يريد الإسلام ، وكان معه كلب له اسمه : راشد ، فسألته عليه السلام عن اسمه وأسم كلبه ، فلما أخبره بذلك عليه السلام ، وقال : اسمك راشد وأسم كلبك ظالم . وفي رواية أنه كان يسمى غاوي بن ظالم ، فسمي عليه السلام راشد بن عبد الله . وسبب إسلامه أنه كان سادنا لضم اسمه سواع ، فرأى يوماً ثعلباً يهدو عليه ببوله ، فكسره ، وقال فيه :

أَرْبَبٌ يَبُولُ الشَّعْلَمْبَانُ بِرَأْسِهِ لَقَدْ ذَلَّ مِنْ بَالَتْ عَلَيْهِ الشَّعَالِبُ  
وَفِي الْقَصَّةِ، وَرَوْاْيَةُ هَذَا الْبَيْتِ وَنَسْبَتِهِ لِرَاشِدٍ، اخْتِلَافٌ لِيُسَّ هَذَا مَحْلٌ ذَكْرٌ.  
وَكَانَ لِيَمُونَةً أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَلْبًا اسْمُهُ مِسْهَارٌ. قَالَ صَاحِبُ  
الْقَامِوسَ: إِنَّهُ مَرْضٌ، فَقَالَتْ: وَارْجُحْتَ مِسْهَارًا. وَفِي كِتَابِ «فَضْلِ الْكَلَابِ» عَلَى  
كَثِيرٍ مِّنْ لِبْسِ الشِّيَابِ: «لَابْنِ الْمَرْزُبَانَ، أَنَّهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا كَانَتْ إِذَا حِجَّتْ  
خَرَجَتْ بِهِ مَعَهَا؟ فَلَيْسَ يَطْعَمُ أَحَدٌ فِي الْقُرْبَى مِنْ رَحْلَاهَا مَعَ مِسْهَارًا، فَإِذَا رَجَعَتْ  
جَعَلَتْهُ فِي إِبْنِ جَدِّيَّةَ، وَأَنْفَقَتْ عَلَيْهِ، فَلَمَّا مَاتَ قِيلَ لَهَا: مَاتَ مِسْهَارٌ، فَبَيَّنَتْ  
وَقَالَتْ: فَجُحْتَ مِسْهَارًا.

وفي هذا القدر كفاية فقد كدنا نخرج عن المقصود . ولو لا خوف الإطالة  
لقد كررت أيضاً ما ورد من أمثلهم في الكلب ، وهي كثيرة تربو على خمسة وخمسين  
مثلاً ، على أن ماذكرناه وإن طال فلا يخلو منفائدة ، وفي التتغافل بحاجة للأنفس .

## رَجْعٌ إِلَى أَبِي الْعَلَاءَ

وعلى الجملة فلا يختلف اثنان في علمه وفضله ، ووقوفه على دقائق العربية ،  
لَا عبرة بمن لحننه في قوله :

يذيبُ الرُّبُّ مِنْ كُلِّ عَصْبٍ فَلولا النِّمَدُ يَسِّكُهُ لَسَالًا  
بأن مذهب الجمهور وجوب حذف الخبر بعد لولا ، بناء على أنه لا يكون إلا  
كونا مطلقا ، فإذا أريد الكون المقيد جمل مبتدأ ، فكان عليه أن يقول : فلولا  
مساك الفمد إيه لسال ، أى موجود ؟ وأما التركيب الذي أتى به فتركيب فاسد .  
نتهى .

قلت : وهذا المخطئ هو المخطئ لاحتمال تقدير يمسكه جملة معترضة بين المبتدأ  
والجواب والخبر ممحظ ، أو تقدير يمسكه بدل اشتغال على أن الأصل أن يمسكه ،  
نعم حذفت أن وارتفع الفعل ، وعلى هذا فالخبر ممحظ أيضاً . والمعنى : فلولا الفمد  
إمساكه موجود لسال . اتهى ملخصا من الغنى وحواشيه . هذا إذا خرجنا  
البيت على مذهب الجمهور الذي تمسك به المعترض ، والمذهب الحق ما ذهب إليه  
ابن مالك والرماني وابن الشجري والشلوبيين ؛ لأن الخبر إذا كان كونا مقيداً ،  
ولم يدل عليه دليل ، وجب ذكره ، وإن دل عليه دليل جاز إثباته وحذفه . وعليه  
فلا وجه للتخطئة في البيت ، فضلا عن ورود مثله في الكلام الموثق به .

وأما ذكاؤه وسرعة فهمه وقوه حافظته ؟ فقد رروا فيها غرائب ، منها ما ينبو  
العقل عن تصديقه . وقد صرخ صاحب معاهد التنصيص بأن للناس في ذلك  
حكايات مشهورة يضعونها ، وغالبها مستحيل . إلا أن اشتراط استيفاء أخباره  
بقضي بذلك ما وقفت عليه منها ، وعلى القاري تمييز الفت من السمين .

فن ذلك : ما نقل عن تلميذه التبريزى أنه كان قاعداً بين يديه في مسجد بمصرة

النعمان يقرأ عليه شيئاً من تصانيفه . قال : وَكُنْتُ أَقْتَلُ عَدَةَ سِنِينَ لَمْ أَرَ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ بَلْدِي ، فَدَخَلَ الْمَسْجِدَ بَعْضَ جِيرَانِنَا لِلصَّلَاةِ ، فَرَأَيْتَهُ وَعْرَفْتَهُ ، فَتَغَيَّرَتْ مِنَ الْفَرَحِ ، قَالَ لِأَبْوَ الْعَلَاءِ : أَىْ شَيْءٍ أَصَابَكَ ؟ فَأَخْبَرَهُ خَبْرَ الرَّجُلِ ، فَقَالَ : قَمْ وَكَلْهُ ، فَقَلَتْ : حَتَّىْ أَتَمَ النَّسْقَ ، فَقَالَ : قَمْ وَأَنَا أَنْتَظِرُكَ ، فَقَمَتْ وَكَلَتْهُ بِلِسانِ الْأَذْرَبِيَّةِ شَيْئًا كَثِيرًا ، إِلَىْ أَنْ سَأَلَتْ عَنْ كُلِّ مَا بَدَأْتِ لِي . فَلَمَارَجَعَتْ إِلَيْهِ . قَالَ لِي : أَىْ لِسَانٌ هَذَا ؟ قَلَتْ : هَذَا لِسَانُ أَهْلِ أَذْرَبِيَّجَانَ . فَقَالَ لِي : مَا عَرَفْتُ اللِّسَانَ وَلَا فَهْمَتْهُ ، غَيْرَ أَنِّي حَفِظْتُ مَا قَلْتَهُ ، ثُمَّ أَعَادَ عَلَىِ الْلَّفْظِ بَعْيِنَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْهُ أَوْ يُزِيدَ ، فَتَعَجَّبَتْ غَايَةُ الْعَجَبِ ، كَيْفَ يَحْفَظُ مَالَمْ يَفْهُمْهُ .

وَمِنْهُ : مَارَوَاهُ بَعْضُ طَلَبَتِهِ ، أَنْ جَارَاهُ أَعْجَمِيَا غَابَ عَنِ الْمُرَأَةِ ، وَحَضَرَ رَجُلٌ مِنْ بَلْدِهِ يَبْحَثُ عَنْهُ ، فَوُجِدَهُ غَائِبًا ، وَلَمْ يَعْلَمْهُ الْمَقَامُ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ أَبْوَ الْعَلَاءَ أَنْ يَذْكُرَ حَاجَتَهُ ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْفَارَسِيَّةِ وَأَبْوَ الْعَلَاءَ مُصْنِعٌ إِلَيْهِ ، وَلَمْ يَعْلَمْ يَعْرِفُهَا ، إِلَىْ أَنْ فَرَغَ مِنْ كَلَامِهِ ، وَمَضَىِ الرَّجُلُ . وَقَدْمَ جَارِهِ الْغَائِبِ ، فَجَعَلَ أَبْوَ الْعَلَاءَ يَرْدَدُ عَلَيْهِ مَا سَمِعَهُ بِلِفْظِهِ ، وَالرَّجُلُ يَبْكِي وَيَسْتَغْيِثُ وَيَلْطِمُ ، إِلَىْ أَنْ فَرَغَ مِنَ الْمَحْدِيثِ . وَسُئِلَ عَنْ حَالِهِ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ أَخْبِرَهُوْتُ أَبِيهِ وَإِخْوَتَهُ وَجَمَاعَةَ مِنْ أَهْلِهِ .  
وَهَذِهِ الْحَكَائِيَّةُ حَكَاهَا الْوَطَاطُ فِي «الْفَرَرُ وَالْعَرَرُ» عَلَىِ غَيْرِ هَذَا الْوَجْهِ . قَالَ :  
وَمِنْ عَجِيبِ حَكَائِيَّاتِهِ أَنْ أَبَازَ كَرِيَا التَّبَرِيزِيَّ كَانَ يَقْرَأُ عَلَيْهِ فَأَنَاهُ رَسُولُ مِنْ عَنْدِ أَهْلِهِ مِنْ تَبَرِيزَ ، بِجَاءَ حَلْقَةَ أَبِي الْعَلَاءَ ، فَسَأَلَ عَنْهُ ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ غَائِبٌ فِي بَعْضِ شَانِهِ . قَالَ لَهُ أَبْوَ الْعَلَاءَ : مَا تَرِيدُ بِهِ ؟ قَالَ : جَسْتُ بِرِسَالَةٍ مِنْ عَنْدِ أَهْلِهِ .  
فَقَالَ : هَاتِهَا حَتَّىْ نُوَصِّلَهَا إِلَيْهِ ، قَالَ : إِنَّهَا مَشَافِهَةٌ ، قَالَ : فَأَسْمِعْنَاها حَتَّىْ نُوَصِّلَهَا إِلَيْهِ . قَالَ : إِنَّهَا بِالْفَارَسِيَّةِ . قَالَ : لَا عَلَيْكَ أَنْ تَسْمَعَنَاها وَلَا تَسْقُطَنَاها حِرْفًا . فَأَوْرَدَهَا عَلَيْهِ . فَلَمَجَأَهُ التَّبَرِيزِيُّ أَخْيَرَ أَنْ رَجَلًا جَاءَ مِنْ تَبَرِيزَ وَمَعَهُ رِسَالَةٌ

من أهله ، فقال : ليتكم أخذتموها منه ، فإني مشوق لما يرد من أخبارهم . فقيل له : إنه قال إنها مشافهة . فتأسف لذلك . فلما رأى أبو العلاء تأسفه ، قال له : لا عليك ، إني سمعتها منه وحفظتها . ثم أملأها عليه . بجعل التبريزى يضحك مرة ، ويبكي مرة ، فسأله أبو العلاء عن سببه وبكانه ، فقال : تارة تخبرنى بما يسرنى فأنا أضحك ، وتارة تخبرنى بما يحزننى فأنا بكى . انتهى .

ومنه : ماحكاه الأمير أسامة بن منقذ ، قال : كان بأنطاكية خزانة كتب ، وكان الخازن بها رجالاً علويّاً ، بغلستُ يوماً عنده ، فقال لي : قد خبأت لك خبيثة لم تسمع بثلها في تاريخ . فقلت : وما هي ؟ قال : صبي دون البلوغ ضرير يتردد إلى ، وقد حفظته في أيام قلائل عدة كتب ، وذلك لأنّي أقرأ عليه السكراسة والكراسين مرتين واحدة ، فلا يستعيد إلا ما شئت فيه ، ثم يتلو على ما سمعه . قلت : فلعله يكون محفوظاً له ! فقال : سبحان الله ! كل كتاب في الدنيا يكون محفوظاً له ، ولئن كان كذلك فهو أعظم . ثم حضر المشار إليه ، وهو صبي دميم الخلقة ، بمقدار الوجه ، على عينيه بياض من أثر الجدرى ، كأنّه ينظر بإحدى عينيه ، وهو يتودد ذكاء ؛ يقوده رجل طويل أحسبه من أقاربه . فقال له الخازن : يا ولدى ، هذا السيد رجل كبير القدر ، وقد وصفتك له ، وهو يحب أن تحفظ اليوم ما يختاره لك ، فقال : سمعاً وطاعة ، فليختبر ما يريد . قال ابن منقذ : فاخترت شيئاً وقرأته عليه وهو يموج ويستزيد ، فإذا مر بشيء يحتاج إلى تقريره في خاطره ، يقول : أعد هذا ، فأعيده عليه ، حتى أتيت على ما يزيد على كراسة ، ثم قلت : يُقنع هذا من قبل نفسي . قال : أجل حرسك الله . وتَلَاعِلْ ما أميليته عليه ، وأنا أعارضه بالكتاب حرفاً حرفاً ، فكاد هقل يذهب لما رأيت منه ، وعلمت أن ليس في العالم من يقدر على ذلك إلا إن شاء الله . وسألت عنه ،

قتيل لي : هذا أبو العلاء المعري من بيت العلم والقضاء والثروة والغنى . هكذا يروون هذه الحكاية ، والأمير أسامة المذكور ولد سنة ٤٨٨ أى بعد موت أبي العلاء بنحو تسع وثلاثين سنة ، فالقصة على هذا موضوعة ، اللهم إلا أن تكون وقعت مع بعض أمراء بنى منقذ ، من تقدم أسامة .

ومنه : أن سَمَانَا حاسب عميلاً له برداع كان يثبت فيها ما يأخذ منه عند حاجته ، وكان أبو العلاء في غرفة يسمع محاسبتهم ، وبعد مدة ضاعت الرفاع من السنان ، فأخذ يتعلّم ويتأذى . وبلغ أبو العلاء خبره ، فقال له : ما عليك من يأس ، أنا أملّ عليك حسابه . وجعل يعلمه عليه على ما في الرفاع رقة رقة ، والستان يكتبها . ثم وجد بعد ذلك رفاعه ، فإذا هي مطابقة لما أملأه أبو العلاء . وهذا إن صَحَّ ، فهو غاية الغايات في قوة الحفظ والتعليم .

وقريب مما تقدم ، ماروى عن أبي تمام حين سمع البحترى ينشد قصيده التي أولها :

أَفَاقْ صَبَّ مِنْ هُوَى فَأَفْيَقَا      أَمْ خَانَ عَهْدًا أَمْ أَطَاعَ شَفِيقَا  
فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ إِنْشَادِهَا ، أَقْبَلَ عَلَيْهِ بِاللَّوْمِ وَالتَّقْرِيبِ ، وَاتَّهَمَهُ بِسُرْقَةِ شِعْرِهِ ،  
ثُمَّ انْدَفعَ يُعِيدُ القصيدة حَتَّى أَتَى عَلَى أَكْثَرِهَا . والقصة مشهورة . ومثله ما روى  
عن المتنبي في حفظه كتاباً غرض عليه للبيع في نحو ثلاثين ورقة . ورَوَى مثلاً  
الإمام أبو العباس البرد ، وهو الثقة فيها ينقل ، فذكر في كلامه أن ابن عباس  
رضي الله عنه لما أنسده عمر بن أبي ربيعة كتته : (أَمِنْ أَكِلَ نُفُمْ أَنْتَ غَادِ  
فَتَبَسِّكِرُ ) ، ولم يكن سمعها من قبل ، استظهراها من صرة واحدة ، وأعادها  
على الحضور . إلا أن ما نقل عن المعري يفوق كل ذلك .

وذكروا أن أبو نصر أحمد بن يوسف المنازى ، دخل على أبي العلاء وهو

بالشام في جماعة من أهل الأدب ، وأنشده قوله :

وقاتنا لفتحة الرّمضاء واد سقاها مُضاعفُ الغيث العَسِيم  
نزلنا دوحة<sup>(١)</sup> فخنا علينا حنو المرضعات<sup>(٢)</sup> على الفطيم  
والرشفنا<sup>(٣)</sup> على ظما زلالا الذ من المدامه للنديم  
يصد الشمس أني واجهتنا في حجتها ويأذن للنسيم  
تروع حصاه حالية العذاري فتلمس جانب المقد النظيم  
قال أبو العلاء : أنت أشعر من بالشام . ثم رحل أبو العلاء إلى بغداد ،  
دخل عليه المنازى في جماعة من أدبائها ، وهو لا يعرف منهم أحداً ، فأنشدوه  
من أشعارهم ، وأنشده المنازى :

إذا أصفي له ركب تلاحي	لقد عرض الخام لنا بسجع
وبرح بالشجى فقيل : ناحا	شجى قلب الخل ققيل : غنى
إذا اندملت أجدة لها جراحا	وكم للسوق في أحشاء صب
وسكران القواد وإن تصاحا	ضعيف الصبر عنك وإن تقاوي
كذاك بنوا الهوى سكرى سحابة	كذاك بنوا الهوى سكرى سحابة

قال أبو العلاء : ومن بالعراق ! عطفاً على قوله : من بالشام . والراجح عندي أن هذه القصة موضوعة ، لا انفراتها ، فإن فيما تقدم في قصته مع السمّان وغيره ما هو أغرب وأنجذب ، ولا يبعد على من يستظره أوراق الحساب رقعة رقعة ، أن يسمع صوت المنازى ونغمته في إنشاده ، فيعيه ويعرفه بعد ذلك من كلامه ؟ بل لأن الثابت في الأبيات الميمية أنها لحمدونة<sup>(٤)</sup> بنت زياد الأندلسية ، أثبتت

(١) ويروى : تظل غصونه تخنو علينا .

(٢) ويروى : الوالدات .

(٣) ويروى : وأسفانا .

(٤) ورد اسمها في بعض التواريغ : حدة ، وفي بعضها : حيدة ، وفي بعضها : حدونة .

ذلك مؤرخو الأندلس ، وجزم به أبو جعفر الوعيني الأندلسي ، وهو من الراحلين إلى المشرق . وملخص ما قاله في شرحه على بدريعة صاحبه ابن جابر : أن بعض المشارقة غرّهم بعُدُّ ديارها ، وخلوًّا بلادهم من آثارها ، فانتقلوا أشياء من شعرها . ومن ذلك نسبتهم أبياتها الميمية المنازى من شعرائهم . قال : وقد رأيت بعض المؤرخين من أهل بلادنا أثبتوها لها قبل أن يخرج المنازى من العدم إلى الوجود ، ويتصف بالفظة الموجود . اتهى . أما الأبيات الحائمة فالراجح أنها للمنازى ، ونسبها الصفدي في شرحه على لامية العجم لابن قاضى ميلة . والله أعلم .

وقال كمال الدين بن العديم في تاريخ حلب : بلغنى أن المنازى عمل هذه الأبيات ليعرضها على أبي العلاء ، فلما وصل إليه أنشده إياها ، فعمل كلما أنشده المصراع الأول من كل بيت ، سبقه أبو العلاء إلى المصراع الثاني الذي هو تمام البيت كما نظمه . ولما أنشده : (نزلنا دَوْحَةً خَنَا عَلَيْنَا) قال أبو العلاء : (حنوا والدات على القطيم) فقال المنازى : إنما قلت على اليتيم . فقال أبو العلاء : القطيم أحسن . اتهى والله أعلم .

قلت : الشىء بالشىء يذكر ، والحديث ذو شجون . والذى ذكره ابن العديم له نظائر . منها ما رواه طپفور في تاريخ بغداد عن عمارة بن عقيل . قال : أنشدت المأمون قصيدة فيها مدح له تبلغ مائة بيت ، فابتداأت بصدر البيت فبادرني إلى قافية ، فقلت : والله يا أمير المؤمنين ما سمعها مني أحدٌ قط . قال : هكذا ينبغي أن يكون ، ثم أقبل علىِّ ، فقال : أما بلغتك أن عمر بن أبي ربيعة أنشد عبد الله

ابن عباس قصيده التي يقول فيها :

\* تَشْطُّ غَدَارْ جِيرَانَا \*

فقال ابن عباس :

\* وَلَدَارْ بَعْدَ غَدَارْ بَعْدَ \*

ثم قال للأمون : أنا ابن ذاك . وفي « تحرير التحبير » لابن أبي الإصبع أن ابن عباس لما كمل البيت ، قال له ابن أبي ربيعة : هكذا والله قلت . فقال عبد الله : وهكذا يكون .

وروى أن جريراً والفرزدق حضرا مجلس الوليد بن عبد الملك ، وعدي بن الرفاعي نشد قصيدة :

عَرَفَ الدِّيَارَ تُوْهُمَا فَاعْتَادُهَا      من بعد ما درس البلي أبلادها  
فَلَمَا انتَهَى إِلَى قَوْلِهِ : تُرْجِي أَغَنَّ كَانَ إِبْرَةَ رَوْقِهِ  
تشاغل الوليد عن الاستماع ، وقطع عدى الإنجاد ، فقال الفرزدق لجرير :  
ما تراه يقول ؟ فقال : أراه يستلب بها مثلاً ، فقال الفرزدق : يا لِكَعْ إِلَاهِ  
سيقول : قَلَمٌ أَصَابَ مِنَ الدِّوَاهَ مِدَادَهَا . ثم عاد الوليد إلى الاستماع ، وعاد  
عدي إلى الإنجاد ، فنطق بالعجز كما قال . فقال جرير للفرزدق : ويبحث ا  
ذكاؤك سمعك مخبوء تحت لسانه ، فقال له : اسكت ، شغلني سباتك عن  
جيد الكلام ، والله لما سمعت صدر بيته رحمة ، فلما أنشد عجزه انقلب الرحمة  
حسداً . وفي رواية العقد الفريد عن الأصمى أن جريراً هو السابق لعجز  
البيت لا الفرزدق . وقال زكي الدين بن أبي الإصبع في « تحرير التحبير » :  
الذى أقوله : إن بين ابن عباس وبين الفرزدق في استخراجهما العجزين  
كما بينهما في مطلق الفضل ، وفضل ابن عباس رضى الله عنهما معلوم ، وأنا  
أذكر الفرق . فإن بيت عدي بن الرفاعي من جملة قصيدة تقدم سمع معظمها ،  
وعلم أنها ذاتية مردفة بألف موصولة مخرجة بألف منصوبة الروى من وزن  
المعروف ، ثم تقدم في صدر البيت ذكر ظبية تسوق خشفاً لها ، قد أخذ الشاعر  
في تشبيه طرف قرنه مع العلم بسواده ، وفي ذلك ما يدل على عجز البيت بحيث

يسبق إليه من هو دون الفرزدق من حُذَاق الشعراء . وبيت عمر مفرد لم تعلم قافيةه من أى ضرب هي من القوافي ، ولا روية من أى الحروف ، ولا حركة روية من أى الحركات ، فاستخراج عجزه ارتجالاً في غاية العسر ، ونهاية الصعوبة ، لولا ما أمد الله به هؤلاء القوم من المواد التي فضلوا بها عن غيرهم . ومن حذق عبد الله ابن العباس رضي الله عنهما ، ودقيق معرفته باختيار الكلام ، جعله قافية الذي أتى به (أبعد) ولم يجعلها (أنزح) وكان ذلك ممكناً له ، لكون (أبعد) أسرع ولوجاً في السمع ، وأسبق إلى الذهن ، وأدخل في القلب ، وأكثر استعمالاً ، وأعْرَف عند الكافة ، وبها جاء القرآن العزيز دون أنزح ، وهي أحب إلى الناس ، وأولى بالبيان . اتهى كلامه بنصه .

وقد عنَّ لي أن أورد هنا قصيدة عَدِيَّ بن الرِّقَاع ، لأنها لا توجد برمته في كتب الأدب المتداولة في الأيدي ، مع تشوق كثير من الأدباء للوقوف عليها .

قال عَدِيَّ بن الرِّقَاع ي مدح الوليد بن عبد الملك أحد الخلفاء من بنى أممية :

عَرَفَ الدُّبَارَ تَوَهُّمَا فَاعْتَادَهَا<sup>(١)</sup>      مِنْ بَعْدِ مَا دَرَسَ الْبَلَى أَبْلَادَهَا  
 إِلَّا رَوَاسِيَ كَلْمَنَ قَدْ اضطَلَى      سَجْرًا وَأَشْعَلَ أَهْلَهَا إِيَّاهَا<sup>(٢)</sup>  
 كَانَتْ رَوَاحِلَ الْقُدُورِ فَعَرِيتَ      مِنْهُنَّ وَاسْتَلَمَ الزَّمَانُ رَمَادَهَا  
 وَتَنَكَّرْتُ كُلَّ التَّنَكَّرِ بَعْدَنَا<sup>(٣)</sup> وَجَمَادَهَا  
 وَلَرْبَّ وَاضِحَّةِ الْجَيْنِ خَرِيدَةٌ<sup>(٤)</sup>      بَيْضَاءَ قَدْ ضَرَبَتْ يَهْ أُوتَادَهَا

(١) اعتادها : أعاد النظر إليها مرة بعد أخرى لدروسها حتى صرفها ، والرواية في الأغانى واللسان : شمل بدل درس . والأبلاد : جمع بلد وهو الأنهر .

(٢) رواية الأغانى : روا كد ، بدل : رواسى ، و : سجراً أشعل ، بدل : جراً وأشعل .

(٣) البعل : الأرض المرتفعة التي لا يصيفها مطر إلا مرة واحدة في السنة ، والجامد : اليابسة التي لم يصيفها مطر ولا شمس ، غيبها .

(٤) رواية الأغانى :

تَضَطَّلَادُ بِهِجَّهَا الْمَعَلَلَ بِالصَّبَا  
 عَرَصًا فَتَقْصِدُهُ وَأَنْ يَعْنِطَادَهَا (١)  
 مِنْ أَرْضِهَا قُفَّاتِهَا وَعِهَادَهَا  
 كَالظَّبَابَةِ الْبِكَرِ الْفَرِيدَةِ تَرْتَبِعُ  
 خَصِيبَتْ بِهَا عَقدُ الْبَرَاقِ حَنِينَهَا  
 كَالزَّيْنِ فِي وَجْهِ الْعَرْوَسِ تَمَدَّدَتْ  
 بَعْدَ الْحَيَاةِ فَلَاعِبَتْ أَرْزَادَهَا (٢)  
 قَلْمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاهَةِ مِدَادَهَا (٣)  
 قَفْرَمَا تُرْيَثُ وَخَشْهُ أَوْلَادَهَا  
 وَالْهَبَرَ يُونِقُ نَبَّهَا رُوَادَهَا (٤)  
 وَتَبَاعَدَتْ عَنَّا لِتَمْنَعَ زَادَهَا  
 وَتَبَاعَدَتْ عَنِ اغْتَفَرَتْ بَعَادَهَا (٥)  
 حَتَّى عَلَا وَضَحَّى يَلُوسُ سَوَادَهَا (٦)  
 لِي جَاعِلًا يُسْرَى يَدَى وَسَادَهَا  
 فِي الْخَيْلِ أَشْهَدَ كَرَّهَا وَطِرَادَهَا  
 حَتَّى أَقْوَمَ مَيْلَهَا وَسِنَادَهَا  
 حَتَّى يُقْيِمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا  
 وَأَتَيْتُ فِي سَعَةِ النَّعْمِ سَدَادَهَا  
 عَنِ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لَكِي أَزَادَهَا  
 تَضَطَّلَادُ بِهِجَّهَا الْمَعَلَلَ بِالصَّبَا

إِنِّي إِذَا مَا لَمْ تَصْلِنِي خُلَّتِي  
 إِمَّا تَرَكِي شَيْبِي تَقْتَشِعُ لِمَقِي  
 فَلَقَدْ ثَنَيْتُ يَدَ الفتَاهِ وِسَادَهَا  
 وَأَصَاحِبُ الْجَيْشَ الْعَرَمَ فَارِسَا  
 وَقَصِيمَهُ قَدْ بَتْ أَجْمَعُ بَيْنَهَا  
 نَظَرَ المَشَقَّفِ فِي كُعُوبِ قَنَاتِهِ  
 فَسَرَّتْ عَيْنَ مَعِيشَتِي بِتَكْرُمِ  
 وَعِلْمَتْ حَتَّى مَا أَسْأَلُ وَاحِدًا

(١) المعلل بالصبا : المشغول به التلهي ، وأقصده : رماه بسمهم فقتله .

(٢) الأرواد : جمع رئد بالكسر ، وهو الغرب ، وأكثر ما يكون في الإناث .

(٣) الروق : القرن .

(٤) تسق تجمع ، والمراد تكرم نياتها . والهبر : المطمئن من الأرض ، وقد ضبط في لسانه .

مرب : نيتها بالنصر وروادها بالرفع ، والصواب العكس .

(٥) الحلة بالضم : الخليل ، يستوي فيه المذكر والمؤنث ؟ لأنه في الأصل مصدر .

(٦) لاحه : غيره .

وَأَتَمْ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ وَزَادَهَا  
فَسَقَ خَنَاصِرَةَ الْأَحَصَ فَبَجَادَهَا<sup>(١)</sup>  
غَيْثَا أَغَاثَ أَنْيَسَهَا وَبَلَادَهَا  
أَلْقَتْ خَزَائِمَهَا إِلَيْهِ فَقَادَهَا  
مِنْ أُمَّةٍ إِضْلَاحَهَا وَرَشَادَهَا<sup>(٢)</sup>  
وَنَقَيَتْ عَنْهَا مَنْ يُرِيدُ فَسَادَهَا<sup>(٣)</sup>  
بِلَفَاتْ أَقَاصِيَ غَورِهَا وَبَجَادَهَا  
أَحَدُ مِنَ الْخُلُفَاءِ كَانَ أَرَادَهَا  
جَمْعَ الْمَكَارِمَ طِرْفَهَا وَنِلَادَهَا<sup>(٤)</sup>  
وَكَفَى قُرْيَشَ الْمُعْضِلَاتِ وَسَادَهَا  
قَسْرًا وَيَجْمَعُ لِلْحُرُوبِ عَنَادَهَا<sup>(٥)</sup>  
سَامَ جَمَاهَةَ أَهْلِهَا فَاقْتَادَهَا  
كَالْحَرَةَ احْتَمَلَ الضَّعَفَ أَطْوَادَهَا<sup>(٦)</sup>  
نَارٌ قَدَحَتْ بِرَاحْتِيكَ زِنَادَهَا  
وَأَصَابَ حَرَ شَدِيدَهَا حُسَادَهَا  
عَمَّرَضَتْ لَهُ الْفَدَ مُشْلَهَا فَاعَادَهَا

صَلَى اللَّهُ عَلَى امْرِيْ وَدَعَتْهُ  
وَإِذَا الرَّبِيعُ تَنَابَعَتْ أَنْوَافُهُ  
نَزَّلَ الْوَلِيدُ بِهَا فَكَانَ لِأَهْلِهَا  
أَوْ لَا تَرَى أَنَّ الْبَرِيْةَ كُلُّهَا  
وَلَقَدْ أَرَاكَ اللَّهُ إِذْ وَلَّ كَهْنَاهَا  
وَعَمَرَتْ أَرْضَ الْمُسْلِمِينَ فَاقْبَلَتْ  
وَأَصْبَتْ فِي بَلَدِ الْعَدُوِّ مُصِيبَةً  
ظَفَرًا وَنَصْرًا مَا تَنَاوَلَ مِثْلَهُ  
وَإِذَا نَشَرْتَ لَهُ الشَّنَاءَ وَجَدْتَهُ  
غَلَبَ الْمَسَامِيْحَ الْوَلِيدَ سَهَاجَةً  
تَأْتِيهِ أَسْلَابُ الْأَعِزَّةِ عَنْوَةً  
وَإِذَا رَأَى نَارَ الْعَدُوِّ تَضَرَّعَتْ  
بَعْرَمَرَمْ تَبَدُّلُ الرَّوَابِيْ ذِي وَعَى  
أَطْفَالَ نَارًا لِلْحَرُوبِ وَأَوْقَدَتْ  
فَبَدَتْ بَصِيرَتُهَا لِمَنْ يَبْغِي الْهَدَى  
وَإِذَا غَدَّا يَوْمًا بِنَفْحَةٍ نَاثَلَ

(١) خناصرة : بلدية من أعمال حلب ، وهي قصبة كورة الأحمر .

(٢) رواية العقد الفريد والأغاني: ولقد أراد الله .

(٣) رواية الأغاني : وكففت ، بدل : ونفيت .

(٤) الطرف والطريف والطارف : المال المستفاد . والتلاد : القدم الأصلي .

(٥) العتاد بالفتح : العدة والأبهة ، ورواية العقد الفريد :

لم تأته الأسلاب إلا عنوة غصباً ويجسم للحروب عتادها

(٦) الوعي بالمهملة : الجلبة ، والحركة بالفتح : الأرض الصلبة الغليظة ، والمعنى : أن الآل الذي يكون في الضبعى رفع جيالها ، فان رأها الناظر رأى أنها قد طالت وعظمت .

وإذا عَدَتْ خِيلٌ تُبَادِرُ غَايَةً فَالسَّابِقُ الْجَالِي يَقُودُ جِيَادَهَا<sup>(١)</sup>  
تمَتْ القصيدة. ويروى أن عَدِيًّا أنسدها الوليدَ وعنه كثيرون، وكان قد بلغه  
عن عدى أنه يطعن على شعره، ويقول: هذا شعر حجازي مقرر، إذا أصابه قُوَّةُ  
الشام جمد و Hulk. فلما أتى عدى على قوله:

وَقُصِيدَةٌ قَدْ بَتَ أَجَمُعُ بَيْنَهَا حَتَّى أَفَوَمَ مِيلَاهَا وَسِنَادَهَا  
قال له كثير: لو كنت مطبوعاً أو فسيحاً أو عالماً، لم تأت فيها بحيل ولا سناداً،  
فتتتاج إلى أن تقومها. ثم أنسد:

نَظَرَ المَثَقَفُ فِي كُوُبِ قَنَاتِهِ حَتَّى يُقْرِمَ ثِقَافَهُ مُنَادَهَا  
فقال كثير: لا جرم أن الأيام إذا تطاوت عليها عادت عوجاء، ولأن  
تكون مستقيمة لا تتتاج إلى ثقاف أجودها. ثم أنسد:

وَعَلِمْتُ حَتَّى مَا أُسَائِلُ وَاحِدًا عَنْ عِلْمٍ وَاحِدَةٍ لِكِيْ أَزْدَادَهَا  
فقال كثير: كذبت ورب البيت الحرام، فليمتحنك أمير المؤمنين بأن  
يسألك عن صغار الأمور دون كبارها حتى يتبيّن جهلك، وما كنتَ قط أحق  
منك الآن حيث تظنّ هذا بنفسك. فضحك الوليد ومن حضر، وقطع عدي  
بن الرّقّاع حتى ما نطق.

وروى عن محمد بن المنجم أنه قال: ما ذُكر لي أحد فاحببته أن أراه،  
إذا رأيته أمرت بصفعه؛ إلا عدي بن الرّقّاع، لقوله:  
وعلمت حتى ما أسئل ... البيت. فكنت أعرض عليه أصناف العلوم  
فكلا ما سره بشيء، ولا يحسن، أمرت بصفعه.

---

(١) فالأصل: وإذا عدت خيلاً يبادر غاية.

## فصل في مؤلفاته

قال أبو العلاء : لزّمت مسكنى منذ سنة أربعينات ، واجتهدت على أن أتوفّر على تسبیح الله وتحمیله ، إلى أن أضطر إلى غير ذلك ، فأمليت أشياء ، وتولى نسخها الشيخ أبو الحسن على بن عبد الله بن أبي هاشم ، أحسن الله معونته ، فألزمني بذلك حقوقاً جمة وأيادي بيضاء ، لأنّه أفنى في زمانه ، ولم يأخذ عما صنع ثمنه ، والله يحسن له الجزاء ، ويکفيه حوادث الزمن والأرزاء . انتهى :

وقد رتبنا أسماء هذه الكتب على حروف المعجم ، تسهيلاً على المطالع !  
واعتمدنا فيها ذكرناه منها على ما في « إرشاد الأريب » لياقوت ، و« كشف الظنون » لمصطفى بن عبد الله الشهير بكتاب چلبي ، وغيرهما من كتب التراجم والأخبار . وتكلمنا على ما وقفنا عليه منها بما يتسع له هذا المختصر :

- (١) أدب العصوريين : رسالة ذكرها ياقوت ، وصاحب كشف الظنون .
- (٢) استغفر واستغفرى : كتاب في المنظوم ، به نحو عشرة آلاف بيت ، ويعق في مائة وعشرين كراسة ، ذكره ياقوت ، وأهمه صاحب الكشف .
- (٣) إسعاف الصديق : في ثلاثة أجزاء ، يتعاقب بكتاب الجمل في النحو للزجاجي المتوفى سنة ٣٤٩ . ذر ياقوت ، وصاحب الكشف .
- (٤) إقليد الغایات : كتاب لطيف ، قصره على تفسير ما جاء من اللغز في كتابه : الفصول والغايات ، ذكره ياقوت ، وصاحب الكشف .
- (٥) الأمالي : لم يذكره ياقوت ، وقال صاحب الكشف : هو مائة كراسة ولم يكمله .

(٦) الأيك والغصون : ذكره ياقوت وصاحب الكشف في حرف الكاف في السكتب ، ويسمى أيضاً بالهمزة والردد ؟ لأنه بناء على إحدى عشرة حالة للهمزة في حال إفرادها وإضافتها . مثاله : سماء بالرفع والنصب والخض ، سماء بالتنوين ، سماوه سماء سماهه بالحركات الثلاث مع الإضافة للضمير المذكر ، سماوها سماها سماهها بها مع الإضافة للمؤنث ، ثم همزة بعدها هاء ساكنة مثل : عباءة وملاءة . فإذا ضربت الإحدى عشرة في حروف المعجم الثانية والعشرين ، خرج من ذلك ثلاثة فصل وثمانية ، وهي مستوفاة في هذا الكتاب . وذكر فيه أيضاً الأرداف الأربع بعد ذكر الآلف . ومبناه على العظات وذم الدنيا . ومقداره ألف ومائة كراسة ، تقع في اثنين وتسعين جزءاً كما ذكر ياقوت . وقال ابن خلkan : بلغنى أن له كتاباً سماه الأيك والغصون وهو المعروف بالهمزة والردد ، يقارب المائة جزء ، في الأدب ؛ وحكي لي من وقف على المجلد الأول بعد المائة ، فقال : لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد .

(٧) بحر الزجر : يتعلق بكتاب « زجر النابع » ، ذكره ياقوت ، ولم يذكر في كشف الظنون .

(٨) تاج الحرة في عظات النساء خاصة ، وتحتختلف فصوله ، فنهما ما يجيء بعد حرفه الذي يثبت ثبات الروى ياء التأنيث ، كقوله : شائي وتشائي وتسائي ونحوها . ومنه ما هو مبني على الكاف نحو غلامك وكلامك . ومنها ما يجيء على تفعيلين ، مثل ترغيبين وتذهبين ، وأنواع هذا الكتاب كثيرة ، ويقع في أربعين كراسة ، كما في ياقوت وكشف الظنون .

(٩) تضمين الآى : لم يذكره صاحب كشف الظنون ، وقال ياقوت : هو كتاب مختلف الفصول ؟ فنه طائفة على حروف المعجم ، وقبل الحرف المعتمد

ألف ، مثل أن يقال في الهمزة : بناء ونساء ، وفي الباء : ثياب وعباب . ثم على هذا إلى آخر الحروف . ومنه فضول على فاعلين وعلى فاعلون وغير ذلك . والغرض أن يأتي بعد انتهاء الكلام بآية من الكتاب العزيز أو بعض آية ، وربما يجيء بآيتين . قال : والسبب في تأليفه أن بعض الأصراء سأله أن يؤلف كتاباً برسمه ، ولم يثر أن يؤلف شيئاً في غير المظان ، والحدث على تقوى الله ، فأملى هذا الكتاب ، ويقع في أربعمائة كراسة .

(١٠) تعليق الجليس : مما يتصل بكتاب الجمل للزجاجي ، في جزء واحد . ذكره ياقوت ، ولم يذكر في الكشف .

(١١) تفسير خطبة الفصيح : فسر فيه غريب كتابه خطبة الفصيح . ذكره ياقوت ، وصاحب الكشف .

(١٢) تفسير الهمزة والردف : في جزء ، ذكره ياقوت ولم يذكر في الكشف .

(١٣) جامع الأوزان : فيه شعر منظوم على معنى يم به الأوزان الخمسة عشر التي ذكرها الخليل ، بجميع ضروبها ، ويدرك قوافي كل ضرب ، به تسعة آلاف بيت ، ومقداره ستون كراسة في ثلاثة أجزاء . ذكره ياقوت ، وصاحب الكشف .

(١٤) الجلى والخلبي : هكذا ورد في نسخة ياقوت ، وكتب مصححه : لعله «الخلبي» ، سأله فيه صديق له من أهل حلب ، يعرف بابن الخلبي ، مجلد واحد ، وعشرون كراسة . ولم يذكر في كشف الظنون .

(١٥) الحقير النافع : مختصر في النحو . خمس كراسات ، كما في ياقوت والكشف ، وذكره السيوطي في بغية الوعاة .

(١٦) خادم الرسائل : في تفسير ما اضمنته رسائله من الغريب ، سواء كانت

من الرسائل الطوال ، كالغفران والملائكة ونحوها ؛ أو ما دونها . ولم يذكر فيه إلا ما يحتاج إليه المبتدئون في الأدب ، وسماه صاحب كشف الظنون : خادمة الرسائل .

(١٧) خطبة الفصيح : تكلم فيه عن أبواب الفصيح في خمس عشرة كراسة ، كافية ياقوت والكشف ، وله تفسير فريبه ، وقد مضى ذكره .

(١٨) خطب الخليل : تكلم فيه على أسلوبها في عشر كراسات ، كافية ياقوت والكشف .

(١٩) خاصية الراح : قال ياقوت : هو كتاب لطيف في ذم المحرر ومعنى هذا الوسم أنه بنى على حروف المعجم ، فذكر لكل حرف تمكن حركته خمس سجمات مضمومات ، وخمساً مفتوحات ، وخمساً مكسورات ، وخمساً موقفات . يكون مقداره عشر كراسات . وتصحف اسمه على صاحب كشف الظنون بمحاسة الراح ، فذكره في حرف الحاء .

(٢٠) دعاء الأيام السبعة : ذكره ياقوت .

(٢١) دعاء ساعة : ذكره أيضاً .

(٢٢) دعاء وحرز الخليل : ذكره أيضاً .

(٢٣) ديوان الرسائل : وهي ثلاثة أقسام كالغفران والسنديّة ونحوها ، وسنذكر منها ما وقفتنا على اسمه . ومنها ما دون تلك ، كالرسالة الإغريقية ، ورسالة التبيح . ومنها قصار كنحو ما تجرى به العادة في المكاتبة . قال ياقوت وصاحب كشف الظنون : إنها تقع جميعها في ثمانمائة كراسة . وقد طبع قسم من هذه الرسائل في بيروت وأكسفورد ، وعندى منها نسختان مخطوطتان في إحداها مكتبات جرت بيته وبين ابن أبي عمران داعي الدعاء بمصر ، وهي التي تلخصها

ياقوت في إرشاد الاريب، وقد مضى أنه شرح رسائله في كتابه: خادم الرسائل.

(٢٤) ذكرى حبيب: ذكره صاحب السكش، وقال ياقوت: إنه مختصر في غريب شعر أبي تمام، سأله فيه صديق له من السكتاب. مقداره متون كراسة في أربعة أجزاء. وقال ابن خلkan: إنه اختصر ديوان أبي تمام وشرحه وسماه: ذكرى حبيب. وفي مقدمة شرح ديوان أبي تمام للتبريزى أن أبو العلاء إنما ذكر في هذا الكتاب الأبيات المشكلة من شعر أبي تمام متفرقة. ومن فوائده التي نقلها عنه أن شعر أبي تمام إنما أغلق، لأنه لم يؤثر عنه، فتناقلته الصفة من الزواة، والجهلة من الناسخين، فبدلوا الحركة بالحركة، وأوقعوا الناظر بما جنوه في أم أذراس<sup>(١)</sup> وتغلس، وغيروا الأحرف بسوء التصحيف، فنادروا الفهم خاططاً في عشواء؛ لأن تغيير الضمة إلى الفتحة والكسرة، يُنشِّبُ الفطن في حِبَالَة؟ فاما نقل الحاء إلى الخاء، والدال إلى الذال، فيحدث عنه إلباس، ويقرن به بلادة وإشكال.

(٢٥) الراحلة: ثلاثة أجزاء في تفسير لزوم ما لا يلزم. ذكره ياقوت فقط.

(٢٦) راجة اللزوم: يشرح فيه ما في لزوم ما لا يلزم من الغريب، نحو مائة كراسة، كما في ياقوت والسكش.

(٢٧) الرسالة الحضية: كذا ذكرها ياقوت.

(٢٨) الرسالة الزعفرانية: ذكرها صاحب السكش ولم يذكرها ياقوت.

(٢٩) الرسالة السنديّة: ذكرت في ياقوت والسكش.

---

(١) أم أذراس: الدهمية. ويقال: وقع في وادي تغلس غير معروف كتخبيب وتهلك، في داهية منكرة، والأصل فيه أن الغارات كانت تقع بكرة بغسل.

(٣٠) رسالة العروض : هكذا في كشف الطعون ، وفي نسخة ياقوت : الفرض بالفاء ، وعلمه القرم خن أو القربيض بالقاف .

(٣١) رسالة على لسان ملَك الموت : ذكرها ياقوت ، ولا أدرى إن كانت رسالة الملائكة أو غيرها .

(٣٢) رسالة الغفران : كتبها العلی بن منصور الحلبي المعروف بابن القارح ، جواباً على رسالة أرسلها له يذكر بها شوقيه إلى لقاءه ، وينتحي فيها على الزنادقة ، ويتنقص الوزير المغربي صديق أبي العلاء . فأجابه برسالة الغفران ، وضمّنها فنوناً شتى من اللغة والأدب ، وتحتها نحواً غريباً ، فاستطرد إلى الجنة ، فوصفها بوصفاً يشوق النفوس إليها ، ويرغبها في نعيمها ، وذكر النار وأهوالها بطريقة لا تأسها النفس . وقد طبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٣٢٥ ، وعندى منها نسختان مخطوطتان ، وبدار الكتب الخديوية بالقاهرة نسخة من كتب الأستاذ الشنقيطي — رحمه الله — وفي القسطنطينية العظمى نسخة أخرى في خزانة السكرييلى . وكنت في شوق لرسالة ابن القارح المذكورة ، حتى ظفرت بها في مجموع نديس وقع لي .

(٣٣) رسالة الملائكة : اقتصر ياقوت وصاحب الكشف على ذكر اسمها ، وقال أبو الفضل المؤيد بن الموفق الصاحب في كتاب « الحكم البوالغ » في شرح الكلم النوازع : رسالة الملائكة ، ألفها أبو العلاء المعري على جواب مسائل تصريحية ألقاها إليه بعض الطلبة ، فأجاب عنها بهذا الطريق الظريف المشتمل على الفوائد الأنية . انتهى . قلت : وأسلوبه فيها غريب ، افتحتها معتقداً للسائل بكبر سنه ، وبعد عهده بالمسائل النحوية والصرفية ، وقربه من الموت . ثم بدأ في الجواب فقال : « أَفَتُرَانِي أَدْافِعُ مَلَكَ الْمَوْتِ ، فَأَقُولُ : أَصْلُ مَلَكَ مَالَكَ .. إِلَّيْ » فساق هذا

البحث في مناقشته مع الملك ، وأتى بشواهد من كلام العرب ، إلى أن انتقل إلى بحث آخر ، فقال : « فيقول الملك : مَنْ أَبْنَى رَبِيعَةً وَأَبْوَ عَبِيدَةَ ، وَمَا هَذَا الْأَبَاطِيلُ ؟ إِنْ كَانَ لَكَ عَمَلٌ صَالِحٌ فَأَنْتَ سَعِيدٌ ، وَإِلَّا فَأَخْسِأْ وَرَاءَكَ ، فَأَقُولُ : فَأَهْلَنِي حَتَّى أُخْبِرَكَ بِوزْنِ عَزْرَائِيلَ ، وَأَقِيمُ الدَّلِيلَ عَلَى أَنَّ الْمُهْزَةَ فِيهِ زَانِدَةٌ ... إِلَّا » ثم انتقل إلى ناكر ونكير ، فباحثهما عن اسميهما ، وهكذا حتى أتم الإجابة عن الأسئلة في هذا السياق العجيب . وعندى من هذه الرسالة نسخة مخطوطة ضمن مجموع ، وبدار الكتب الأزهرية بالقاهرة أخرى ، وقد أوردها السيوطي بتمامها في كتابه الأشباه والنظائر النحوية .

(٣٤) رسائل المعونة : وهي التي كتبها على لسان غيره ، ذكرها ياقوت وصاحب الكشف .

(٣٥) رسائل الراموز : نحو ثلاثين كراسة . ذكره ياقوت .

(٣٦) الرياش المصطنع : في شرح مواضع من الحماسة الرياضية ، ألفه الأمير مصطفى الدولة أبي غالب كلبي بن علي ، وكان أنفذ إليه نسخة من هذه الحماسة ، وسأله أن يخرج على حواشيه شيئاً مما لم يذكره أبو رياش ، تخشى أن تضيق الحواشى عن ذلك ، فصنع هذا الكتاب في أربعين كراسة . ذكر في ياقوت والكشف .

(٣٧) زجر الناجح : يتعلق بلزوم مالا يلزم ، وذلك أن بعض الجهال تكلم على أبيات من لزوم مالا يلزم ، يريد بها التشرّر والأذية ، فألزم أبا العلاء أصدقاؤه بإنشائه ، فأنشأه وهو كاره . مقداره أربعون كراسة في جزء واحد . ذكره ياقوت وصاحب الكشف . ولله كتاب يتعلق بهذا ورد اسمه في نسخة ياقوت « بجزر الزجر » وقد مضى ذكره .

(٣٨) السادس : أنسأه في تفسير غريب كتابه الفصول والغايات ، وما فيه من اللغز . مقداره عشرون كراسة . ذكره ياقوت وصاحب الكشف .

(٣٩) السبعونات العشر : موضوع على كل حرف من حروف المعجم عشر سبعونات في الموعظ . ذكره ياقوت وصاحب الكشف .

(٤٠) سبع الحائم : تكلم فيه على لسان حائم أربع ، وكان بعض الرؤساء سأله أن يصنف له تصنيفاً يذكره فيه ، فأنشأ هذا الكتاب ، وجعل ما يقوله على لسان الحaima في العضة والحدث على الزهد . مقداره ثلاثون كراسة ، في أربعة أجزاء . ذكر في ياقوت والكشف .

(٤١) السمع السلطاني : يشتمل على مخاطبات الملوك والوزراء وغيرهم من الولاة ، سأله فيه بعض من خدم السلطان ، وأرتفعت طبقته ، ولم يكن له قدم في الكتابة ، فطلب أن يُنشأ له كتاب مسجوع من أوله إلى آخره ، ولا يشعر بما يريده ، لقلة خبرته بالأدب . فألف له هذا الكتاب . قال ياقوت : في أربعة أجزاء ؟  
وقال صاحب الكشف : إنه ثمانون كراسة .

(٤٢) سمع النقيه : جزء في ثلاثين كراسة . ذكره ياقوت وصاحب الكشف .

(٤٣) سمع المضطرين : كتاب لطيف ، عمله لرجل تاجر مسافر ، يستعين به على أمور دنياه . ذكره ياقوت وصاحب الكشف .

(٤٤) سقط الزند : وهو ديوان يشتمل على أكثر من ثلاثة آلاف بيت ، ضنه شعره في صباحه . وسماته بذلك لأن السقط أول نار تخرج من الزند ، فشبه شعره الأول به . قال التبريزى : لما حضرت أبا العلاء ، قرأت عليه كثيراً من كتب اللغة ، وشيئاً من تصانيفه ، فرأيته يذكره أن يقرأ عليه شعره في صباحه ،

الملقب بسقوط الزَّند ، وكان يغير الكلمة بعد الكلمة منه إذا قرأت عليه ، ويقول معتبراً عن تأثيره ، وامتناعه من سماع هذا الديوان : مدحت نفسي فيه ، فلا أشتئ أن اسمعه . وكان يحثى على الاستغفال بغيره من كتبه . اتهى . ولهذا الديوان شروح ، أولها شرح لأبي العلاء نفسه سماه (ضوء السقط) وهو غير وافٍ ، نقله عنه التبريزى ، وأوضح مشكلاته ، وذكر اللغة الغربية ، واقتصر في تفسير المعانى على ما لا بد منه . ثم تناوله أبو يعقوب يوسف بن ظاهر النجوى ، فأصلحه وزاد فيه ، وسماه : «التنوير» وطبع بمصر غالباً من اسم مؤلفه . ومن شروح هذا الديوان شرح الفخر الرازى ، و «ضرام السقط» لمحمد الدين أبي الفضل قاسم بن حسين بن محمد الخوارزمى المشهور بصدر الأفضل النحوى ، وقفت على نسخة منه فى خزانة آل رفاعة بالقاهرة . و «الزوائد» لأبي رشاد الإحسانى ، و «العمدة» لابن البارزى ، وشرح ابن السید البطليوسى وهو عزيز الوجود ، وقعت لى منه أوراق من نسخة قديمة ، فإذا به شرح على ديوان ممزوج من سقط الزند والزويميات . وقد انتقد أبو بكر بن العربي على مواضع منه ، فرد عليه ابن السید في رسالة لطيفة ، وقفت عليها وهى عندى . وللشيخ تاج الدين بن عبد الرحمن شرح على قصيدة لامية من هذا الديوان مطلعها : \* ألا في سبيل المجد ما أنا قادر \*

سماه : «سرافى العلا ، في شرح لامية أبي العلا» وهو عندى في مجموع .

(٤٥) سيف الخطيب : هكذا في الكشف ، وفي ياقوت «سيف الخطيبة» .

وهو جزءان ، يشتمل على خطب السنة ، فيه خطب للجمع والعيدان والحسوف والكسوف والاستسقاء وعقد النكاح ، وهى مؤلفة على حروف من حروف المعجم ، فيها خطب عمادها الممزة ، وخطب بنية على الباء ، وخطب على الدال ،

وعلى الراء ، وعلى اللام ، وعلى الميم ، وعلى النون ، وتركت الجيم والخاء وما يجري مجرىها : لأن الكلام المقول في الجمادات ينبغي أن يكون سجّاجاً<sup>(١)</sup> سهلاً . مقداره أربعون كراسة . وكان سأله فيه رجل من المظاهرين بالديانة .

(٤٦) شرح الرسالة الإغريقية : لم يذكره ياقوت ، وذكره صاحب الكشف . مقداره عشرون كراسة . وللشيخ إبراهيم الفهصي بن صبغة الله الحيدري ، من علماء أواخر القرن الثالث عشر ، شرح على الرسالة الإغريقية ، صنفه : التوادر الحكيمية والأدبية ، أنه برم مصطفى باشا بن إبراهيم بن محمد على والي مصر ، وتوجده منه نسخة مخطوطة بدار الكتب الخديوية بالقاهرة .

(٤٧) شرح كتاب سيبويه : في النحو ، في خمسين كراسة ، ولم يته . كما في ياقوت والكشف وبغية الوعاة .

(٤٨) شرف السيف . قال ياقوت : عمله النشطتين الدرزى الذى كان مقىماً بدمشق ، والسبب فيه أنه كان يوجه إلى أبي العلاء بالسلام ، ويبحث المسألة عنه ، فأراد جزءه على ما فعل . وهو في جزءين . وفي كشف الظنون : « شرف السلف عشرون كراسة عمله للأمير الجيوش » .

(٤٩) الصاهيل والشاحج : يتكلّم فيه على لسان فرس وبغل ، مقداره أربعون كراسة ، صنفه لأبي شجاع فاتك الملة بعزيز الدولة والى حلب من قبل المصريين ، وكان رومياً . ذكره ياقوت ، وصاحب الكشف في الرسائل . وفي خطط المقرنزي ج ٢ ص ١٥٤ روایة رواها أبو العلاء في الصاهيل والشاحج ، للبيتين : زر وادى القصر . . . الخ .

والشاحج : البغل ؛ وشَحِيجَه ، وشَحَاجَه ؛ صوته ا

(١) السجّاج : الذى بين الصلابة واللين . والهواء السجّاج : ليس بمحار ولا بارد .

(٥٠) ضوء السقط : فسر فيه غريب ديوانه سقط الزند ، مقداره عشرون  
كراة . ذكره ياقوت وصاحب الكشف وابن خلkan . وقد فصل بعضهم  
الدرعيات من سقط الزند ، وطبعها على حدة في بيروت ، وسماها : ضوء السقط ،  
وهو خطأ ينبغي أن يُتنبه له .

(٥١) الطَّلَّ الطاهري : أنشأه لرجل يعرف بأبي طاهر . ذكره ياقوت ،  
ولم يذكر في الكشف .

(٥٢) ظهير العضدي : يتصل بالكتاب المعروف بالعضدي في النحو .  
ذكره ياقوت وصاحب الكشف والسيوطى .

(٥٣) عبث الوليد : يؤخذ من عبارة ابن خلkan أنه اختصر فيه شعر  
البحترى وشرحه ، وأسم الكتاب لا يدل على ما قال . وقال غيره : إنه يتضمن  
أغالط البحترى . وقال ياقوت : إنه يتصل بشعر البحترى ، وكان سبب إنشائه  
أن بعض الرؤساء أتقذ نسخة لي مقابل بها ، فأثبتت ما جرى من الغلط ليعرض  
ذلك عليه . وهو جزء واحد في عشرين كراة . أقول : قد وقعت لى نسخة من  
هذا الكتاب ، فوجدها كما قال ياقوت ، والخطأ الذى يذكره أبو العلاء تارة يكون  
من النسخة المرسلة إليه ، وتارة من الناظم نفسه ؟ ولهذا سماه بعبث الوليد تورية  
باسمها ، لأن البحترى اسمه الوليد . والوليد أيضاً : الصبي ، فكانه قال : لعب  
الصبي وخلطه . ورتب فيه الأبيات التي تعرض لها على حروف المعجم باعتبار  
قوافيها ، وله فيه فوائد وآراء ؟ كقوله في بيت البحترى في وصف فرس :

أحواله للرشقمين<sup>(١)</sup> بفارس وجدوده للتبغين يموكل<sup>(٢)</sup>

(١) رسم : بضم الراء وسكون السين وفتح المثناة الفوقية ، وقد تضم .

(٢) موكل موضع ، ولا نظير له إلا مورق اسم ملك للروم وموزن وموهبد وموظب =

قال : يرى الرَّسْتَمِينَ على الجمع وكذلك التَّبَعِينَ ، ويروى بالتشنِيَة ، والجمع أشبه ؛ لأنَّه قال أخواه في جمَع ، وكذلك قال جدوده . فأنْ تكون الأخوال والجدود ملوك كثيرة أشبه من أن تكون ملوكين . اتهى كلامه . قلت : وقد يقال أيضًا في ترجيح ما رجحه أن لا وجه لتخصيص اثنين من تابعة العين بالذكر ؛ لأنَّه لم يسمع عن اثنين مخصوصين منهم امتازا بشهرة تصرف إليهما الأذهان ، إذا ذكر التَّبَعَان ، وما يقال فيما يقال في الرَّسْتَمِين ، فرواية الجمع أرجح وأقرب إلى الصواب .

(٥٤) عظات السور : ذكره ياقوت ، ولم يتكلَّم عليه .

(٥٥) العظة والزهد : لم يذكره ياقوت ، وذكره صاحب الكشف في حرف الكاف في الكتب ، وقال : مائة وعشرون كراسة .

(٥٦) عون الجمل : قال ياقوت : يتصل بكتاب الزَّجَاجِي ، عمله لأبي الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم ، وهو آخر شيء أملأه ، وفي كشف الظنون أنه شرح لشواهد جُمل الزَّجَاجِي لم يتم ، وكذلك في بغية الوعاة للسيوطى .

(٥٧) الفصول : لم يذكره ياقوت ، وذكره صاحب الكشف فقال : إنه غير الفصول والغايات ، وهو أربعمائة كراسة .

(٥٨) الفصول والغايات : هو الكتاب الذي زعم شائشه أنه عارض به القرآن الكريم ، وسماه الفصول والغايات في معارضة السور والآيات ، ويسنيع القول في هذا الزعم عند الكلام على معتقده . وليس في هذا الكتاب إلا عظات ونصائح ، والمراد بالغايات القوافي ؛ لأنَّ القافية غاية البيت أى منتهاه ، وهو

— وموحد ، والقياس فيها كانت فاؤه حرف علة أن يكون الفعل منه مكسور العين ، مثل موعد وموعد ، ولكن جاءت هذه شاذة .

موضوع على حروف المعجم ما خلا الألف ؟ لأن فواصله مبنية على أن يكون  
ما قبل الحرف المعتمد فيها ألف ، ومن الحال أن يجمع بين ألفين . ولكن تجلى  
المهمزة وقبلها ألف ، مثل العطاء والكساء ، وكذلك الشراب والسراب في الباء ،  
ثم على هذا الترتيب ، وليس حروفي المبني عليها مستوى الإعراب ، بل تجلى  
مختلفة ، وفيها ما يجيء على نسق واحد . وقيل : إنه بدأ فيه قبل رحلته إلى بغداد  
وأنه بعد عوده إلى المعرفة ، ومقداره مائة كراسة . ذكره ياقوت وصاحب  
الكشف . ويتعلق بهذا الكتاب : إقليم الفياليات ، والسادن ، وقد مر ذكرها .  
(٥٩) فضائل أمير المؤمنين على بن أبي طالب ، كرم الله وجهه . ضمته  
بعض فضائله . ذكره ياقوت فقط .

(٦٠) قاضي الحق : يتصل بكتاب الكاف في النحو لأبي جعفر النحاس  
المتوفى سنة ٣٣٨ . ذكر في ياقوت والكشف .

(٦١) القائف : ذكره صاحب الكشف في حرف الكاف في الكتاب ،  
وسقط من نسخة ياقوت المطبوعة ، إلا أن في كلامه على كتابه المسمى بمنار القائف  
دلالة على أن له كتاباً بهذا الاسم .

(٦٢) اللامع العزيزى ، في شرح شعر المتنبي ، صنفه للأمير عزيز الدولة  
ابن تاج الأمراء أبي الدوام ثابت بن ثمال ، مقداره مائة وعشرون كراسة .  
ذكره ياقوت وصاحب الكشف وابن خلkan وغيرهم ، ومنه نسخة بخزانة  
لله لى بالقسطنطينية رقمها (١٨٢٥) .

(٦٣) لزوم ما لا يلزم : هو ديوان كبير مرتب على حروف المعجم ، يذكر  
كل حرف بوجوهه الأربع : الضمة والفتحة والكسرة والسكون . ومعنى لزوم  
ما لا يلزم أنه يتلزم قبل الروى حرفاً إذا غير لم يكن مخللاً بالنظم . قال في خطبته :

إنه ذكر فيه ما هو تمجيد لله الذي شرف عن التمجيد ، أو تذكير للناسين ، وتنبيه للغافلين ، أو تحذير من الدنيا ؟ فإن جاوز المشترط ، فإن الذي جاوز إليه قول عرى من المين . وهو أحد كتبه التي تكلموا فيها ، وسنفصل القول فيه عند الكلام على معتقده وشعره . طبع بالهند سنة ١٣٠٣ وبمصر سنة ١٨٩١ — ١٨٩٥ ميلادية . وكان الأديب الفاضل الشيخ أحمد الفحماوى النابلسى ، نزيل مصر رحمه الله تعالى ، مشهرا بكتاب نسخ من هذا الكتاب ، يتحرى فيها الصحة ، ويطرزها بالحواشى المفيدة ، ثم يبيع النسخة بعشرين ديناراً مصرياً ، فيتنافس في اقتنائها أعيان مصر وسراتها ، وعندى منها نسختان . ووقةت لى نسخة مخطوطة من مختصر له ، اسمه : مختار لزوم ما لا يلزم ، تنقص أوراقا من أولها ، ويتقدى بما فيها من أثناء قافية الباء المضمومة ، ولذهب أيضاً : زجر الناجح ، وبحر الزجر ، والراحلة . وكلها تتعلق باللزميات ، وقد مضى ذكرها .

(٦٤) مهج الأسرار : لم يذكره ياقوت ، وقال صاحب كشف الظنون : لأبي العلاء ، ولم يقل المعري ، واسم الكتاب يدل على أنه اغيره .

(٦٥) مثقال النظم : في العروض . ذكره ياقوت والسيوطى في بغية الوعاء .

(٦٦) بجد الأنصار ، في القوافى . ذكره ياقوت .

(٦٧) المختصر الفتحى : يتصل بكتاب محمد بن سعدان ، صنفه لرجل يكفى أبا الفتح محمد بن علي بن أبي هاشم ، وكان أبو هذا الرجل تولى إثبات ما ألفه أبو العلاء من جميع كتبه ، فألزمه بذلك حقوقاً جمة ، وأيادى كثيرة . كذا ذكر ياقوت .

(٦٨) معجز أحد : لم يذكره صاحب الكشف ، ويدرك بعضهم إلى أنه هو الام العزيزى في شرح شعر المتني . ويستفاد من عبارة ابن خلkan أنه غيره ، وأن أبا العلاء اختصر ديوان المتني ، وتكلم على غريبه ، وذكر سرقاته وما أخذ عليه في هذا الكتاب . ومن فوائد هذه القافية ذكرها فيه ، ونقلها عنه أصحاب البديع ، استنباطه لنوع من البديع سماه « الطاعة والعصيان » عند كلامه على قول المتني :

يرد يداً عن ثورها وهو قادر ويعصي الموى في طيفها وهو راقد  
فزعم أنه أراد أن يقول وهو مستيقظ ليطابق بينه وبين راقد ، ولما عصاه  
الوزن عدل عنه إلى قادر ، وفيه معنى مستيقظ وزراقة ، فأطاعه التجنيس المقلوب  
بين قادر وراقد ، وعصمه المطابقة بين راقد ومستيقظ . ورد عليه زكي الدين بن  
أبي الإصم بـأنَّ لِيْسَ فِي الْبَيْتِ شَيْءٌ مِّنْ ذَلِكَ ، لِمَكَانٍ أَنْ يَقُولَ وَهُوَ سَاهرٌ بَدْلٌ  
 قادر . أنتهى . وجل من أتي بهذا النوع من أصحاب البديعيات ، لم تسلم أبياتهم  
من مثل هذا النقد .

(٦٩) ملقي السبيل : مختصر فيه نظم ونثر ، ذكره ياقوت وصاحب الكشف ،  
دوفرت لى نسخة منه ، فوجده في المواقع مرتبًا على حروف المعجم ، يذكر في  
كل حرف فقرات من النثر ، ثم يتبعها بأبيات من القافية ؟ كقوله في حرف الحاء :  
إن ابن آدم شحيح ، سوف يمرض من القوم صحيح ، يعصف بعقله الريح ؛ إن  
ذلك فهو التبريح .

يأيها الممسك الشحيح سيمرض السالم الصحيح  
ما لك لم تتنفع بعقل هل عصفت بالعقل ريح  
إن شيد القصر في سرور فبعده يُخْفَرُ الضريح

دیغاره المم بالذایا من جنے فی المدی طریغ

(٧٠) مختار القائل : في تفسير ماجاه من الملغز والغريب في كتابة القائف ،  
ندارة عشر كراريس . ذكره ياقوت .

(٧١) المَوْاعِظُ السَّتُّ : ذِكْرُهُ ياقوت وصَاحِبُ الْكَشْفِ ، وَمَعْنَى هَذَا  
الْإِسْمِ أَنَّ الْفَصْلَ الْأُولَى مِنْهُ فِي حَطَابِ رَجُلٍ ، وَالثَّانِي فِي حَطَابِ اثْنَيْنِ ، وَالثَّالِثُ  
، حَطَابُ جَمَاعَةٍ ، وَالرَّابِعُ فِي حَطَابِ امْرَأَةٍ ، وَالخَامِسُ فِي حَطَابِ امْرَأَتَيْنِ ،  
السَّادِسُ فِي حَطَابِ نِسْوَةٍ . فِي خَمْسٍ عَشَرَةَ كِتابَةً .

(٧٢) نشر شواهد الجهرة : لم يذكر في الكشف ، وقال ياقوت : إنه في  
اللة أجزاء ، ولم يتم .

(٧٣) نظم السور : سلسلة كراوس ، ذكره صاحب الكشف ، وجاء في  
نسخة ياقوت : تنظم السور ، بالمشنأة الفوقية ، ولعله تحريف .

(٤) وَقَةُ الْوَاعِظِ : هَذِهِ فِي أَسْخَنِ يَقْرَبَتْ ، وَقَالَ مُصْحِّحُهُ : لَمْ يُرْقِمْ  
لِوَاعِظٍ ، وَلَمْ يُذْكُرْهُ صَاحِبُ كِشْفِ الظُّنُونِ .

考 稿

وله سوى ذلك كتب في العروض والشعر بذاتها ولم تتم . ورأيت بعض  
العصراء ينسب إليه كتاباً اسمه الفصوص ، ويزعم أنه سقط منه في المجلة ،  
وهو يحمله إلى أحد الأمراء ببغداد ، فقال فيه بعض الشعراء :  
قد عاشر في التهر كتاب الفصوص ولهكذا كل قبيل يغوص  
فأنا جاهه أبو العلاء يقوله :

عاد إلى مسكنه إنما توجد في قصر البحار المخصوص  
والغريب أن هذا الكتاب لأبي العلاء صناعي اللغوي البغدادي ، أحد

الراحلين إلى الأندلس ، وبها أُنفه ، ووُقعت له هذه القصبة . وسببها أنه استأذن من المنصور بن أبي عامر في إملاء كتاب بجامع مدينة الزهراء ، يفوق أمالى أبي على القالى التي أملأها بقرطبة في دولة عبد الرحمن وابنه الحكم ، واشترط أن لا يورد فيه خبراً أورده القالى . فأذن له في ذلك ، فأملى كتاب الفصوص ، ولما أكمله تتبعه أدباء الوقت ، فلم تمر فيه كلمة صحيحة عندهم ، ولا خبر ثبت لديهم . وكان صاعداً متهمًا بالكذب جريئاً عليه ، فأراد المنصور امتحانه ، فعمد إلى كراريس بيض وأمر أن تجلد وتُزال جذتها حتى يتوجه فيها القدم ، وترجم عليها كتاب النكت تأليف أبي الغوث الصناعي ، فتراءى إليه صاعداً حين رأه ، وجعل يقبله ، ويقول : إى والله ، قرأته بالبلد الفلاني على الشيخ أبي فلان ، فأخذه المنصور من يده خوفاً من أن يفتحه ، وقال : إن كنت قد قرأته كما تزعم ، فعلام يحتوى ؟ فقال : وأبيك لقد بعد عهدي به ، ولا أحفظ الآن منه شيئاً ، ولكنني يحتوى على لغة منشورة لا يشوبها شعر ولا خبر ، فقال له المنصور : أبعد الله مثلك ، فهارأيت أكذب منك . وأمر بإخراجه وإلقاء كتاب الفصوص في النهر ، فقال فيه بعض الشعراء ، وأجابه صاعداً بما تقدم .

قال ابن بسام : وما أظن أحداً يجترئ على مثل هذا ، وإنما صاعداً اشترط ألا يأتى إلا بالغريب غير المشهور ، وأعانهم على نفسه بما كان يتنفق به من الكذب . انتهى .

ومن جراءته على الكذب نادرته في الخنشار ، وذلك أن المنصور سأله يوماً عنه ، فقال على البديهة : هو حشيشة يعقد بها الابن بباديته الأعراب ، وفي ذلك يقول شاعرهم :

لقد عقدت محبتها بقلبي كعهد الخليب الخنشار

ورواية هذه اللفظة بالخاء المعجمة والفاء هو المشهور في كتب الأدب التاريخ ، وقد رويت بالباء الموحدة في نسختي نفح الطيب المطبوعتين بمصر ، ورددت في التي طبعت بأوربا بالخاء المهملة والباء الموحدة ، ورواية البيت فيها :

لقد عُتِدْتَ محبَّتِي بقلبي كَمَا عُتِدَ الْحَلِيبُ بِخَبْشَارٍ

إلا أن المصحح ذكر بالخاشية ورودها في بعض النسخ بالخاء المعجمة والباء الموحدة ؛ وفي أخرى بالخاء أيضاً والفاء ، وهو الصواب على ما ترجم عندي ، وما عداه محرف عنه . وسببه أن صاحب نفح الطيب تمساني كَمَا هو معلوم ، وقاعدة المغاربة في الكتابة نقط الفاء بنقطة من تحت ، فيظهر أن نسخة الأصل كتبت بخط مغربي ، وطمس الكاتب رأس الفاء ، فظهرت بصورة الباء لمكان النقطة التحتية ، وتصحيف الخاء المعجمة بالخاء المهملة قريب . وإنما رجحت هذا الوجه لاشتهاره في سائر الكتب كما ذكرت آنفاً . ويجوز أن يكون الصواب في أحد الوجهين الآخرين ، إلا أن مثل هذا لا يثبت إلا بنص ، ولم أقف على نص فيه . والخطب أسهل من أن نطيل فيه الكلام ؛ لأن الظاهر من مفاد القصة أن الكلمة مخترعة . والله أعلم .

## فصل في ثروته وزهده

قد علمت مما تقدم أن أبا العلاء كان من بيت ثراء وغنى ، والمتبادر في مثله أن يكون مثرياً كأهله ، ولكنك لو تتبعت بقية أخباره ، وأنعمت النظر في أقواله عن نفسه ، سواء كانت ثيراً أو شمراً ، ظهر لك أنه كان على العكس من ذلك . وحسبك تصريحه في إحدى رسائله إلى داعي الدعاء ، بأن الذي له في السنة تيف وعشرون ديناراً يشاركه خادمه في معظمها . وسيسر لك في هذا الفصل شيء من أشعاره المنبعثة عن إملاقه وحاجته . والحقيقة المزيلة للبس أنه كان على شيء من الثروة نسباً فيه قبل قفوله من بغداد ، فعاش بعد ذلك في كفاف ، بدليل قوله :

أثارني عنكمْ أُمرانِ والدةٌ لم ألقها وثراها عاد مسفوتاً<sup>(١)</sup>  
أحياناً الله عصرَ البين ثم قضى قبل الإياب إلى الْدُّخْرِينَ أَنْ مُوتَا  
يعني : أحيا الله والدى ومالى وأنا بعيد عنهما ، فلما أزمت الإياب قضى على  
والدته بالموت ، وعلى المال بالضياع .

على أنه كان على فقره قنوعاً عميقاً كغير النفس ، يضرب في علو المهمة بضم  
وافر ، لم يسمع أنه استباح أحداً ، أو مدح طعافاً في نوال ، ومن قوله في خطبة سقط  
الزند : « ولم أطرق مسامع الرؤساء بالتشيد ، ولا مدحت طلباً للثواب ، وإنما كان  
ذلك على معنى الرياضة ، وامتحان الشوos <sup>(٢)</sup> ، فالمحمد لله الذي ستر بُغْفَةً <sup>(٣)</sup> من

(١) المسفوت : القليل البركة .

(٢) الشوس : بالضم الطبيعة .

(٣) البغفة ، بالضم : البلقة من العيش .

قوام العيش ، ورزق شعبه من القناعة أوفت على جزيل الوفاء . ومن غرر أقواله في ذلك :

وإني نعمت العراق لغير ما تيمه غيلان عند بلال  
فأصبحت محسوداً بفضل وحده على بعد أنصارى وقلة مالى  
غيلان هو ذو الرثمة ، كان قصد بلال بن أبي بُردة بن أبي موسى الأشعري  
مستميحًا ، وفيه يقول :

سمعت : الناس ينتجعون غيشا فقلت لصيادَح : انتجع بلا  
وصيادَح اسم ناقته ، والرواية في الناس بالرفع على الحكاية ؛ لأنَّه سمع من  
يقول : الناس ينتجعون غيشا ، فشكى ما سمع ، جزم بذلك للبرد ، وعد الحرير  
النصب من الأوهام ، وذهب غيرها إلى أنه يجوز .  
وقال أبو العلاء يصف حاله ببغداد :

تمسكت أن الخير حلت النسوة تعهملى كيف اطمأنت في الحال  
فأذهل أني بالعراق على شفَّى  
مقلل من الأهلين يُشرِّي وأسرة  
وكم ماجد في سيف دجلة لم أشمْ  
من الغر ترَك المهاجر مغرض  
سيطلبني رزق الذي لو طلبته  
وقال أيضاً :

ورحلت لم آتِ قِرواشَا أَزاوله  
والموت أحسن بالنفس التي أفت

(١) السيف ، بالكسر : الساحل .

قرрош كان واليًّا ببغداد ، والمهذب وزيره . وروى أن المستنصر الفاطمي خليفة مصر بذل له ما في بيت مال المرة من الحلال ، فلم يقبل منه شيئاً ، وقال :

لا أطلب الأرزاق والسمولي يفيض على رزق  
إن أُعطي بعض القوت أعلم أن ذلك فوق حَقّ

ويعجبني قوله في لزوم مالا يلزم :

وكاننا الدنيا كعابٌ أثينا رجى لها صلةٌ فذاك يسارٌ  
وإذا الفقى لحظ الزمات بعينه هان الشقاء عليه والإعسار  
وقوله :

نوابِ ألقٍ في النفوس جرائحها عصى كل آسٍ في البرية سبُرُها  
لِيَ القوت فلُيَفْمِر سرَّ نديبَ حظتها من الدُّرُّ أو يَكْثُر بفانةٍ تبرُّها  
سرنديب جزيرة قرب الهند ، فيها مغاوص لِلْؤُلُؤ ، وتسمى اليوم سيلان ،  
وغانة مدينة كبيرة في جنوبي بلاد المغرب ، هي مدخل بلاد التبر كما في ياقوت ،  
وتطلق اليوم على أرض واسعة في غرب قارة إفريقيا ، تقاسمها الإفرنج بينهم ،  
واسمها في لغتهم (Guinée) جينا بالإملاء ، أو : غينا ، والأصل فيه غانة ؟ كما قدمنا ،  
والرجوع إليه أولى . ويطلق الإفرنج هذا الاسم أيضاً على أول دينار إنجلizi  
خرب من الذهب المستخرج من هذه الجهة ، وأبطل الإنجليز التعامل به من  
سنة ١٨١٧ ميلادية ، واستعواضاً عنه بدinarهم المسمى (Souverain) سوڤران ،  
ومن هذا تعرف سبب تسمية المصريين كل دينار بالجنيه ، وكان الصواب أن  
يسموه بالغاني ، إن أرادوا النسبة إلى تلك الجهة ، وإلا فالرجوع إلى الدينار أولى .  
وكان شأن أبي العلاء في الزهد والتقطش والإعراض عن الدنيا شأننا عجبنا ،  
ولا يذهبن بذلك الظن فتقوهم أن للفقر مدخل في زهذه ، فإن من تُبذَل له الخزان ،

وتقعرَض عليه الصلات ، لا تستعصى عليه غاية من الغايات ، ولكنَّه نظر إلى هذا الممتع الزائل نظرَ مَنْ لم يُلْهِه زخرفه عن استطلاع حقيقته ، فقصدَ عنه وزهدَ فيه جملةً ، وأخذ نفسه بالرياضة والخشونة ، والإعراض عن العرض الفاني ؛ فكان لباسه القطن ، وفراشه اللبَّد ، وحصيروه بردية ، وطعامه الفول والعدس ، وحلاؤه التين ، وفيه يقول :

يقنعني بُلْسُنُ يُمارَسُ لِي فَإِنْ أَتَنِي حَلَاوَةً فَبَلَسْنُ<sup>(١)</sup>

فَلَسْنُ مَا أَخْتَرْتَ إِنَّ أَرْوَحَ مِنْ يِسَارْ قَارُوفَ عَفَّةً وَفَلَسْنُ<sup>(٢)</sup>

وسنورد مختار شعره في الزهد ، متى وصلنا إلى الكلام على منظومه ، كما أنها سنشبع القول في سبب تجافيه عن أكل الحيوان ، عند الكلام على معتقده .

وكان رحمة الله ، على عوزه ورقه حاله ، بذولاً لما عنده ، غير مانع معروفاً عن مستحق ، يتكلف في ذلك ما استطاع . بلغه مرأة أن شاعرًا يلقب بصربيع البَيْن ساءت به الحال ، فأنفاذ إليه قدرًا من الدرام ، وأتبعها بقصيدة يقول فيها :

قد استحييت منك فلا تَكِلني إلى شيء سوى عذر جميل

وقد أنفذت ماحقى عليك قبيح الم gio أو شتم الرسول

وذاك ، على انفرادك ، قوت يوم إذا أنفقت إنفاق البخيم

فكيف وأنت علوى السجايا وليس إلى اقتصادك من سبيل

إلى أن يقول :

فإن يلك ما بعشت به قليلاً فلي حال أقل من القليل

وحدث للقاضي أبي محمد عبد الوهاب بن علي بن نصر الفقيه المالكي المشهور

(١) البلسن بالضم : العدس ، والبلس بالتجريب : التين .

(٢) اللس : الأكل .

ضيق وشدة ، وهو بيغداد ، فلم يربعا من الرحيل عنها ، وخرج لتشييعه يوم  
فصل جم من أكابرها ، وطوائف كثيرة من أهلها ، وما فيهم إلا متوجع لفراقه ،  
أو آسف على فوات الاستفادة من علمه ، فقال لهم عند الوداع : لو وجدت بين  
ظهر آنِيَّكُمْ رغيفين كل غداة وعشية ما عدلت عن بلدكم . فلم تحرك مقالته واحداً  
منهم ، يتكلل له بما طلب ؟ فسار عليهم قاصداً مصر ، واجتاز بعمره النعيم ، وبها  
يومئذ أبو العلاء ، فأضافه واحتفي به ، وفيه يقول :

**والمالكي** ابن نصر زار في سفر بلادنا فحمدنا النَّـاي والـسـفـرا  
إذا تـفـقـه أحـيـا مـالـكـا جـدـلاً وـيـنـشـرـ المـلـكـ الضـلـلـلـ إـنـ شـعـراـ<sup>(١)</sup>

ثم حباء عند رحيله بثلاثين درهما ، ومخاطبه معترضاً بقوله :

بـما هـو حـطـى مـن أـيـم عـتاب	أـيـبـسـطـ عـذـرـى مـنـمـ أـمـ يـخـصـنـى
إـذـا هـى لـم تـسـلـكـ طـرـيـقـ تـحـابـ	قـبـولـ الـهـدـاـيـا سـنـةـ مـسـتـحـبـةـ
مـضـتـ لـى فـيهـا صـحـقـيـ وـشـبـابـ	فـيـاـلـيـتـنـى أـهـدـيـتـ خـمـسـينـ حـيـجـةـ
مـتـى مـا تـكـشـفـ تـلـفـ غـيـرـ لـبـابـ	وـقـلـلتـ لـه فـاتـرـكـ ثـلـاثـيـنـ أـسـوـدـاـ
فـعـنـدـ اـبـنـ نـصـرـ نـجـدـةـ بـجـوابـ	إـذـا أـسـكـتـ الـمـحـتـجـ كـلـ مـنـاظـرـ
وـلـوـ أـنـى صـنـفـتـ أـلـفـ كـتـابـ	وـمـا أـنـا إـلـاـ قـطـرـةـ مـنـ سـيـاحـةـ
يـعـيشـ لـفـقـدـ الـمـاءـ عـيـشـ ضـبـابـ	وـبـيـنـ يـدـيـهـ كـفـرـ طـابـ وـإـنـسـهـاـ
لـإـسـبـاغـ طـهـرـ حـانـ أـوـ لـشـرابـ	لـعـلـ الـذـى أـنـفـذـتـ يـكـفـيـهـ لـيـلـةـ

يقول : لعل هذه الدرام القليلة ، وإن كانت سوداء غير خالصة الفضة ، تكفي  
الشيخ لأن يشتري بها قليلاً من الماء لطهوره أو لشرابه ؟ فإنه مدرج على كفر  
طاب ، وهي قليلة الماء ، وأهلها يعيشون بها عيش الضباب ، وإنما خص الضباب

(١) الملك الضليل : اسرق القيس .

بالذكر ؛ لأنها تصبر على العطش . وبعض المحققين من أهل عصرنا يرى أن  
كفر طاب هي البلدة المسماة الآن يادرب ، وهي قصبة قضاء باسمها ، من لواء حلب .  
ولم تزل قليلة المساء . وفيها يقول أبو العلاء في لزومياته :

أرى كفر طاب أبغز الماء حفرها      وبالسَّ أغنناها الفُرات عن الحفر<sup>(١)</sup>  
كذلك بحرى الرزق ، وَادِ بلا ندى      وَادِ به فيض وآخر ذو جفون  
ولما وصل القاضي عبد الوهاب المذكور إلى مصر ، أقبلت عليه الدنيا ،  
وانهالت عليه صلات الأماء ، ولكنّه لم ينفع بشيء منها ، بل مات عقب وصوله  
من أكلة اشتهاها ، وعموه يقول وهو يتقدّب ويتخلل : لا إله إلا الله ، إذا عشنا  
متنا . وهو القائل في بغداد :

بغداد دار لأهل المال طيبة      وللمفاليس دار الضنك والضيق .  
ظللت حيران أمشي في أزقتها      كأنني مصحف في بيت زنديق

---

(١) بالسَّ كصاحب : بلدة يسطن الفرات .

## فصل في بقية أخباره

لما دخل أبو العلاء بغداد أقبل عليه علماؤها وأدباؤها ، معجبين بذاته ،  
واسعة علمه . واحتضن بصحته جماعة منهم : كأبي القاسم على بن المحسن القاضي  
التفوخي ، ومحاذن دار العلم ، والشريفيين الرضي والمرتضى ابني أبي أحمد الموسى ،  
وغيرهم . وكان المرتضى شديد الاختصاص به ، وله معه مباحثات ومداعبات .

رُوى أنه حضر مجلسه يوماً ، وجرى ذكر المتني فتنقصه المرتضى ، وجعل  
يتبع عبوبه ؟ ليغضبه ؟ ليعصيه عليه . وكان أبو العلاء على عكسه يتعصب  
لالمتني ، ويزعم أنه أشعر المُعْمَدَيْنَ ، ويفصله على بشار ومن دونه ؟ كأبي نواس  
وأبي تمام . فقال : لو لم يكن للمتني إلا قوله : (لكِ يا منازل في القلوب منازل)  
لـكـفـاه فـضـلا . فغضب المرتضى ، وأمر به فأنخرج من مجلسه ، ثم التفتَ إلى  
من يحضرته ، وقال لهم : أتدرون أي شيء أراد الأعمى بذلك هذه القصيدة ، مع  
أن لأبي الطيب ما هو أجود منها ؟ فقالوا : النقيب العميد أعرف ، فقال : أراد  
قوله في هذه القصيدة :

وإذا أتتكم مذمتي من ناقص فهى الشهادة لي بـأـنـىـ كـامـلـ

قلت : ومن التلميح المستعدب بهذه البيت ، ما وقع للفتح بن خاقان مع ابن  
الصائغ ، وقد ذكره بسوء في كتابه قيلائد العقيان ، فر عليه ابن الصائغ يوماً وهو  
في جماعة ، فضرب بيده على كتفه ، وقال : إنها شهادة يا فتح . ثم مضى في  
سبيله ، فتغير لون الفتح ، وقال : والله ما بلغت بوصفي له في كتابي عشر ما بلغ  
مني بهذه الكلمة !

ويشبه قصة المعري مع المرتضى ما وقع للخالدين مع سيف الدولة ، لما عاناه  
في تفضيله المتبنى ، وقالا : ليختر الأمير ما شاء من قصائده ، حتى ننظم ما هو  
أجود منها ، فاقترح عليهما أن يعارضا قوله :

لِعَيْنِيْكَ مَا يُلْقِي الْفَوَادِ وَمَا لَقِيَ  
فَلَمَّا كَرَرَا النَّظَرَ فِيهَا لَمْ يَجِدَاهَا مِنْ غَرَرِ قَصَائِدِهِ ، ثُمَّ فَطَلَنَا إِلَى أَنْ سِيفَ الدُّولَةِ  
أَرَادَ بِهِمَا قَوْلَهُ فِيهَا :

إِذَا شَاءَ أَنْ يَلْهُو بِلَحْيَةِ الْحَقِّ ارَاهُ غَبَارِيَ ثُمَّ قَالَ لَهُ الْحَقِّ  
فَأَحْبَجَهَا عَنِ الْمَعَارِضَةِ وَلَمْ يَعَاوَدْهَا . وَفِي رِوَايَةِ أَنَّ هَذِهِ الْقَصَّةَ وَقَعَتْ لِلْسَّرِيرِ  
الرَّفِّيَّ لِلْخَالِدِينَ . وَحَكِيَ بِعَضِهِمْ ، قَالَ : خَرَجَتْ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْجَةِ ، فَقَعَدَتْ عَلَى  
الْجَسَرِ بِبَغْدَادِ ، فَأَقْبَلَتْ امْرَأَةٌ مِّنْ جَانِبِ الرَّصَافَةِ تُرِيدُ الْجَانِبَ الْغَرْبِيَّ ،  
فَاسْتَقْبَلَهَا شَابٌ قَالَ لَهَا : رَحْمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بْنَ الْجَهَنَّمِ ، فَقَالَتْ فِي الْحَالِ : وَرَحْمَ اللَّهُ  
أَبَا الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ . وَلَمْ يَقْفَأْ ، وَمَرَّا مَشْرِقًا وَمَغْرِبَةً ، فَتَتَبَعَتْ الْمَرْأَةُ وَقَلَتْ لَهَا :  
أَخْبَرِينِي عَافَاكَ اللَّهُ عَمَّا قَالَ لَكَ ، وَعَمَّا أَجْبَتْ بِهِ ، فَقَالَتْ : نَعَمْ ، رَحْمَ اللَّهُ عَلَيْهِ بْنَ  
الْجَهَنَّمِ ، أَرَادَ قَوْلَهُ :

عَيْوَتِ الْمَا بَيْنَ الرَّصَافَةِ وَالْجَسَرِ جَلَبَنِ الْمَوْى مِنْ حَيْثُ أَدْرَى وَلَا أَدْرَى  
وَأَرَدَتْ بِتَرْجِمَى عَلَى أَبِى الْعَلَاءِ قَوْلَهُ :

فِي سَادَرَهَا بِالْحَرْزِ إِنْ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَا كَنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ  
وَرُوِيَ أَنَّ أَحَدَ الشَّرِفَاءِ سَقَطَ مِنْهُ خَاتِمُهُ فِي الْحَرْمَ ، فَقَالَ لَهُ أَحَدُ بْنَ عَمِّهِ :  
لَمْ تَقْفُ عَلَى طَلْبِ هَذَا الْخَاتِمِ الْمَتِينِ ؟ فَقَالَ لَهُ : أَلَسْتَ مِنْ أَبْنَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟  
أَرَادَ الْأُولُّ قَوْلَ الْمَتَبَّنِيِّ :

بَلَمْ يَلِي الأَطْلَالَ إِنْ لَمْ أَقْفَ بِهَا وَقَوْفَ شَحِيعٍ ضَاعَ فِي التَّرْبَ خَاتَمُهُ

وأراد الثاني قوله من قصيدة أخرى :

كذا الفاطميون الندى في أكفهم أعزّ أحباء من خطوط الرواجب<sup>(١)</sup>  
 ي يريد : أن الندى ملازم لأكفهم ، كما أن خطوط الرواجب ملزمة لها .  
 وفي البيت الأول نادرة لأبي العلاء ، وذلك أنه بلغ من لوعه بالمتنبي أنه  
 كان إذا ذكر الشعراء يقول : قال أبو نواس كذا ، قال البحترى ، قال أبو تمام ،  
 فإذا أراد المتنبي قال : قال الشاعر . فقيل له يوماً : لقد أسرفت في وصفه ، فقال :  
 أليس هو القائل :

بليت بـ الأطلال إن لم أقف بها      وقوف شحيح ضاع في الترب خاتمه  
 كم يقف الشحيح على خاتمه ؟ يقف عليه أربعين يوما . فقيل له : ومن أين  
 علمت ذلك ؟ قال : سليمان بن داود عليهما السلام وقف على طلب الخاتم أربعين  
 يوما ، فقيل له : ومن أين علمت أنه يخيل ؟ قال : من قوله تعالى : وهب لي ملائكة  
 لا ينبغي لأحد من بعدي ، وما كان عليه أن يهبه الله لعباده أضعاف ملائكة !  
 ولما بلغ أبا العلاء وفاة أبي أحمد الطاهر أبي الشريفيين الرضي والمرتضى  
 سنة ٣٠٤ ، رثاه وهو بالمعرة بقصيدة فائقة طويلة ، أجاد فيها كل الإجاد ،  
 وأنفذها إليهما ، مطلعها :

أودى فليت الحادثات كفافِ      مالُ المُسِيفِ وعَنْبَرُ الْمُسْتَأْفِ  
 ومن غريب قوله فيها يخاطب الغراب :  
 لا خاب سعيكَ من خفافِ أسمحِ      كشحيمِ الأسدِيِّ أو كخفافِ  
 منْ شاعِرِ للبين قال قصيدة يرى الشريف على روى القاف  
 بنىت على الإيهام سالمة من الساقاء والآكفاء والإصراف

(١) الرواجب : واحدتها راجبة ، وهي مفاصل الأصابع .

**الخفاف** : الخفيف ، وسُحَمْ : عبد بن الحَسَّاس ، كان أسود ؛ وأراد بِخُفَافَ : خُفَافَ بْنَ نُدَبَّة<sup>(١)</sup> أحد غربان العرب وشعرائها ، يعني كأن هذا الغراب شاعر أسود كهذين الشاعرين ، يعني لنا الشريف بنعيبه ، ويرثيه بقصيدة فاقية ؛ لأنَّه يقول في نعيبه : غاقٌ غاقٌ . وهذه القصيدة بنية على الإيطاء ؛ لأنَّه يردد هذه الكلمة في قوافيها ، إلا أنها سالمَة من الإِقْوَاء ، وهو الاختلاف بين القوافي بالرفع والجر ؛ ومن الإِكْفاء ، وهو المُخالفة بينها بالحروف ؛ ومن الإِصراف ، وهو الإِقْوَاء بالنصب .

ومن صحابي العلاء وأخذ عنه وهو بغدادي القاضي أبو القاسم على بن المحسن التنوخي المتقدم ذكره ، وكانت بينهما رابطة الصداق . وحمل إليه مرة جزءاً من أشعار تنوخ في الجاهلية ، مما كان جمعه والده أبو على المحسن ، فلما تعجل أبو العلاء الرحيل عن بغداد تركه عند أبي أحمد عبد السلام ، وسألَه رده إلى أبي القاسم ، وسار عن بغداد ، تخشى أن يكون أغفله ، فكتب يخاطب أبي القاسم بقصيدة ضمنها أغراضأ ، يقول فيها :

أهدي السلام إلى عبد السلام فما  
يزال قلبي إليك الدهر م ملفوتا  
سألته قبل يوم السير مبعثة<sup>(٢)</sup> إليك ديوان تيم اللات ماليتها  
هذا لتعلم أني ما نهضت إلى قضاء حجَّ فأغفلت المواقفنا  
وروى ابن خلkan وابن الوردي في تاريخيهما ، نقلًا عن كتاب لحافظ  
أبي طاهر السُّلَفي ، وضمه في أخبار أبي العلاء ، قال فيه مسندًا عن القاضي أبي الطيب  
الطبرى : كتبت إلى أبي العلاء الممرى حين وَافَى بغداد ، وقد كان نزل في  
سوقة غالب :

(١) ندبة بفتح أوله أو ضمه : أم خفاف ، وهو أحد من نسب إلى أمه من الشعراء .

(٢) أي ما نهض .

وَمَا ذَاتَ دَرْرٍ لَا يَحِلُّ لِحَالَبِ  
لَمْ شَاءَ فِي الْحَالَيْنِ حَيَا وَمَيِّتًا  
إِذَا طَعَنَتْ فِي السِّنِ فَاللَّاحِمُ طَيِّبٌ  
وَخَرْفَانِهَا الْأَكْلُ فِيهَا كَزَازَةٌ<sup>(١)</sup>  
وَمَا يَجْتَنِي مَعْنَاهُ إِلَّا مُسْبِرٌ  
تَنَاؤْلُهُ وَاللَّاحِمُ مِنْهَا مُحَلَّلٌ  
وَمَنْ رَامَ شَرْبَ الدَّرْرِ فَهُوَ مُضَلَّلٌ  
وَأَكِلُّهُ عِنْدَ الْجَمِيعِ مُعَقَّلٌ  
فَالْحَصِيفُ الرَّأْيُ فِيهِنَّ مَأْكُولٌ  
عَلِيمٌ بِأَسْرَارِ الْقُلُوبِ مُحَصَّلٌ

فاجابني ، وأملي على الرسول في الحال / :

جوابان عن هذا السؤال كلاماً  
فمن ظنه كزازة فليس بكاذب  
لحومنها الأعناب والرطاب الذي  
ولكن ثمار النخل وهي غضيبة<sup>(٢)</sup>  
يكلفني القاضي الجليل مسائلًا  
 ولو لم أجب عنها لكونها بجهلها  
صوابٌ وبعض القائلين مضللٌ  
ومن ظنه نخلًا فليس بجهلٌ  
هو الحيل والدرر الريق المُسْلَسلُ  
تمر<sup>(٣)</sup> وغضن الكرم يجئ ويؤكل  
هي النجم قدرًا بل أعن وأطول  
جديرًا ولكن من يوادك مُقبلٌ

قال القاضي أبو الطيب : فأجبته عنه ، وقلت :

أثار ضميري من يعز نظيره  
ومن قلبه كتب العلوم بأسرها  
تساوي له سر المعانى وجهرها  
ولما أثار الحب قاد<sup>(٤)</sup> مني  
من الناس طرًا سابع<sup>(٥)</sup> الفضل مكمل  
وخطره في حدة النار مشعل  
ومفضليها باد لديه مقصّل  
أسيراً بأنواع البيان يُكَبِّلُ

(١) الكزازة : اليبس والانقباض .

(٢) رواية ابن الوردي : رطيبة .

(٣) سر يمر بالفتح والضم : ضد يحلو .

(٤) رواية ابن الوردي : سابق .

(٥) رواية ابن الوردي : ولما أثار الحب فار معينه .

وَقَرْبَهُ مِنْ كُلِّ فَهْمٍ بِكَشْفِهِ وَإِيَاضَاهُ حَتَّى رَأَاهُ الْمَغْفِلُ  
وَأَعْجَبَ مِنْهُ نَظَمُهُ الدُّرُّ مُسْرِعاً  
فَيَخْرُجُ مِنْ بَحْرٍ وَيَسْمُو سَكَانَهُ  
فَهَنَاءُ اللَّهِ الْكَرِيمِ بِفَضْلِهِ مُهَمَّهُ  
فَأَمْلَى أَبُو الْعَلاءِ عَلَى الرَّسُولِ مُرْتَجِلاً :

سَيِّوفُ عَلَى أَهْلِ الْخِلَافِ تُسْلَلُ  
وَجَدَكَ فِي كُلِّ الْمَسَائِلِ مُقْبِلُ  
فَأَنْتَ مِنْ الْفَهْمِ الْمَصْوُنِ مُمْوَلٌ  
فَأَنْتَ وَهُمْ مُمْلِكُوا الْحَامِمِ أَجْدَلُ  
وَمِنْ قَلْبِهِ تَتَمَلِّي فَمَا تَتَمَمَّلُ  
وَأَنْتَ بِإِيَاضَةِ الْهَدِيِّ مُتَهَكِّفُ  
فَعَلْتَ وَكَفَيْتَ عَنْ جَوَابِكَ أَجْهَلُ  
وَأَعْلَى، وَمِنْ يَبْغِي سَكَانَكَ أَسْفَلُ  
بِفَضْلِكَ وَالْإِنْسَانُ يَسْهُو وَيَذَهَلُ  
هُوَ الْمَجْدُ لِي مِنْهَا أَخْيَرُ وَأَوْلُ  
رَسُولُكَ وَهُوَ الْفَاضِلُ الْمُتَفَضِّلُ  
بِهَا<sup>(١)</sup> وَهِيَ فِي أَعْلَى الْمَوَاضِعِ تُجْعَلُ  
فَأَنْتَ أَمْرُؤُ فِي الْعِلْمِ وَالشِّعْرِ أَمْثَلُ  
وَمِثْلُكَ حَقَّا مَنْ بِهِ تَتَجَمَّلُ  
وَالْقَاضِي أَبُو الطَّيْبِ الْمَذْكُورُ كَانَ أَدِيَّاً وَرَعَا ، عَارِفًا بِأَصْوَلِ الْفَقْهِ وَفَرْوَعَهُ ،

(١) رواه ابن الوردي : غاصراها .

أَلَا أَيْهَا الْقَاضِي الَّذِي بِدَهَاهُ  
فَوَادِكَ مَعْمُورُ مِنَ الْعِلْمِ أَهِلُّ  
فَإِنْ كُنْتَ بَيْنَ النَّاسِ غَيْرُ مُمْوَلٍ  
إِذَا أَنْتَ خَاطَبْتَ الْمُخْصُومَ بِجَادِلًا  
كَأَنْكَ مِنْ فِي الشَّافِعِيِّ تُخَاطِبُ  
وَكَيْفَ يُرْسِي عِلْمَ ابْنِ إِدْرِيسِ دَارِسًا  
تَفَضَّلْتَ حَتَّى ضَاقَ ذَرْعُهِ بِشَكْرِهِ  
لَا نَكَ فِي كَنْهِ الثَّرْمِيِّ فَصَاحَةُ  
فَعَذْرِي فِي أَنِّي أَجْبَتُكَ وَأَتَّهَا  
وَأَخْطَأْتُ فِي إِنْفَادِ رِقْعَتِكَ الَّتِي  
وَلَكِنْ عَدَانِي أَنْ أَرُوكَ احْتِفَاظَهَا  
وَمِنْ حَقِّهَا أَنْ يَصْبِحَ الْمَسْكُ عَاطِرًا  
فَمَنْ كَانَ فِي أَشْعَارِهِ مُتَمَثِّلًا  
تَجْمَلَتِ الدِّينِيَا بِأَنْكَ فَوْقَهَا

صنف في الأصول ومذهب الشافعى والخلاف والمجدل — كتباً كثيرة . وكان يقول الشعر على طريقة الفقهاء ، وولى القضاء بربع السكرخ ببغداد ، ولم يزل عليه إلى أن مات سنة خمسين وأربعين ، بعد ما عاش مائة سنة وستين ، لم يختزل عقله ، ولا تغير فهمه ، يفتى ويستدرك على الفقهاء الخطأ ، ويقضى ، ويحضر المواكب في دار الخلافة . رحمة الله تعالى .

ومن أخبار أبي العلاء قصته مع أسد الدولة صالح بن مرداس صاحب حلب ، وقبوله شفاعته في أهل معرة النعمان بعد أن كاد يبطش بهم سنة ٤١٧ . والسبب في ذلك أن امرأة صاحت يوم الجمعة بجامع المعرة ، وذكرت أن صاحب الماخور أراد اغتصابها ، فنفر كل من في الجامع وهدموا الماخور ، وأخذوا خشبها ونهبوا ، وكان الأمير أسد الدولة في نواحي صيدا ، فوصل المعرة ، وختم بظاهرها ، واعتقل من أعيانها سبعين رجلاً برأي وزيره تادرس بن الحسن الأستاذ ، وأوهمه أن في ذلك إقامة للهيبة . فشق على المسلمين هذا الأمر ، حتى دعوا المؤلاء المعتقلين على منابر آمد وميارقين . وقطع تادرس عليهم ألف دينار ، ففرّع أهل المعرة إلى أبي العلاء ، وسألوه تلافي الأمر بالخروج إلى الأمير ، والتوسط لهم عنده . فخرج من أحد أبواب المدينة ، ويده في يد قائد ، وأبصره صالح ، فرأى شيمخاً قصيراً يقوده رجل ، فقال : هذا أبو العلاء ، جيئوني به . فلما مثل بين يديه سلم عليه ، ثم قال : «الأمير أطّال الله بقاءه كالنهار الماتع ، قاظ وسطه وطاب إبراده ، أو كالسيف القاطع ، لأن متنه وخشن حداه ، «خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » . فقال صالح : «لا تثريب عليكم اليوم ، قد وهبت لكم المعرة وأهلها » وأمر بتقويض الخيام ورحل . فرجع أبو العلاء وهو يقول :

نجي المعرة من برائين صالح رب يعافي كل داء معضل

ما كان لي فيها جناح بعوضة أللهم لخفهم جناح تفضل  
ورواية المزوميات في البيت الأول :

نجى العاشر من بران صالح رب يفرج كل أمر مُغْضَل  
وفيها أيضاً : ألبسهم ، بدل : أخلفهم . ولم يعلم أبو العلاء أن المال قد قطع عليهم ،  
وإلا كان قد سأله فيه أيضاً . وفي هذه القصة يقول وضمنها لزومياته :  
تَكَبَّرْتُ فِي مَنْزِلِ بَرْهَةَ سَيِّرَ الْعَيُوبَ فَقِيمَدَ الْحَسَدَ  
فَلَمَّا مَضَى الْعَمْرُ إِلَّا الْأَقْلَمَ وَحْمَ لِرُوحِي فِرَاقُ الْجَسَدَ  
بَعِثْتُ شَفِيعًا إِلَى صَالِحٍ وَذَلِكَ مِنَ الْقَوْمِ رَأَى فَسَدَ  
فَيُسْمِعُ مِنِّي سَبِيعَ الْحَامِ وَأَسْمَعَ مِنْهُ زَيْرَ الْأَسَدَ  
فَلَا يُعْجِبُنِي هَذَا التَّفَاقُ فَكُمْ نَفَقْتُ بِخَيْرٍ مَا كَسَدَ

وصالح هذا هو أسد الدولة أبو على صالح بن مرداس السكري أول ملوك  
بني مرداس بحلب ، كان من عرب الباذية ، وكانت له عشيرة وشوكة ، فقد  
مدية حلب واترزعها من مرتضى الدولة بن لؤلؤ ، نائب الظاهر بن الحاكم  
الفاطمي خليفة مصر ، وتسلكها سنة ٤١٧ . ثم جهز الظاهر الجيوش ووجهها إليه ،  
وجرت مقتلة الجيوش عن قتل صالح سنة ٤٢٠ ، وقيل سنة ٤١٩ .

وهو الذي عنده أبو العلاء يقوله في لزومياته :

أَرَى حَلَبَةَا حَازَهَا صَالِحٌ وَجَالَ سِنَانٌ هَلَى جَلْقا  
وَحَسَانٌ فِي سَلْكَةِ طَيْئٍ يَصْرُفُ مِنْ عِزَّهِ أَبْلَقا

وذكر السيوطي في بغية الوعاة في ترجمة نصر بن صدقه القابسي التحوي ،  
أنه كان من يعاني الأدب ، فقدم مصر وأخذ عن علمائها ، ثم توجه إلى المرة  
فلازم أبا العلاء ، وأخذ عنه سقط الزند ، وكتب منه نسخة جيدة ، ورجع

إلى مصر، فقدمها للحاكم وقرأها عليه، فأعجبه نظمه، وأرسل إلى عزيز الدولة الوالي بحلب، أن يحمله إلى مصر، فاعتذر فكفت عنه. هذا ما ذكره السيوطي. وفي مقدمة رسالة المعرى تسمى بالفلاحية: أن القابسي المذكور لما رجع إلى مصر بنسخته سقط الزند، أهدتها لوزير أبي نصر صدقة بن يوسف الفلاхи، فأعجب بها، واستدعى كاتب الديوان، وأمره أن يكتب إلى عزيز الدولة متولى حلب وأعمالها في حمل أبي العلاء إلى مصر، ليبني له دار علم، وسمح بخراج معرة النعمان له في حياته وبعده، فوصلت الأوامر إلى ديوان الشام بكتاب السجل، فكتب، وجهز على البريد. فلما وقف عليه عزيز الدولة نهض ل الوقت، حتى دخل معرة النعمان، وقرأ السجل على أبي العلاء، فقال: أمهلني حتى أكتب جواب السجل إلى مجلس الوزارة، فلعل العفو يسامعني بالمقام في بلدى؛ إذ لا يمكننى الخروج منه. فأمهله الأمير، فأحضر الكاتب ل الوقت، وأملي عليه هذه الرسالة يعتذر فيها عن عدم الرحيل بعجزه عنه. والوزير الفلاхи المذكور وزر المستنصر سنة ٤٣٦ وعزل سنة ٤٣٩. ولم تسبق له وزارة مدة الحكم بأمر الله، حتى يمكن الجمع بين الروايتين. وقد تقدم أن المستنصر بذل لأبي العلاء ما بيته مال المرة من الحلال، فلم يقبله. فلعل ذلك كان بسبى هذا الوزير، وفيه ما يرجح الرواية الثانية. إلا أن يكون سر اد السيوطي مطلق حاكم مصر، لا الحكم بأمر الله على الخصوص. وكان هذا الوزير في أول أمره يهوديا، ثم أسلم. وفيه يقول الحسن بن خاقان الشاعر المصري:

يهود هذا الزمان قد بلغوا غاية آمالهم وقد ملوكوا العز فيهم والمال عندهم ومنهم المستشار والملك يا أهل مصر إني نصحت لكم تهودوا قد تهود الفلك ومن ارتبط مع أبي العلاء برابطة الود ، وجمعته به آخرة الأدب ؟ الوزير أبو القاسم الحسين بن علي العالم الأديب المشهور بالوزير المغربي ، صاحب مختصر إصلاح المنطق ، وأدب الخواص ، والمأثور في ملح الخدور ، وكتاب الإيناس ، والديوان الشعري . وهو الذي كتب له أبو العلاء رسالته المسماة بالمعنیج ، ورسائل أخرى . ولما فرغ من تأليف مختصر إصلاح المنطق لابن السكينة أتلقى إلى أبي العلاء نسخة منه ، فقرظها برسالة طويلة سماها بالإغريضية ، أثني عليه فيها ثناء جمّا ، ووصف المختصر ، وبالغ في مدحه . ووقفت في رسائل لأبي العلاء مخطوطة على كتاب أرسله له هذا الوزير ، يتشوق إليه وإلى أخيه ، ويشتكى من الدهر وocrوفه ، ويسأله أن يجعله بهما ، وضمنه كثيراً من شعره في هذه الأغراض .  
ولولا خوف الإطالة لأثبتته هنا .

وكان الوزير المذكور من الدهاء العارفين ، محباً للفتن ، مثيراً للقلالق ، قتل الحاكم بأمر الله أباه وعمه وأخويه ، فهرب إلى الرملة ، ثم انتقل إلى الحجاز ، وهو يفسد نيات الولاية على الحاكم حتى أفلقته . ودخل العراق فاتحهه القادر العباسي بالسعى في إفساد الدولة العباسية ، فلم يزل منتقلًا في البلاد حتى مات يمياً فارقيناً سنة ٤١٨ على الأصح . ونقل إلى الكوفة بوصية منه ، ودفن في تربة مجاورة لمشهد الإمام كرم الله وجهه ؟ وأوصى أن يكتب على قبره :

كنت في سفرة الغواية والجهة لـ مقينا خنان مني قدوم  
نبت من كل مأثم فعسى ليه حى بهذا الحديث ذاك القديم

بعد خمس وأربعين لقذ ما طلت إلا أن الغريم كريم

ورثاء أبو العلاء بأبيات أثبها في لزومياته ، وهي :

ليس يبقى الضرب<sup>(١)</sup> الطويل على الأرض ولا ذو العباءة<sup>(٢)</sup> الدرحية  
 يا أبا القاسم الوزير ترحدت وخلفتني ثفال<sup>(٣)</sup> رححية  
 وتركك الكتب الثمينة لنا س وما رحت عنهم بسحابيـه<sup>(٤)</sup>  
 ليتنى كنت قبل أن تشرب المـوـت أصيلا شربته بضمـحـيـه  
 إن نـحـنـكـ المـنـونـ قـبـلـ ، فـإـنـ مـنـحـيـهـ  
 أـمـ دـفـرـ تـقـولـ بـعـدـكـ لـذـاـ ئـقـ لـأـ طـمـ لـىـ فـأـينـ فـحـيـهـ<sup>(٥)</sup>  
 إن يـخـطـ الذـنـبـ الـيـسـيرـ حـفـيـظـاـ لـكـ فـكـمـ مـنـ فـضـيـلـةـ حـمـيـهـ

وكان ابن القارح صاحب الرسالة المشهورة المعروفة يؤدب الوزير المغربي في  
 صباح ، ثم صار يذمه ويعدد معایبه ، حتى قال في هجوه :

لـقـبـتـ بـالـكـامـلـ سـتـرـاـ عـلـىـ نـقـصـكـ كـالـبـانـيـ عـلـىـ الخـصـ  
 فـصـرـتـ كـالـكـنـفـ إـذـاـشـيـدـتـ بـيـضـ أـعـاهـنـ بـالـحـصـ  
 يـاـ عـرـةـ الدـنـيـاـ بـلـاـ عـرـةـ وـيـاـ طـوـيـسـ<sup>(٦)</sup> الشـوـئـ وـالـحـرـصـ  
 قـتـلـتـ أـهـلـيـكـ وـأـنـهـيـتـ يـدـ تـالـلـهـ بـالـمـوـصـلـ تـسـتـعـصـيـ

(١) الضرب : الحفيظ اللحم .

(٢) ذو العباءة : الغليظ ، والدرحية : القصير .

(٣) الثفال بالكسر : الجلد الذي يوضع تحت الرسغ .

(٤) سحابيـهـ القرطـاسـ : ما سـحـيـهـ منهـ ، أـيـ أـخـذـ .

(٥) الفـحـاـ وـيـكـسـرـ : البـزـرـ : وـغـيـ الـقـدـرـ : كـثـرـ أـبـازـيرـهـ .

(٦) طـوـيـسـ : أول من غـيـ في الإـسـلـامـ يـضـرـبـ بهـ الشـلـ فيـ الشـوـئـ ؟ لأنـهـ ولـدـ لـيـلـةـ مـاتـ رسولـ اللهـ عـلـيـهـ الصـلـاـةـ وـالـسـلـامـ ، وـفـطـمـ يـوـمـ مـاتـ أـبـوـ بـكـرـ ، وـبـلـغـ يـوـمـ مـاتـ عمرـ ، وـتـزـوـجـ يـوـمـ قـتـلـ عـمـانـ ، وـوـلـدـ لـهـ يـوـمـ قـتـلـ عـلـىـ .

وبلغ أبا العلاء كلامه فيه فامتنع وتألم . فلما كتب ابن القارح رسالته قال فيها في هذا الخصوص مخاطبًا أبا العلاء : « بلغنى عن مولاي الشيخ — أadam الله تأييده — أنه قال وقد ذكرت له : أعرّه خبرًا ، هو الذي هجا أبا القاسم الحسين ابن على المغربي . فذلك منه أadam الله عنده رائعاً لي ، خوفاً أن يستشرط طبعي ، وأن يتصورني بصورة من يضع الكفر موضع الشك ، وهو بتعريف التكثير أفعى لي عنده ، بخلاف قدره ودينه ونسكه . وأنا أطلعه طلعة ، ليعرف خفظه ورافقه ، وفُراداه وجماعه » . ثم ساق بعد ذلك نوادر عن هذا الوزير في تهوره ومحبته لافتئ ، ونقضه للعهود ، فأجابه أبو العلاء في رسالة الغفران بأن هذا الصديق قد مات ، وأولى بن يغفر الذنب للحي أن يغفره له وهو ميت .

وكان أبو الخطاب محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم الجبيلي<sup>(١)</sup> شاعراً ، وكان بينه وبين أبي العلاء المعري مشاعرة ، وفيه قال أبو العلاء قصيدة :

غير مجدٍ في ملأٍني واعتقادٍ نوحٌ بالكِ ولا ترسم شادِ  
ومات أبو الخطاب في ذي القعدة سنة ٣٦٩ . كذا ذكر ياقوت في

معجم البلدان .

(١) الجبيلي : نسبة إلى جبل بفتح الجيم وتشديد الباء وضمها : بلدة بين النهائين وواسط ، كاف ياقوت .



## شِعْرٌ

---

فَحْصَلَ فِي الْمَكَرِرِ فِي مُعَايِّنِهِ .

» « سُرْقَاتِهِ .

» « مَا أَخَذَ الشُّعُرَاءُ مِنْ شِعْرِهِ .

» « مَقَارَنَةً بِعَضِ مُعَايِّنِهِ بِعَانِي غَيْرِهِ .



## فصل في المكرر في معانيه

تكرير المعنى وقع لـكثير من الشعراء ، ولم نر أحداً عابهم به ، إلا إذا كان المعنى في نفسه ساقطاً مزدولاً ، يؤخذ الشاعر عليه ، ف تكون مؤاخذته على تكريره وترديده أولى . ومن الشعراء من يكرر الألفاظ فيعمد إلى بيت أو شطر بيت سبق له ، فيعيده في قصيدة أخرى ؟ إما بتغيير قافية ، أو بجعل الصدر عجزاً ، أو بالعكس . وهذا النوع يسميه أصحاب البديع بالتفصيل ، فإذا كان مأخوذاً من شعر الغير سمه : إيداعاً ، أو تضميناً ، على اختلاف بينهم فيه . ولم نقصد هنا التكلم عليه ، بل اقتصرنا على ما كرره أبو العلاء من معانيه .

فمنها قوله في تشبيه مسامير حلق الدروع بعيون الجراد :

سليمية من كل قتير يحوطها قتير ثبت عنه الغوانى الموانس  
تخيل أبصار المدى فسهد ومهف وشى بين ذينك ناعس  
كرره فقال :

كان المدى غرق بها غير أعين إذا رد فيها ناظر يستبينها  
وكرره فقال :

كثواب الأرقام مزقتها نفاحتها بأعينها الجراد  
وكرره أيضاً فقال :

بدلاص كأنها بعض ماء الثاد  
حلة الأيم خيطة بعيون الجراد

وَكَرْهَ فَقَالَ :

أَتَا كُلَّ درعٍ أَنْ حَسِبْتَ قَتَّيرَهَا      وَقَدْ أَجْدَبْتَ قِيسَ عَيْنَ جَرَادَ

\* \* \*

وَقُولَهُ فِي تَشْبِيهِ الدَّرَعِ بِالْمَبَرَدِ :

وَمَا بُرْدَةٌ فِي طِبَاهَا مِثْلُ مَبَرَدٍ      بِعَاجِزَةِ عَنْ ضَمِّ شَخْصٍ وَأَوْصَالٍ

كَرْهَ فَقَالَ :

مُضَاعَةٌ فِي نَشْرِهَا يَنْهِيُ مُبَرِّدٍ      وَلَكِنَّهَا فِي الطَّيِّ تُحَسَّبُ مِبَرَدًا

\* \* \*

وَقُولَهُ :

ذَكِيَ الْقَلْبُ يَخْضُبُهَا نَجِيْمًا      بِمَا جَعَلَ الْحَرِيرُ لَهَا جِلَالًا

كَرْهَ وَبَالْغُ فِيهِ فَقَالَ :

غَذَاهُنَّ مُحَرَّرُ النَّجِيْمِ قَوَارِحًا      كَمَا كُنَّ يَغْذَيْنَ الضَّرِيبَ مِهَارًا

\* \* \*

وَقُولَهُ فِي تَشْبِيهِ فَرْنَدِ السَّيْفِ بِآثارِ دَبِيبِ النَّلِ :

وَدَبَتْ فَوْقَهُ حَمْرَ الْمَنَابِيَا      وَلَكِنْ بَعْدَ مَا مُسْخَتْ نَمَالًا

كَرْهَ فَقَالَ :

كَانَ الْمَنَابِيَا جَيْشُ ذَرَّ عَرَصَمٍ      تَخْذَنُ إِلَى الْأَرْوَاحِ فِيهِ مَسَارَا

وَكَرْهَ أَيْضًا فَقَالَ :

مَا كَنْتَ أَحْسَبَ جَفَنًا قَبْلَ مَسْكَنَهُ      فِي الْجَفَنِ يَطْوِي عَلَى نَارٍ وَلَا نَهَرَ

وَلَا ظننت صغار النمل يمكثنا مُشْتَى عَلَى الْلَّهْجَةِ أَوْ سَعْيًا عَلَى السُّعْدِ<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وقوله في تشبيه طحلب الماء بالاشام :

وَمُلْتَشِمٌ بِالْغَلْفَقِ الْجَعْدِ عَرَّسْتَ عَلَيْهِ فَلِمْ تَكْشِفْ خَفْيَةَ لِشَامِهِ  
وَكَرْرَهَ قَوْلَ :

وَكُمْ أَوْرَدْتُهَا عِدَّاً قَدِيمًا يَلوَحُ عَلَيْهِ مِنْ خَزِيرٍ حَمَارٌ

\* \* \*

وقوله :

فَالنَّفْسُ تَبْنِي الْحَيَاةَ جَاهِدَةً وَفِي يَمِينِ الْمَلِيكِ مِقْوَدُهَا  
فَلَا اقْتِحَامُ الشُّجَاعِ مُهْلِكُهَا وَلَا تُوقِنُ الْجَيْانُ مُخْلِدُهَا

كرره فقال :

فَكَنْ فِي كُلِّ نَائِبَةٍ جَرِيشًا تُصِيبُ فِي الرَّأْيِ إِنْ خَطِيَّ الْهِدَانُ<sup>(٢)</sup>  
وَسَائِلُ مِنْ تَنْطِسُ فِي التُّوقِ لَأَيْةٍ عَلَةٍ مَاتَ الْجَيْانُ

\* \* \*

وقوله :

تَقْتَعُ أَبْكَارُ الزَّمَانِ بِأَيْنِهِ وَجَثَنَا بِوْهَنِ بَعْدِ مَا خَرَفَ الدَّهْرَ

كرره فقال :

كَأَنَّا الْخَيْرَ مَا كَانَ وَارِدَةً أَهْلُ الْعَصُورِ فَمَا أَبْقَوْا سَوْيَ الْعَسْكَرَ

وقوله :

وَكُلُّ يَرِيدُ الْعَيْشَ وَالْعِيشَ حَتَّفَهُ وَيَسْتَعْذِبُ الْلَّذَاتِ وَهِيَ رِحَامُ

(١) السعر : جمع سعير .

(٢) الهدان : الضعيف الجيآن .

كروه فقال :

تود البقاء النفس من خيفة الردى وطول بقاء المرء سَمْ مُجَرَّبٌ

\* \* \*

وقوله :

وافتهم في اختلاف من زمانكم والبدر في الوهن مثل البدر في السحر

كروه فقال :

وما البدر إلا واحد غير أنه يغيب ويأتي بالضياء المحدد

فلا تحسب الأقوار خلقاً كثيرة بحملتها من نير متعدد

\* \* \*

وقوله في رثاء أمه :

مضت وقد اكتهلت<sup>١</sup> نحلت أَنِي رضيع ما بلغت<sup>٢</sup> مَدَى الفِطام

وكروه في رثائهما أيضاً فقال :

دعا الله أمّا ليت أَنِي أمامها دُعِيتُ ولو أَنَّ الْمُواجر آصال

مضت وكأني مُرْضعٌ وقد ارتفت بي السن حتى شكل فودي أشكال

## فصل في سرقاته

هذا باب لم أقف عليه مجموعاً ، فيسهل على تناوله ، واستيفاء الكلام فيه ؛ وإنما أذكر منه ما اتفق لي العثور عليه في كتب الأدب عند كتابة هذه النبذة ، أو استخرجه الخاطر السكليل أثناء مطالعة ديوانه . وأبدأ بما خذله من أبي تمام والبحترى وأبي الطيب المتنبى ، ثم أذكر ما خذله من غيرهم من غير ترتيب . فن ذلك قول أبي تمام :

والحظ يُعطاه غير طالبه      ويُحرز الدر غير مجتهبه  
تلك بنات المخاض راتعة      والعود في كوره وفي قتيبه  
أخذه أبو العلاء واحرجه في بيت واحد فقال :  
هو الحظ غير الوحش يستاف أنهه      خزامي وأنف العود بالعود يُخزم

\* \* \*

وقال أبو تمام :

ثم انقضت تلك السنون وأهلها      فكانها وكأنهم أحلام  
أخذه أبو العلاء وزاد عليه ، فقال :  
فأضحكوا حديثاً كالنمام وما انقضى      فسيان منه يقظة ومنام

\* \* \*

وقال أبو عبادة البحترى :

أخجلتني بندى يديك فسودت      ما يدتنا تلك اليد البيضاء  
وقطعتني بالوصل حتى إنني متخفف إلا يكون لقاء  
أخذها أبو العلاء وضمن معناها في صدر بيته ، فقال وأجاد :  
لو اختصرتم من الإحسان زرتك      والذهب يهجر للإفراط في الخصائر

وهذا البيت من معجزاته ، إلا أنه أورده في غزل القصيدة ، وكان مدحها  
أولى به .

\* \* \*

وقال البحترى :

نشوان يطرب للسؤال كأنما      غناه مالك طيئه أو معيبد  
أخذه أبو العلاء وزاد فيه زيادة لا تخفي على الأديب ، فقال :  
فما ناص قرئ ولا هب عاصف      من الريح إلا خاله صوت سائل  
فالبحترى جعل ممدوحه يطرب لصوت السائل ، طرب المنشى من المغنى  
المجيد ، وأبو العلاء جعله كلما سمع صوتا من تطريب حمام ، أو إزعاج أرواح ؛ خاله  
صوت سائل ، لمزيد اعتماده بالسؤال ، وولمه بالفوال .

\* \* \*

وقال أبو الطيب المتنبى في وصف فرس :

وأصرع أئى الوحش قفيقه به      وأنزل عنه مثله حين أركب  
أخذه أبو العلاء فقال :

أصيل الجد سابقه تراه      على الأئين المكرر مستريحا

\* \* \*

وقال أبو الطيب :

يقولون تأثير الكواكب في الوري      فما باله تأثيره في الكواكب  
أخذه أبو العلاء ، فقال :

من قال إن النيرات عوامل      فيضي ذلك في علاك يقول  
يعملن فيها دونهن بزعمه      ولهم دونك مطلع وأفول

قال شارحه أبو يعقوب النحوي : وقول أبي العلاء أرفع ؛ لأنَّه جعل المدوح  
فوق النجوم . انتهى .

وأقول أنا : إنَّ أبي العلاء إنما شرح المعنى ووضَّحَه ، فيبيَّنُ أنَّ علة عدم تأثير  
الكواكب في مندوحة علوة عنها ، وهذا مستفاد من قول المتنبي :

\* فما باله تأثيره في الكواكب \*

لأنَّ المؤثِّر في العادة أعلى وأقوى من المؤثَّر فيه ، فقيمه معنوي بيته المعرى وزيادة ..

\* \* \*

وقال أبو الطيب :

نَحْنُ بَنُو الْمَوْتِيْ فَمَا بِالنَا نَعَافٌ مَا لَا يُدَدُّ مِنْ شَرِبَةِ  
أَخْذَهُ أَبُو الْعَلَاءِ فَقَالَ :

مَا رَغْبَةُ الْحَيِّ بِأَبْنَائِهِ عَمَّا جَنَى الْمَوْتُ عَلَى جَدِّهِ

\* \* \*

وقال أبو الطيب :

وَأَنَا الَّذِي اجتَلَبَ الْمَنِيَّةَ طَرْفَهُ فَمَنِ الْمَطَالِبُ وَالْقَتِيلُ الْقَاتِلُ  
أَخْذَهُ أَبُو الْعَلَاءِ فَقَالَ :

وَآذَةُ الْعَاشِقِ فِي طَرْفِهِ وَآذَةُ الصَّارِمِ مِنْ حَدَّهِ

وَكُلَا الْبَيْتَيْنِ فِيهِ زِيَادَةٌ عَنِ الْآخَرِ لَا تَخْفِي .

\* \* \*

وقال أبو الطيب :

تَمَرِّبُكَ الْأَبْطَالُ كَلْمَى هَزِيَّةَ وَوَجْهُكَ وَضَاحٍ وَثَغْرُكَ بَاسِمَ  
أَخْذَهُ أَبُو الْعَلَاءِ ، فَقَالَ :

يَتَهَلَّلُونَ طَلَاقَةً وَكَلُومُهُمْ يَنْهَلُّ مِنْهُنَّ النَّجِيْعُ الْأَحْمَرُ

وبيته أبلغ في المدح ، لأنَّ غاية المتنبي أنَّ وصف ممدوحه يتمُّله عند هزيمة  
جيشه ، احتقاراً للأختار . والمعرى جعل ممدوحيه يتملؤن وهم مصابون يقطر  
منهم الدم .

\* \* \*

وقال أبو الطيب :

يَوْتَ راعِي الصَّانِ فِي جَهَلِهِ مِيتَةُ جَالِينُوسَ فِي طَبِيهِ  
وَرِبَّا زَادَ عَلَى عُمُرِهِ وَزَادَ فِي الْأَمْنِ عَلَى سَرِّهِ  
أَخْذَهُ أَبُو الْعَلَاءَ ، فَقَالَ :

رَدَدْتُ إِلَى مَلِيكِ الْخَلْقِ أَمْرِي فَلَمْ أَسْأَلْ مَتَى يَقْعُدُ السَّكْسُوفُ  
فَكُمْ سَلَمَ الْجَهُولُ مِنَ الْمَنَايَا وَعَوْجَلَ بِالْحِمَامِ الْفِيلِسُوفُ

\* \* \*

وقال أبو الطيب :

فِي رَتَبَةِ حَبَّبِ الْوَرَى عَنْ نِيلِهَا وَعَلَّا فَسَمَّوْهُ عَلَيْهِ الْحَاجِبَا  
أَخْذَهُ أَبُو الْعَلَاءَ فَقَالَ :

وَقَدْ سَمَاهُ سَيِّدُهُ عَلَيْهَا وَذَلِكَ مِنْ عَلُوِ الْقَدْرِ فَأَلَّ  
وَفِي بَيْتِ الْمَتَنَبِيِّ زِيَادَةً سَاعَدَ عَلَيْهَا لَقْبُ مَمْدوحِهِ .

\* \* \*

وقال أبو الطيب أيضاً :

أَتَى الزَّمَانَ بَنْوَهُ فِي شَبَابِهِ فَسَرَّهُمْ وَأَثْنَاهُ عَلَى الْقَوْمِ  
أَخْذَهُ أَبُو الْعَلَاءَ فَقَالَ :

تَقْعُدُ أَبْكَارُ الزَّمَانِ بِأَيْدِيهِ<sup>(١)</sup> وَجَثَنَا بِوْهَنْ بَعْدَ مَا خَرَفَ الدَّهْرِ

\* \* \*

(١) الأيد : القوة .

وقال أبو الطيب :

وقد يقترب الوضوء جداً ومحضه لها متساعدان  
أخذه أبو العلاء ، فقال :

قد يبعد الشيء من شيء إشارة إن السماء تغير الماء في الزرقي

\* \* \*

وقال أبو الطيب :

ولما حفنت عن لحي فعادت لها زرافي مذلة عباء  
أخذه أبو العلاء ، فقال :

وكم عين تؤمل أن تراها وتتفقد عند رؤيتها السواد  
ربطة : إذا رأي حفيت عبها فكلأنها سميت ، وقدت سوادها .

\* \* \*

وقال عمارة بن عقيل :

وما النفس إلا نطفة <sup>(١)</sup> في قراربة فإذا لم تُكدر كان صفوًا غديرها  
أخذه أبو العلاء ، فقال :

وانخل كلامه يدي لى خلاته مع الصفاء وبخفيها مع الكدر

\* \* \*

وقال النابغة الذبياني في النعان :

ولات شمس وللوك كواكب إذا طلت لم يهد منها كوكب  
أخذه أبو العلاء ، فقال في قصر نزلته عروس متوجهة ، تخرج من كان فيه

من حاشيته :

(١) النطفة باضم : لاء المضاف قبل أو أكثر .

كان كالافق حين هلت به الشهـ سـ تـنـادـتـ نـجـومـهـ بـالـمسـيرـ

\* \* \*

وقال عـدـيـ بنـ الرـعـاءـ :

لـيـسـ مـنـ مـاتـ فـاسـتـرـاحـ بـمـيـتـ إـنـاـ الـمـيـتـ مـيـتـ الـأـحـيـاءـ  
أـلـمـ بـهـ أـبـوـ الـعـلـاءـ فـقـالـ :

سـالـمـ أـعـدـائـكـ مـسـتـسـلـمـ وـالـعـيـشـ مـوـتـ لـهـ مـرـغـيمـ

\* \* \*

وـقـالـتـ لـيـلـيـ أـخـتـ الـولـيدـ بـنـ طـرـيفـ تـرـثـيـهـ :

أـيـاـ شـجـرـ الـخـابـورـ مـالـكـ مـوـرـقاـ كـأـنـكـ لـمـ تـجـزـعـ عـلـىـ اـبـنـ طـرـيفـ  
أـخـذـهـ أـبـوـ الـعـلـاءـ وـتـصـرـفـ فـيـهـ ،ـ فـقـالـ :ـ  
وـمـاـ كـنـتـ أـدـرـىـ أـنـ مـشـلـكـ يـشـتـكـيـ وـلـمـ يـتـغـيـرـ لـلـرـيـاحـ نـسـمـ

\* \* \*

وـقـالـ عـبـيـدـ بـنـ الـأـبـرـصـ يـصـفـ السـحـابـ :

كـأـنـ أـقـرـابـهـ لـمـ عـلـاـ شـطـيـباـ<sup>(١)</sup> أـقـرـابـ أـبـلـقـ يـبـغـيـ الـخـيلـ رـمـاحـ

أـخـذـهـ أـبـوـ الـعـلـاءـ فـقـالـ :

سـرـتـ لـهـ تـرـمـحـ أـفـلـاءـهـ فـيـ الجـوـ بـلـقـ عـرـبـيـاتـ

ذـكـرـواـ أـنـهـمـ يـصـفـونـ السـحـابـ بـالـبـلـقـ ،ـ لـمـ فـيـهاـ مـنـ لـقـعـ البرـوقـ ؟ـ وـهـوـ قولـ  
حسـنـ .ـ وـالـأـقـرـابـ عـنـدـيـ أـنـهـمـ يـصـفـونـهاـ بـذـلـكـ ،ـ لـأـنـ فـيـهاـ مـاـ هـوـ رـقـيقـ ،ـ وـمـاـ هـوـ  
كـثـيـفـ ،ـ وـمـاـ هـوـ مـقـطـعـ ؟ـ فـيـخـيـلـ لـنـاظـرـهـ أـنـهـاـ بـلـقاءـ .ـ

\* \* \*

---

(١) الأقرب : جمع قرب بالضم أو بضمتين ، وهو الحاصرة . وشطب : جبل معروف ..

وقال الحطيئة :

يرى البخل لا يُبْنِي على المرأة ماله ويعلم أن المرأة غير مخلدة  
أخذته أبو العلاء فقال :

إذا أُوقيت مالاً فابذنه لها يُبْقِيه توفير وخران

\* \* \*

وقال الأفوه الأوزدي :

وقدور كالرثاء راكدة وجنان كالمجواني متربعة  
أغار عليه أبو العلاء فقال :

وقدورهم مثل المصائب راكداً وجناهم كرحمية الأنفاس<sup>(١)</sup>

\* \* \*

وقال كثيير عزة :

وكنت كذات الظلم لما تحاملت على ظلمها بعد المثار استقلت  
أخذته أبو العلاء فقال :

أودعكم يا أهل بغداد والحسنا على زفات ما يَبْنِي من المذع  
وردائع ضن<sup>(٢)</sup> لم يستقل وإنما تحامل من بعد المثار على ظلم

\* \* \*

وقال اسرؤ القيس :

وقد أغتنى والطيرني وكتابتها بمحجره قيد الأوابد هيكل  
أخذته أبو العلاء، وغلا بأن جعله قيداً للريح، فقال :

(١) الأنفاس : جمع نفف ، وهي البرية الواسعة .

(٢) ضن كرضي ، فهو ضن وضل : مرض .

وخيلاً لو جرت والريح شاؤاً ظننا الريح أوثقها إسأواً

\* \* \*

وقال أبو فراس الحمداني :

ونحن أناس لا توسيط بيننا لنا الصدر دون العالمين أو القبر

أخذه أبو العلاء ، فقال :

وأصبح واحد الرجالين إما مليكاً في العاشر أو أبيلاً

\* \* \*

ل بديع الزمان الهمذاني :

وكاديَّكِيَّكِ صوب الغيث منسكيَا لو كان طلق المحيَا يُطرِّدَهَا

والدَّهْرِ لَوْلَمْ يَخْنُونْ الشَّمْسَ لَوْنَطَقَتْ واللَّيْثَ لَوْلَمْ يَصَدَّ وَالبَحْرَ لَوْلَمْ عَذَبَهَا

أخذ أبو العلاء نصف شطر منه ، وقصر أى تقصير ، فقال :

إذا قيل بحر فهو ملح مكدر . وأنت نمير الجود عذب الشمائل

\* \* \*

وقال أبو حية النميري :

ولقا أبْتَ إِلَّا التَّوَاءَ بُودَهَا وَتَكْدِيرَهَا الشَّرْبَ الَّذِي كَانَ صَافِيَا

شَرَّ بَنَا بِرْنَقَ<sup>(١)</sup> مِنْ هَوَاهَا مَكَدَرَ وَكَيْفَ يَعْافُ الرَّنْقَ مِنْ كَانَ صَادِيَا

وَالْبَيْتَانَ فِي غَايَةِ الْحَسْنِ ، إِلَّا أَنْ أَبَا الْعَلَاءَ ضَمَنَ مَعْنَاهَا فِي بَيْتٍ ، فَقَالَ :

ولما أَنْ تَجْهَمَنِي سَرَادِي جَرِيتُ مَعَ الزَّمَانِ كَمَا أَرَادَا

\* \* \*

وقال أبو الشيص :

أَجَدُ الْمَلَامَةَ فِي هَوَاكِ لَذِيْدَةَ طَمَّا لَذَكْرَكِ ، فَلِيَلْمَنِي اللَّوْمَ

(١) الرَّنْقُ وَالرِّينَقُ : السَّكَدَرُ .

أخذه أبو العلاء فقال :

لم يبق غير العذل من أسبابهم فأحب من يدنو إلى عذول

\*\*\*

وقال أبو الشمقمق في حرّاقه<sup>(١)</sup> طاهر بن الحسين :

عجبت حرّاقة ابن الحسين كيف تعمّوا ولا تغرق  
وبحران من تحتها واحد وآخر من فوقها مطبق  
وأعجب من ذاك عيدها وقد مسّها كيف لا تورق  
أخذ أبو العلاء البيت الثالث ، وزاد فيه بأنّ بين عَلَّة عدم إيراق العود

وأحسن التعليل ، فقال :

من كلّ منْ لو لا تستقرْ بأسه لاخضرَ في يمني يديه الأسمَرُ

\*\*\*

وقال آخر في الحمام ، وينسب للمنازى :

شجى قلب الخلائق فقيل غنى . وبرّح بالشجى فقيل ناحا

قصر أبو العلاء في أخذه فقال :

فقلتْ تغنىْ كيف شئتْ فإنما غناوىْ عندى يا حامة إغوالْ

\*\*\*

وقالت ولادة بنت المستكفي :

ترقب إذا جنَّ الظلام زيارتي  
وفي منك ما لو كان بالشمس لم تلُغْ  
فإنما رأيت الليل أكتم لاسير

وقال أبو العلاء :

منك الصدود ومني بالصدود رضا منْ ذا علىْ بهذا في هوائل قفوا

(١) حرّاقه : سفينة فيها صراغ نيران ، يرمي بها العدو .

بِي مِنْكَ مَا لَوْغَدَ بِالشَّمْسِ مَا طَلَمَتْ      مِنَ الْكَآبَةِ أَوْ بِالْبَرْقِ مَا وَمَضَا  
وَلَمْ أَدْرِأْ يَهُمَا أَخْذَ مِنَ الْآخِرِ ، لاجْتِمَاعِهِ مَا فِي عَصْرٍ وَاحِدٍ . وَلَا يَبْعَدُ أَنْ يَكُونَ  
مِنَ التَّوَارِدِ ، إِلَّا أَنْ قُولَّ وَلَادَةَ أَبْلَغَ !

\* \* \*

أَمَا قُولُ أَبِي الْعَلَاءِ :

مِنِ إِلَيْكَ مَعَ الرِّياحِ تَحْمِيةٌ      مَشْفُوعَةٌ وَمَعَ الْوَمِيقَضِ رَسُولٌ  
فَلَا يَعْدُ مِنَ السُّرْقَةِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنْ سَبَقَهُ غَيْرُهُ إِلَيْهِ ؛ لِأَنَّ إِرْسَالَ التَّحْمِيَةِ مَعَ  
النَّسِيمِ أَوِ الْبَرْقِ مِنَ الْمَعْانِي الشَّائِعَةِ الَّتِي تَدَاوِلُهَا الشُّعُرَاءُ ، وَلَمْ تَزُلْ تَدَاوِلُهَا .  
وَإِنَّمَا يَظْهُرُ التَّفَاضُلُ بَيْنَهُمْ فِيهَا بِحُسْنِ سُبُكِهِمْ وَإِبْرَازِهِمْ فِي الْفَظْقِ الْمُقْبُولِ ، وَالتَّلْطِيفُ  
فِي تَصْوِيرِهِمْ . وَلَهَذَا تَرَكَتِ التَّنْبِيَةُ عَمَّا وَقَعَ فِي شِعْرِهِمْ مِنْهَا ، كَمَا أَنِّي لَمْ أَتَعَرَّضْ لِمَا  
خَفِيَ وَدَقًّا مِنْ سُرْقَاتِهِ ؛ إِلَّا يَمْرُ نَاظِرُ عَلَيْهِ مِنْ غَيْرِ تَثْبِتِ فِينَكِرَهُ ، وَيَرْمِيَنِي  
بِالْخُطْلَأِ أَوِ التَّحَامِلِ .

\* \* \*

وَاعْلَمُ أَنَّ مَا ذَكَرْنَا هُوَ عَنِ الْمَعْرِيِّ فِي هَذَا الْبَابِ قَلَمًا يَخْلُو مِنْهُ شَاعِرٌ قَدِيمٌ  
أَوْ حَدِيثٌ ، وَلَسْنَا بِوَاصِلِيْنِ فِيهِ إِلَى حدِ الْجُزْمِ بِأَنَّهُ تَعْمَدُ سُرْقَتِهِ ؛ إِذْ قَدْ يَعْرِضُ  
الْمَعْنَى لِلشَّاعِرِ فِي نِظَمِهِ ، وَلَا يَمْرُ بِخَاطِرِهِ وَقْتُ نِظَمِهِ أَنَّهُ مَسْبُوقٌ بِهِ ، وَرَبِّهَا كَانَ  
مَمَّا لَمْ يَقْفِ عَلَيْهِ فِي شِعْرِ غَيْرِهِ . وَبَابُ التَّوَارِدِ وَاسِعٌ ، كَمَا وَقَعَ لِطَرَفَةَ بْنِ الْعَبْدِ  
وَأَمْرَى الْقَدِيسِ فِي قُولِهِ :

وَقُوْفَأَ بِهَا صَحَّبِيَ عَلَى مَطَاعِيْهِمْ      يَقُولُونَ لَا تَهَلِّكْ أَسَى وَتَجَمِّلِ  
فَأَنِّي بِهِ طَرَفَةٌ فِي مَعْلَقَتِهِ مُغَيَّرًا (قَافِيَتِهِ) فَقَطْ ، فَقَالَ : (وَتَجَلِّدِي) بَدْل (وَتَجَمِّلِ)،  
جُوْفَلَتْ عَنْدَ الرَّوَاةِ أَنَّهُ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْهِ قَبْلَ ذَلِكَ . وَقَالَ عَلَى بْنِ مُنْصُورِ الْخَلَبِيِّ الْمَعْرُوفِ

بابن القارح<sup>(١)</sup>: «كان محمد بن وكيع متاداً ظريفاً، ويقول الشعر، وعمل كتاباً في سرقات المنبي، وحاف عليه كثيراً. وسألني يوماً أن أخرج معه، وانشأ صحبة مُفْتَنِي وأمره ألا يغنى إلا بشعره، ففني:

لو كان كل عليل يزداد مثلك حسنا  
لكان كل صحيح يود لو كان مُضئَّ  
يا أكل الناس حسنا صِيلْ أَكَلَ النَّاسَ حُزْنَا  
غَنِيت عنى ومالي وجه به عنك أغنى

فقلت: أتشغل عليك المؤاخذة؟ فقال: لا. قلت: أبياتك مسرورة؟

الأول من قول بعضهم:

لو كان المريض يزيد حسنا  
لما عيدَ المريض إذاً وعدَتْ  
شكايته من النعم الحسام

والثاني من قول رؤبة:

مسلم<sup>(٢)</sup> لا أنساك ما حَيَّيْتُ لو أشرب الشلوانَ ما سَلِيتُ  
\* مالي غَنِيت عنك ولو غَنِيت<sup>(٣)</sup> \*

قال: والله ما سمعت بهذا، قلت: إذا كان الأمر على هذا، فاعذر المنبي على مثله، ولا تبادر إلى التحط عليه، ولا المؤاخذة له؛ والمعنى يستدعي بعضها بعضاً. » . اتهى .

(١) ابن القارح هذا هو الذي أرسل برسالته الشهورة لأبي العلاء المعري، فأجابه عليها الله الفران .

(٢) يخاطب مسلمة بن عبد الملك .

(٣) دوایة دیوان رؤبة: (ما بني غنى عنك وإن غنيت ) .

ولا بد لنا قبل ختم هذا الباب من ذكر نوع يعده كثيرون من السرقة  
وليس منها ، كقول الطغرائي :

وذى شطاط كصدر الرمح معتقل بمثله غير هياب ولا وكل  
وقول الحريري في مقامته الرابعة والأربعين من قصيدة باشية :  
وذا شطاط كصدر الرمح معتقل صادفته بمنى يشكوا من الحدب  
قال الصدري : « ومثل هذا لا يعد سرقة ؟ لأن المعنى ليس ببديع ، ولا لفظه  
بغضيع <sup>(١)</sup> ، ولا الطغرائي بعجز عن الإتيان بمثله ، بل جرى على لسانه ، ونسى  
أن هذا لغيره ؟ لعدم الاحتفال بأمره إذ هو ليس بأمر كبير ، وهذا كثير  
الوقوع للناس ، لا يكاد يسلم التحول منه . » . انتهى كلامه .

وقال التنوخي في ذهر الربيع : « وما يعد سرقة وليس بها ، اشتراك اللفظ  
المتعارف ، كقول عنترة :

وخيـل قد دافت لها بخيـيل عـلـيـها الأـسـد تـهـتـصـرـ اـهـتـصـارـاـ  
وقـاتـ الـخـنـاءـ :

وخيـل قد دافت لها بخيـيل فـدارـتـ بـيـنـ كـبـشـيهـاـ رـاحـاهـاـ» .  
انتهى .

قلت : وتحقيق المقام أن الكلام المأذوذ يشترط فيه ألا يكون ذا معنى كبير  
أو لفظ بالغ حدّاً ما من الرشاقة ، فإذا أدرجه الشاعر في بيته جاء به غير مقصود  
لذاته ، بل يجعله كالتوطئة لمعنى آخر مقصود له ، يبني البيت عليه . ويظهر لك ذلك  
فيما استشهد به الصدري والتنوخي ، وهو كثير في شعر العرب والمحدثين ، وقد  
وقفت منه على جملة صالحة ، لوجمعت لجأات رسالة لطيفة ، كقول الراعى الشهيرى :

(١) أي عظيم .

فَتَى يَشْتَرِي حَسْنَ النَّاءِ بِعَالَهٖ إِذَا مَا اشْتَرَى الْخَزَّاَةَ بِالْجَمْدِ بِيَهْسٍ  
وَهُوَ مُثْلُ قَوْلِ الْأَيْرِدِ :

فَتَى يَشْتَرِي حَسْنَ النَّاءِ بِعَالَهٖ إِذَا السَّنَةَ الشَّهِبَاءَ<sup>(١)</sup> أَعْوَزَهَا الْقَطْرُ  
وَتَبَعَّهُمَا أَبُو نَوَاسٍ فَقَالَ :

فَتَى يَشْتَرِي حَسْنَ النَّاءِ بِعَالَهٖ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتَ تَدْوَرُ  
وَقَوْلُ دَرِيدَ بْنِ الصَّحَّةِ :

أَمْرُهُمْ أَمْرٌ بِمَنْعِرَجِ الْلَّوِي فَلَمْ يَسْتَبِينُوا الرَّشْدَ إِلَّا ضَجَّى الْغَدِ  
وَهُوَ مُثْلُ قَوْلِ الْمَتَّلِسِ :

أَمْرُهُمْ أَمْرٌ بِمَنْعِرَجِ الْلَّوِي وَلَا أَمْرٌ لِمَغْصِي إِلَّا مُضَيَّعٌ  
وَفِي هَذَا الْقَدْرِ كَفَىْهُ . وَالْكَلَامُ فِي السَّرْقَاتِ الشَّعْرِيَّةِ وَأَنْواعِهَا ، وَاسْتِيَمَاب  
مَا قَبِيلَ فِيهَا ، لَا يَتْسَعُ لَهُ مُثْلُ هَذَا الْخَتْصَرٍ ؛ فَإِذَا مَنْ اللَّهُ بِتَوْفِيقِهِ ، وَكَانَ فِي الْعُمْرِ  
مُهْلَةً ، وَضَعَفَنَا فِيهَا رِسَالَةً تَسْتَقْلُ بِجَمْعِ شَتَّاتِهَا ، وَتَفَصِّيلُ مَا أَجْهَلَ مِنْهَا .

وَمِنْ غَرِيبِ مَا وَقَفَتْ عَلَيْهِ مِنْ مَلَاحِظَتِهِمْ ، مَا رَوَاهُ عَلَيْهِ بْنُ الْعَبَّاسِ  
النُّوبِيُّ ، قَالَ : قَالَ لِي الْبَحْرَنِيُّ : أَتَدْرِي مِنْ أَيْنَ أَخْذَ الْحَسَنَ<sup>(٢)</sup> قَوْلُهُ :  
وَلَمْ أَدْرِ مَنْ هُمْ غَيْرُ مَا شَهَدْتُ بِهِ بِشَرْقِ سَابَاطِ الدِّيَارِ الْبَصَابِسِ  
عَمِتْ : لَا ، فَقَالَ : مِنْ قَوْلِ أَبِي خَرَاشِ :

وَلَمْ أَدْرِ مَنْ أَلْقَى عَلَيْهِ رِدَاءَهُ وَلَكِنَّهُ قَدْ سُلِّمَ عَنْ مَاجِدٍ تَخْضِي  
فَقَلَتْ : الْمَعْنَى يَخْتَلِفُ ، فَقَالَ : إِنَّا نَرَى حَذْوَ الْكَلَامِ وَاحِدًا وَإِنْ اخْتَلَفَ  
الْمَعْنَى . اتَّهَى .

(١) السَّنَةُ الشَّهِبَاءُ : السَّكِيرَةُ الْمُلْعَجُ الْجَدِيدَةُ ، وَالشَّهِبَاءُ أَمْثَلُ مِنَ الْبَيْضَاءِ ، وَالْحَمَاءُ أَشَدُ  
مِنَ الْبَيْضَاءِ . وَسَنَةُ غَيْرَاءٍ : لَا مَطْرَفٌ فِيهَا .

(٢) الْحَسَنُ هُوَ أَبُو نَوَاسٍ .

قلت : إذا كان مراد البحترى مجرد البيان ، فقد لاحظ ملاحظة دقيقة ،  
وإذا كان قصده الخط من أبي نواس والنعى عليه ، فقد لعمرى ركب متن  
عشواء ، وتخبط في ظماء ؟ فإن احتذاء كلام العرب مطلوب في البلاغة ، وما  
حث العلما على إكثار النظر في أشعارها واستظهارها إلا توصلًا إلى ذلك .  
ولولا محاولة ما صبرنا على الفدائر المستشرفات ، والفنون المتشكل ؟ بل لو لم  
يصل البحترى شعره بقلائد المسنحة العربية ، ما كانت له الدبياجة الغريبة التي  
انفرد بها بين معاصريه ، وبذ بها أهل طبقته . والله أعلم .

### فصل في مأخذ الشعراء من شعره

القول في هذا المباب كالمقال في سابقه ؟ فلهذا نقتصر على ذكر ما حضر منه ، دون استيعاب سائره . فهذا قول أبي العلاء :

لَا تطلبنِ بآلةِ لَكْ رفعَةٍ  
سُكُنَ السَّهَا كَانَ السَّهَا كَلَامَهُ  
أَخْذَهُ أَبُو إِسْحَاقَ الْفَزَّاعِيُّ ، فَقَالَ :

والحسن والقبح قد تحويهما صفة  
شان البياض وزان الشيب والشنة  
طلبًا المخارف<sup>(١)</sup> أقلام مكسرة  
ردمهن وأقلام السعيد ظلبا

三

وقال أبو العلاء بصف خيلا :

ولما لم يسابقهن شيءٌ من الحيوان سابقهن الظلال  
أخذه ابن حمديس فقتل وأجاد:

ويكاد يخرج سرعة من ظله لو كان يرغب في فراق رفيق

\* \* \*

يقال أبو العلاء :

إذا اشتاقت الخيل المناهل أعرضت عن الماء فاشتاقت إليها المناهل  
أخذه الطغافى فقال:

ونفس بأعقاب الأمور بصورة فـا من طلائع الغيب حاد وقلد  
وتألف أن يشفى الزلال غميمها إذا هي لم تستحق إليها الموارد

卷二

(٤) يقال بـرجل مخالف بالمعجمة وـمخارف بالمهملة وـيُفتح الراء فـهـما، أي محدود ممنوع .

وقال أبو العلاء :

وَمَا ازدَهِيتْ وَأَثُواب الصبا جُدُّ  
فَكَيْفَ أَرْهَى بِثُوبِ مِنْ صِبَّا خَلَقَ  
أَخْذَهُ الطَّغْرَائِيْ أَيْضًا فَقَالَ :

لَمْ أَرْقَضْ الْعِيشَ وَالْأَيَامَ مُقْبَلَةَ فَكَيْفَ أَرْضَى وَقْدَ وَلَتْ عَلَى عَجَلِ

\* \* \*

وقال أبو العلاء :

وَاقْتَهَمْ فِي اخْتِلَافِ مِنْ زَمَانَكُمْ وَالْبَدْرُ فِي الْوَهْنِ مِثْلُ الْبَدْرِ فِي السُّحْرِ  
أَخْذَهُ الطَّغْرَائِيْ فَقَالَ :

مُجَدِّى أَخْيَرًا وَمُجَدِّى أَوْلَى شَرَعْ<sup>١</sup> وَالشَّمْسُ رَادُ الضَّحْجَى كَالشَّمْسِ فِي الْطَّفَلِ  
قَالَ الصَّفْدَى : وَلَكُنْ قَوْلَ الْمَعْرِى أَصْفَافُ عِبَارَةٍ ، وَأَحْسَنُ شَارَةٍ وَإِشَارَةٍ ؛  
لَاَنَّ الطَّغْرَائِيْ أَغْرَبَ فِي لِنْظَقِي رَأْدَ وَالْطَّفَلِ ، وَعَذْوَبَةَ الْأَلْفَاظِ أَمْرُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ .  
أَتَهُى . وَقَدْ نَاقَشَهُ بَدْرُ الدِّينِ الدَّمَامِيُّ فِي « نَزْوَلِ الْغَيْثِ » بِمَا لَا يَخْلُو إِرَادَهُ مِنْ  
فَائِدَةٍ ، وَنَصَّ عِبَارَتَهُ : « أَقُولُ : الإِغْرَابُ فِي الْأَلْفَاظِ ، هُوَ الْإِتِيَانُ بِهِ غَرِيبًا ، وَقَدْ  
فَصَ بَعْضُ الْأُمَمَةِ عَلَى أَنَّ الْغَرَابَةَ كَوْنُ الْكَلَامَةِ وَحْشِيَّةَ غَيْرِ ظَاهِرَةِ الْمَعْنَى ، وَلَا مَأْنَوْسَةَ  
الْاسْتِعْمَالِ ؟ فَهَنَّهُ مَا يَحْتَاجُ فِي مَعْرِفَتِهِ إِلَى أَنْ يَنْقُرَ وَيَبْحَثَ عَنْهُ فِي كِتَابَ الْلِّغَةِ  
الْمُبَسوَّطَةِ ، ثُمَّ الْغَرِيبُ مِنْهُ حَسْنٌ ، وَهُوَ الَّذِي لَا يَعْبُدُ اسْتِعْمَالَهُ عِنْدَ الْعَرَبِ : لَأَنَّهُ  
لَمْ يَكُنْ وَحْشِيَا عَنْهُمْ ، مِثْلَ الشَّمَّخَرَ وَاقْطَرَ ، وَمِنْهُ قَبِيجُ يَعْبُدُ اسْتِعْمَالَهُ مُطْلَقاً ،  
وَيُسَمِّي الْوَحْشَى الْغَلِيظَ ؟ وَهُوَ أَنْ يَكُونُ ، مَعَ كَوْنِهِ غَرِيبُ الْاسْتِعْمَالِ ، ثَقِيلَاً عَلَى  
الْسَّمْعِ ، كَرِيهَا فِي الذَّوْقِ ، وَيُسَمِّي الْمَتَوَعِرَ أَيْضًا ، مِثْلَ اطْلَخِ الْأَمْرِ . وَعَلَى كُلِّ تَقْدِيرِ  
فَلَا نَسْلِمُ أَنَّ رَأْدَ وَالْطَّفَلَ مِنَ الْغَرَابَةِ فِي شَيْءٍ ، كَمَا دَعَاهُ الصَّفْدَى . وَفِي قَوْلِهِ : وَعَذْوَبَةَ  
الْأَلْفَاظِ أَمْرُهُمْ فِي الْبَلَاغَةِ ، قَرِينَةُ دَالَّةٍ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ أَنَّ الرَّأْدَ وَالْطَّفَلَ مِنَ الْغَرِيبِ  
الْمُسْتَكْوِهِ فِي الذَّوْقِ ، الْمُسَمَّى « الْمَوْعِرَ » وَظَاهِرُهُ أَنَّ ذَلِكَ خَطَا نَشَأَ مِنْ سَوْءِ النَّوْقِ ،

وعدم المعرفة بكلام القوم ، والإعراض عن التدبر لاصطلاحهم » . انتهى كلامه .

\* \* \*

وقال أبو العلاء :

وأغدو ولو أن الصباح صوارم      وأسرى ولو أن الظلام جحافل  
أخذه عفيف الدين التلمساني فقال :

أسيء ولو أن الصباح مواكب      وأسرى ولو أن الظلام قسام

\* \* \*

وقال أبو العلاء في سيف :

ودبت فوقه حمر المنايا      ولكن بعد ما مسخت نمالا  
أخذه الوزير أبو محمد عبد الغفور فقال :

ترى المنايا الحمر فيه وجوهنا      مئاتة الأرواح في خلقة الدر

\* \* \*

وقال أبو العلاء :

والنجم تستصغر الأبصار رؤيه      والذنب للطرف لا للنجم في الصغر  
أخذه التهامي فقال :

لم أخف إلا لعلوٍ وإنما تخطي الشهانة الملوء الأبصار

\* \* \*

وقال أبو العلاء :

وفضل الشمس في الأيام باق      وإن مدّت من الكبر الاعباء  
أخذه ابن سباء الملك : فقال من قصيدة يهجو بها الشمس :

أنت عجوز لم تبرجت لي      وقد بدا منك لساب يسيل

\* \* \*

وقال أبو العلاء :

خفف الوطاء ما أظن أدبم الأ      رض إلا من هذه الأجساد

أخذه مهيار الديلمي فقال :  
رويدا بأخفاف المطى فإنما تداس جباء في الثرى وخدود

\* \* \*

وقال أبو العلاء فأجاد :  
الموقوف بنجذ نار بادية لا يحضرُونَ وقد العزَّ في الحضرَ  
إذا همَّ القطرُ شبتها عبيدهم تحت الغائم للسارين بالقطرُ  
أى إذا أطفأ المطر نارهم شبتها عبيدهم بالقطرِ ، وهو العود ليهتدى السارى  
برأته . قال الصدقى : وعليه اعتمد ابن عباد فى قوله ، على أنه ما فارق المغنى ،  
ولا خالف المعنى ؟ وهو :

المكثيرين من الكِبَاء<sup>(١)</sup> بنا رهم لا يقدون بغـيره للسارى

\* \* \*

وقال أبو العلاء :  
سألن فقلت مقصدنا سعيد فكان اسم الأمير لهن فالا  
أخذه عصرينا سليم رحمى بك رحمة الله ، فقال فى محمد شريف باشا وزير مصر :  
يقول القوم مطلبكم عزيز فقلت نعم ومقصدنا شريف

\* \* \*

وقال أبو العلاء :  
تحية كسرى فى النساء وتبع لربك لا أرضى تحية أربع  
أخذه أحمد شوق بك ، فقال فى مدح السلطان عبد الحميد :  
سلام الله لا أرضى سلامى فكل تحية دون المقام

(١) الكباء ككساء : عود البغور ، أو خرب منه .

## فصل في مقارنة بعض معانٍ بمعانٍ غيره

قال أبو العلاء :

جمل يمثلك أن يزور بلادنا  
يختال بين أساور وخلال خل  
حتى يجاوزها بحلة عاطل

وقال الوزير ابن زيدون :

تعيدهك أني زرت نورك واضح  
هبيك اعتررت<sup>(١)</sup> الحى واشيك هاجع  
فكيف اعتصفت الهول خطوك مدمج  
وردفك رجاج وخرصرك مخطف<sup>(٢)</sup>

أقول : مدار المعنى في الشعرتين على التعجب من مخاطرة هذه المشوقة في زيارتها صاحبها . فتناوله كلا الشاعرين ، وتلاعب به ، فأبرزه في الصورة التي شاء له اقتداره إبرازه فيها ؛ وقد أجاد كل منهما فيما حاوله ، وتساويا في الإحسان ، فلا أرى للترجيع مدخلًا بينهما . ويلوح لي أن كليهما اعتمد في توليد معناه على قول أبي الطيب :

قلق المليحة وهي مسلك هتكها  
ومسیرها بالليل وهي ذكاء  
ولا يظهر ما قلته إلا بزيادة التدقّيق ، وإطالة التأمل .

\*\*\*

وقال أبو العلاء :

آلي أميرك لا يسرى الخيال لنا  
إذا جمعنا فقد أسرى وما علما  
وكم تمنت رجال فيك مغضبة<sup>(٣)</sup>  
أن يبصروه فلم يظهر لهم سقما

(١) المتر : الرائز .

(٢) الأغصن : المظلوم .

(٣) المخطف : المنطوى .

وقال مانى المؤوس و قد سأله محمد بن طاهر إجازة قول الشاعر :  
حجبوها عن الرياح لأنى قلت ياريح بلغيها السلاما  
لورضوا بالحجاب كان ولكن منعوها يوم الرياح السلاما  
فقال :

فتتنفست ثم قلت لطيفي ويلك لو زرت طيفها إماما  
حيثها بالسلام سرراً وإلا منعوها لشقوتي أن تناها  
أقول : خلاصة المعنى المبالغة في الحجر عليها . فادعى أبو العلاء أن ولّ  
أمرها بالغ في حجتها ، حتى حلف على خيالها ألا يزور حبيبها ، ولكن الخيال  
غافله وزاره ، ولضناه في حبه نحل ، تخفي على من يترصد رؤيته . وقصّر مانى فلم  
تصل يده إلى الخيال . ويبيتاته على ما فيهما من حسن التخييل وعدوّة الألفاظ  
ينحطان عن بيته أبي العلاء .

\* \* \*

وقال أبو العلاء :

ذكرت بها قطعاً من الليل وافيها مضى كمضى السهم أقصر من قطع  
وقال آخر :

ظلينا عند دار أبي نعيم بيوم مثل سالفه الذباب

وقال آخر :

ويوم كإيهام القطة مزيّن إلى صباح غالب لي ياطله  
فأبوا العلاء شبهه الليل في قصره بالقطع ، وهو النصل الصغير . والثاني شبهه  
يومه في قصره بعنق الذباب . والثالث شبهه بإيهام القطة . قال أبو يعقوب  
النجوي : وهذا أشد مبالغة من قول أبي العلاء ، إلا أنه أغرب في الصنعة ، من  
حيث إنه ذكر قطع الليل وقطع السهم ، جاعلاً مضى الليل كمضى السهم . اهـ .

## **مِعْتَقَدُه**

---

فَصَلَ فِي اخْتِلَافِهِمْ فِيهِ .

« « مِعْتَقَدُهُ فِي اللَّهِ .

« « مِعْتَقَدُهُ فِي النَّبِيَّاتِ وَالرَّسُلِ .



## فصل في اختلافهم فيه

لم يختلف الناس في رجل اختلافهم في أئمـة العلاء ، ولا تراوحوا بشخص بين الكفر والإيمان تراوحاً به . فلا غرو إذا قضى مثل هذا التناقض على الباحث في أمره ألا يتلقى كل ما قيل عنه بالقبول ، وأن يجتاز إلى مقارنة مانطق به بما نقل عنه ؟ توصلـاً إلى حـكم بـاتـّ فيه ؟ إنـ خـيراً خـيرـ ، وإنـ شـرـاً فـشـرـ .

وقد تأملـتـ المـخـلـفـيـنـ فـيـهـ ، فـوـجـدـتـهـمـ عـلـىـ ثـلـاثـةـ أـقـسـامـ :  
فـرـيقـ مـتـزـدـقـونـ ، يـكـفـرـ وـهـ وـيـحـبـونـ لـكـفـرـهـ ، وـمـنـهـ مـتـفـرـجـةـ هـذـاـ  
الـعـصـرـ ؟ أـوـ مـؤـمنـوـنـ يـبغـضـونـ لـذـلـكـ .

وـفـرـيقـ يـذـهـبـونـ إـلـىـ صـحـةـ إـيمـانـهـ ، وـرـبـماـ تـغـالـواـ مـاـ لـهـ مـاـ لـهـ بـالـأـوـلـيـاءـ الـوـاصـلـيـنـ ،  
وـرـوـاـ اللـهـ السـكـرـامـاتـ .

وـآخـرـونـ مـتـحـيـرـونـ أـمـسـكـواـعـنـهـ ، وـوـكـلـواـأـمـرـهـ خـالـقـهـ .  
وـأـنـاـ بـادـيـ بـذـكـرـ أـقـوـاـهـ فـيـهـ ، ثـمـ مـعـقـبـهاـ بـمـاـ ثـبـتـ مـنـ أـقـوـاـهـ ؟ مـقـسـمةـ إـلـىـ  
غـصـولـ ، كـمـ فـعـلـتـ بـأـخـبـارـهـ . فـأـقـوـلـ :

ذـكـرـ خـيـرـ وـاحـدـ أـنـهـ كـانـ مـتـهـماـ فـيـ دـيـنـهـ ، وـأـنـهـ اـجـتـازـ بـالـلـاذـقـيـةـ وـنـزـلـ دـيرـاـ  
كـانـ بـهـ رـاهـبـ لـهـ عـلـمـ بـأـقـاوـيـلـ الـفـلـاسـفـةـ ، فـسـمـ كـلـامـهـ ، فـخـصـلـ لـهـ بـذـلـكـ شـكـوكـ .  
وـأـسـتـدـلـواـ أـيـضاـ عـلـىـ إـلـهـادـ بـتـجـاـفـيـهـ عـنـ أـكـلـ الـحـيـوانـ خـسـاـ وـأـرـبـعـينـ سـنـةـ ، فـالـوـاـ :  
وـهـذـاـ مـنـ اـعـقـادـ الـحـكـمـاءـ الـمـتـدـمـدـيـنـ ؟ لـأـنـهـمـ يـرـونـ فـيـ ذـبـحـ الـحـيـوانـ تـعـذـيـبـاـ لـهـ .  
وـسـيـأـتـيـ الـكـلـامـ عـلـىـ ذـلـكـ فـيـ فـصـلـ مـسـتـقـلـ . وـنـقـلـواـعـنـ تـعـيـذـهـ أـبـيـ زـكـرـيـاـ التـبـرـيـزـيـ  
أـنـهـ قـالـ : قـالـ لـيـ الـعـرـىـ مـرـةـ : مـاـ الـذـيـ تـعـقـدـ ؟ فـقـلـتـ فـيـ نـفـسـيـ : الـيـوـمـ أـقـفـ عـلـىـ  
اعـقـادـهـ . فـقـلـتـ لـهـ : مـاـ أـنـاـ إـلـاـ شـاكـ . فـقـالـ : وـهـكـذاـ شـيـخـكـ . وـقـالـ فـيـ حـقـهـ

البخارزى فى دُمْيَة القصر : « ضرير ماله فى أنواع الأدب ضرير ، ومكتوف فى قميص الفضل ملفوف ، ومحجوب خصمه الألد محجوج . وقد طال فى ظلال الإسلام أناوه ، ولكن ربما يترشح بالإلحاد إناؤه ؟ وعندنا خبر بصره ، والله أعلم بيصيرته ، والمطلع على سريرته ؟ وإنما تحدثت الألسن بإساعته ، ككتابه الذى زعموا أنه عارض به القرآن ، وعنونه بالفصول والغاليات ، ومحاذاة سور الآيات ، وأنظهر من نفسه تلك الخيانة ، وجد تلك الموسات كما يجذ العَيْرِ الصليانة ، حتى قال فيه القاضى أبو جعفر قصيدة أولها :

كَلَبٌ عَوَى بِمَعْرَةِ النَّعْمَانِ لَمَا خَلَّ عَنْ رِبْقَةِ الْإِيمَانِ  
أَمْعَرَةِ النَّعْمَانِ مَا أَنْجَبَتْ إِذْ أَخْرَجَتْ مِنْكَ مَعْرَةَ الْعَمَيَانِ»

انتهى .

ومن حكم بزندقة شمس الدين الذهبي ، وأطال في ترجمته ، وذكر له فيها قباخ . قال الصدوى : وأظن الحافظ السَّلَفيَ قال إنه تاب وأناب . وتحامل عليه أبو الفداء في تاريخه ، وغض منه كثيراً ؛ حتى اضطر ابن الوردى للرد عليه . وفي الكوكب الثاقب أن القاضى المنازى دخل عليه فذكر مايسمعه من الطعن فيه ، ثم قال : مالى ولناس ، وقد تركت لهم دنياهم ، فقال المنازى : وأخرام أيضاً ، فقال : يا قاضى ! وأخرام أيضاً . وجعل يكررها . وفي هذه الرواية تحامل من المؤلف ؟ فقد رواها ابن خلكان في ترجمة المنازى على أنه قال له : والآخرة أيضاً ، وجعل يكررها ، ويتأمل لذلك ، وأطرق ، فلم يكلمه إلى أن قام .

ونقل ياقوت عن رسالة الغفران أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما أجلى أهل الذمة عن جزيرة العرب شق ذلك على المجالين ، فيقال : إن رجلا من يهود خمير ، يعرف بسمير بن أدك ، قال في ذلك :

يصول أبو حفص علينا بدرة رويدك ؛ إن المرء يطفو ويرسب  
كأنك لم تتبع حمولة مأقط  
لتشبع ؛ إن الزاد شىء محب  
عليينا ؛ ولو كان دولة ثم تذهب  
فلو كان موسي صادقاً ما ظهر ثم  
ونحن سبقناكم إلى المين فاعرفوا  
لترا رتبة البدى الذى هو أكذب  
مشيت على آثارنا في طريقنا وبغيتكم في أن تسودوا وترهبونا  
ثم قال ياقوت : وهذا يشبه أن يكون شعره ، قد نحله هذا اليهودي ؛ أو أن  
إراده مثل هذا ، واستلزم ذهنه ، من أمارات سوء عقیدته ، وقبح مذهبه . انتهى .  
والعجب من ياقوت ، كيف يزعم هذا الزعم ، ومن أين أتى له أن هذه الأبيات  
من شعره ، أو أنه أوردتها استلزم ذهنه بها ، وهو إنما جاء بها في أثناء كلامه على  
الزنادقة وتقبيح أعمالهم . وأخر أن يكون إراده لها في عرض إنكاره عليهم ،  
من أين الأدلة على حسن عقیدته . ولنست رسالة الغفران بعيدة على من يريد  
تحقيق ذلك .

وسائل فتح الدين بن سعيد الناس : ما كان رأى الشيخ تقي الدين بن  
دقیق العید فيه ، فقال : كان يقول : هو في حيرة . فقال الصفدي : وهذا أحسن  
ما يقال في أمره ؛ لأن في كلامه تناقضًا كثيراً . وإلى الله ترجع الأمور .  
هذا ما وقفت عليه من كلامهم في سوء عقیدته ، إلا قليلاً منه سيرد عليك  
فيها يأتي من الفضول .

ونقلوا عن رسالة ابن العدیم أنه قال : إنني اعتبرت من ذم أبي العلاء ومن  
 مدحه ، فوجدت كل من ذمه لم يره ولا صحبه ، ووجدت كل من لقيه هو  
المادح له .

وقال ابن الوردي بعد ما أورد مراسلاته مع القاضى أبي الطيب الطابرى الذى

سر ذكرها في أخباره : « وشهادة أبي الطيب في الشيخ مقدمة على شهادة الغير وحسن الظن خصوصاً بالعلماء قد دل عليه القرآن والحديث ، وهو لا يأتي إلا بخير . وكاف شيخخنا عبس حسن العقيدة فيه ؟ واعتراف الطبرى لومدحه يكفيه . »

شهادة الطبرى <sup>الحق</sup> كافية أبا العلاء فقل ما شئت أو قذر من أغمد السيف عنه كان في دعوة ومن نصي السيف قابلناه بالطبرى انتهى كلامه . وقوله : قابلناه بالطبر فيه تورية ، والطبرى هو الطبرزى مغرب ، ومعناه : فأس السرج ؛ لأن فرسان العجم كانت تحمله مما تقاتل به ، ويقال له عندهم التبر . كما ذكر المبحفى في « قصد السبيل ؟ فيما في اللغة العربية من الدخيل » .

ونقلوا أيضاً عن رسالة ابن العديم المذكورة أنه قال : قرأت بخط أبي اليسر شاكر المعري في ذكره ، وكان رضى الله عنه يرمى من أهل الحسد له بالتعطيل ، ويعمل تلاميذه وغيرهم على لسانه الأشعار ، يضمونها أقاويل الملحدة ؛ قصداً لإهلاكه ، وإيهاراً لإتلاف نفسه ، فقال رضى الله عنه :

حاول إهوانِ قومَهْ واجهُهُمْ إلَى باهوانِ  
وحرشونِ بسماياتِهِ فغيّروا نيةِ إخوانِ  
لو استطاعوا الوشاينِ إلى السريرِ في الشهبِ وكيوانِ  
وقال أيضاً :

غريت بدمي أمةَ وبحمد خالقها غريت  
وعبدت ربِّي ما استطعتِ ومن برِّيتهِ برِّيت  
وفرتني الجمالِ حا سلةَ علىِ وما فريت

سُعِرُوا عَلَىْ فِلْمِ أَحْسَنَ وَعِنْدَهُمْ أَنِّي هُرِيت  
قال الصفدي : « أما الموضوع على لسانه ، فلعله لا يخفي على من له أب » .  
وأما الأشياء التي دوّتها ، وقال بها في لزوم مالا يلزم ، وفي استغفار واستغفرى ،  
فما فيه حيلة . وهو كثير ، فيه ما فيه من القول بالتعطيل والاستخفاف بالنبوات .  
ويحتمل أنه ارعوى وتاب بعد ذلك كله . وحُكِيَّ لِي عن الشیخِ كَالْدِینِ  
ابن الزمْلَکَانِيَّ أَنَّهُ قَالَ فِي حَقِّهِ : هُوَ جُوهرَةُ جَاءَتْ إِلَى الْوِجُودِ وَذَهَبَتْ » .  
انتهى كلام الصفدي . قلت : أما استغفار واستغفرى فلم أقف عليه ؟ فإن كان  
ما فيه يشبه ما في لزوم مالا يلزم ، فسيرد عليك ما يزيد الشك فيه .

وقال ابن الوردي في تاريخه : « وأنا كنت أتعصب له لكونه من المرة ،  
ثم وقفت له على كتاب استغفر واستغفرى فأبغضته ، وازدت عنه نفرة ،  
ونظرت له في كتاب لزوم مالا يلزم ، فرأيت التبرى منه أحزم ؛ فإن هذين  
الكتابين يدلان على أنه كان لما نظمهما عالماً حاثراً ، ومذبذباً نافراً ، يقر فيهما  
أن الحق قد خفي عليه ، ويؤدّي لو ظفر باليقين فأخذه بكلتا يديه ؛ كما قال في  
مرثية أبيه :

طلبت يقيناً من جهينة عنهم ولم تخبرني ياجهين سوى الظن  
فإن تعهدني لا أزال مسائلاً فإني لم أعط الصحيح فأستغنى  
ثم وقفت له على كتاب « ضوء السقط » الذي أملأه على الشیخِ أَبِي عَبْدِ اللَّهِ  
مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَصْبَهَانِيِّ ، الذِّي لازمَ الشیخَ إِلَى أَنْ ماتَ ، ثُمَّ أَقْلَمَ  
بِحَلْبَ ، يَرُوِيُّ عَنْهُ كِتَبَهُ ، فَكَانَ هَذَا الْكِتَابُ عِنْدَهُ مَصْلَحًا لِفَسَادِهِ ، مَوْضِعًا  
لِرَجُوعِهِ إِلَى الْحَقِّ وَصَحَّةِ اعْقَادِهِ ؛ فَإِنَّهُ كِتَابٌ يَحْكُمُ بِصَحَّةِ إِسْلَامِهِ مُؤْلَأً ، وَيَتَلَوَّلُنَّ  
وَقَفَ عَلَيْهِ بَعْدَ كِتَبِهِ الْمُتَقْدِمَةِ (وَلِلآخِرَةِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى) ؛ فَلَقَدْ ضَمَّنَ هَذَا

الكتاب ما يثليج الصدر ، وييلد السمع ، ويقر العين ، وييسر القلب ، ويطلق اليـد ، ويثبت القدم ؟ من تعظيم رسول الله صلى الله عليه وسلم خير بريةـه ، والتقرب إلى الله بدمائـع الأشراف من ذريـته ، وتبجيـل الصحابة ، والرضا عنـهم ، والأدب عند ذكر ما يقتـلـونـهم ، وإيـراد مخـاسـنـ من التفسـير ، والإـقرارـ بالبعث والإـشـفـاقـ من الـيـومـ العـسـيرـ ، وتضـليلـ من أـنـكـرـ العـادـ ، والتـغـيـبـ في أـذـكـارـ اللهـ والأـورـادـ ، والـخـضـوعـ لـلـشـرـيـعـةـ الـحـمـدـيـةـ وـتـعـظـيمـهاـ . وـهـوـ خـاتـمةـ كـتـبـهـ ، وـالـأـعـمـالـ بـخـواـتـيـهاـ . وـقـدـ يـعـذرـ منـ ذـمـهـ ، وـاستـحلـ شـتـمـهـ ، فـاـنـهـ عـوـلـ عـلـىـ مـبـادـىـ أـصـرـهـ ، وـأـوـسـطـ شـعـرـهـ ؟ وـيـعـذرـ مـنـ أـحـبـهـ ، وـحرـمـ سـبـهـ ، فـاـنـهـ اـطـلـعـ عـلـىـ صـلـاحـ سـرـهـ ، وـمـاـ صـارـ إـلـيـهـ فـآخـرـ غـمـرـهـ ؟ مـنـ الإـنـابـةـ الـتـيـ كـانـ أـهـلـهـاـ ، وـالـتـوـبـةـ الـتـيـ تـجـبـ مـاـ قـبـلـهـاـ . وـكـانـ يـقـولـ رـحـمـهـ اللـهـ : أـنـ شـيـخـ مـكـذـوبـ عـلـيـهـ . » . اـنـتـهـيـ كـلـامـهـ بـنـدـهـ .

قلـتـ : وـلـيـسـ فـيـ لـزـومـ مـاـ لـيـلـزـمـ مـاـ يـصـلـ بـالـإـنـسـانـ إـلـىـ حـدـ التـبـرـىـ مـنـهـ ، كـماـ ذـكـرـ الشـيـخـ ، وـالـبـيـتـانـ الـلـذـانـ روـاهـاـ مـنـ مـرـثـيـةـ أـبـيهـ لـاـ يـدـلـانـ عـلـىـ مـاـ ذـهـبـ إـلـيـهـ ، وـإـنـاـ مـرـادـهـ أـنـ عـلـمـ الـغـيـبـ مـحـجـوبـ عـنـهـ ، فـلـاـ يـدـرـىـ عـنـ أـبـيهـ : أـهـوـ فـيـ شـفـاءـ أـمـ نـعـيمـ ، وـهـاـ مـثـلـ قـوـلـهـ مـنـ هـذـهـ الـقـصـيـدـةـ :

جـئـنـاـ فـلـمـ نـعـلـمـ عـلـىـ الـحـرـصـ مـاـ الـذـىـ يـرـادـ بـنـاـ وـالـعـلـمـ اللـهـ ذـىـ الـمـنـ <sup>\*</sup>  
قالـ شـارـحـهـ أـبـوـ يـعـقوـبـ النـجـوـيـ : «ـ وـهـذـاـ عـلـىـ مـعـنىـ أـمـ السـعـادـةـ وـالـشـقاـوةـ مـطـوـيـ عـنـ الـعـبـادـ ، وـأـنـ الـأـمـورـ كـلـهاـ بـمـشـيـةـ اللـهـ تـعـالـىـ ، وـهـىـ مـسـتـورـةـ ؟ وـهـذـاـ كـرـهـ السـلـفـ أـنـ يـقـولـ الـقـائـلـ : أـنـاـ مـؤـمـنـ حـقـاـ ، بـلـ أـنـاـ مـؤـمـنـ إـنـ شـاءـ اللـهـ تـعـالـىـ ؟ لـاـ عـلـىـ مـعـنىـ الشـكـ فـيـ الـإـيمـانـ وـالـاعـقـادـ ، بـلـ عـلـىـ مـعـنىـ الـخـوفـ مـنـ سـوـءـ الـعـاقـبـةـ ، وـخـفـاءـ عـلـمـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ ذـلـكـ ، وـانـطـوـاءـ أـمـرـ الـخـاتـمـةـ » . اـنـتـهـيـ .

وـذـكـرـ ابنـ الـورـديـ فـتـارـيـخـهـ أـيـضاـ : أـنـ جـسـتـادـهـ أـغـرـىـ بـهـ وزـيـرـ حـلـبـ ، فـجـهزـ

حضره خمسين فارسًا ليقتله ، فأنزلهم أبو العلاء في مجلس له بالمعرة ، فاجتمع  
بعده إليه ، وتأمموا بذلك ، فقال : إن لي ربا يعنى ، ثم قال كلاما منه مالا يفهم ،  
ال : الضيوف ، الضيوف ! الوزير ، الوزير فوق المجلس على الخمسين فارسًا فاتوا ،  
قع الحمام على الوزير بحلب فمات ؟ فلن الناس من زعم أنه قتلهم بدعاه وتهجد ،  
نهم من زعم أنه قتلهم بسحره ورصده . وهذه القصة رواها صاحب الكوكب  
باقب بزيادة تفصيل ، فذكر عن الفزالي أنه قال حدثني يوسف بن علي بأرض  
ركار ، قال : دخلت معرة النعسان ، وقد وشى وزير محمود بن صالح صاحب حلب  
يه بأن المعري زنديق لا يرى إفساد الصور ، ويزعم أن الرسالة تحصل بصفاء  
عقل ، فأمر محمود بحمله إليه من المعرة ، وبعث خمسين فارسًا ليحملوه ، فأنزلهم  
وعلاء دار الضيافة ، فدخل عليه عمه مسلم بن سليمان ، وقال : يا ابن أخي قد  
للت بما هذه الحادثة ، والملك محمود يطلبك ، فإن منعك عجزنا ، وإن أسلمناك  
كان عارًا علينا عند ذوى الذمام ، ويركب تنوخ الذئب والعوار ، فقال : هو تن  
لبيك يا عم ، ولا بأس عليك ؟ فلى سلطان يذب عنى . ثم قام فاغتنسل وصلى  
في نصف الليل ، ثم قال لغلامه : انظر إلى المریخ أين هو ؟ فقال : في منزلة كذا  
كذا . فقال : زنه وأضرب تحته وتدأ ، وشد في رجل خيطا ، واربطه إلى الود .  
نعمل غلامه ذلك ، فسمعناه وهو يقول : يا قديم الأزل ، يا علة العلل ، يا صانع  
المخلوقات ، وموجد الموجودات ؟ أنا في عزك الذي لا يرام ، وكنفك الذي  
(يضم ) ، الضيوف الضيوف ، الوزير الوزير ! ثم ذكر كلمات لا تفهم ، وإذا  
هذه عظيمة ، فسأل عنها ، فقيل : وقمت الدار على الضيوف الذين كانوا بها ،  
قتلت الخمسين . وعند طلوع الشمس وقعت بطاقة من حلب على جناح طائر :  
(ترجعوا الشيش ، فقد وقع الحمام على الوزير . قال يوسف بن علي : فلما شاهدت

ذلك ، دخلت على المُرْسَى فقال : من أين أنت ؟ فقلت : من أرض الهركار ،  
فقال : زعموا أنني زنديق ، ثم قال : أكتب . وأملي على أبياتا من قصيدة أو لها :  
أستغفر الله في أمي وأوجالي من غلطي وتوالي سوء أعمالى  
ثم ساق صاحب الكوكب الثاقب سبعة أبيات من هذه القصيدة .  
وسأوردها بتمامها عند الكلام على منظومه ؛ فإنها من شعره المفقود . وهذه القصة  
رواها غير واحد ، فلم يذكروا رصده للمرجع كا هنا ، وهو الأشيه بمذهب أبي  
العلاء ؟ فإن من يقف على كلامه في المتجمين وتقبیح أعمالهم ، يحكم بأن هذا من  
الموضوع عليه . والله أعلم .

والخلاصة أن الذي ظهر لى من مطالعة مؤلفاته ، أنه لم يكن ملحدا كما يزعمون ،  
بل كان مؤمناً بالله وكتبه ورسله ، وإنما كانت تقع له بعض الأحيان أحوال يضيق  
بها صدره ، فينفت نفثات يوهم ظاهرها ، وكان الأولى به تركها . وهى مما  
بلغت من الشناعة وال بشاعة لا تصل إلى الكفر والإلحاد ، بل فيها ما إذا قارنته  
بما قاله في ضده لظهور ذلك جلياً أنه لم يرد ما سبق إلى ذهنه في من أول وهلة ؟  
كأنما تارة على الديانات ، ومدحه لها تارة أخرى ؟ فإنك لو قابلت بين القولين  
بامتعان ، لا أقنعت بأنه لم يرد بالذم الديانات نفسها ، بل أراد من تحليها المتأجرين  
بها ، وكثير ما هم في كل زمن .

وإنما أتي الرجل من جهة حسدته وشائئمه ، ولو ع جماعة منهم بتقويله  
مالم يقل ، وإشهاره بما كانوا ينظمونه على لسانه من أقوال المعطلة والزنادقة ؟  
حتى صارت الأذهان لكترة ما وقر فيها من ذلك ، إذا ألقى إليها شيء من  
شعره فيه إيهام ، انصرفت إلى إساءة الظن به . وسيرد عليك من أقواله  
ما وافق أقوال مشهورى المقصوفة ، وكبار الزهد ، حذوا القذة بالقذة . إلا أنها

تثبت لهم ، وكتبت عليه ، والله في خلقه شؤون . ولهذا اقتصرت في فصول  
تقديره على ما أثبتته في مؤلفاته دون ما روى عنه غير معزو لشيء منها ، وغالبها  
خلافات يتنزه شعر أبي العلاء عنها ، ولا يخفى وضعها على ذي لب ، كما قال  
سفدي . كنسبة لهم إليه قول القائل :

إذا ما ذكرنا آدمًا وفعاله    وتزيجه بذاته لا بنية في الخنا  
علمنا بأن الخلق من نسل فاجر    وأن جميع الناس من عنصر الزنا  
وهذا كلام لا يصدر إلا من معتوه فقد رشده ، وحاشا لأبي العلاء أن  
كونه . ولا يخلو قائله من أحد أمرين : إما أن يكون مقرًا بالشريائع ، علماً بأن  
واجب الأخ بأخته لم يكن محظوظًا في شريعة سيدنا آدم عليه الصلاة والسلام ،  
يكون قوله هذا ضربًا من المدح والموس . وإما أن يكون منكريًا لها ، فيكون  
كره الزنا لا معنى له ، فإن معرفة الحلال والحرام لا تتأتى إلا من الشريائع .  
ضلا عمًا في البيتين من بذاته وقلة أدب تنبؤ عنهم نفس أبي العلاء . واست  
نكراً أنه ذكر سيدنا آدم عليه السلام في لزوم مالا يلزم بما كنت أحب له  
عدم ذكره ، إلا أنه لا يبلغ في شناعته إلى هذا الحد ؛ وغاية ما فيه لومه عليه  
الإسلام على أكله من الشجرة ، وتسبيبه في أذى ذريته في الدنيا بخروجه من  
جنة . وسيأتي الكلام على ذلك في فصل مستقل . وقد رد على هذين البيتين  
لقاضي أبو محمد الحسن بن أبي عقامة البيني بقوله :

نعموك أمة فيك فالقول صادق    وتکذب في الباقيين من شطأً أودنا  
كذلك إقرار الفتى لازم له    وفي غيره لغو كذلك جاء شرعا  
وليت القاضي ثبت من نسبة البيتين قبل تكافله الرد بهذا الشعر الركيك .  
ونسبوا إليه أشياء أخرى من هذا القبيل أضررت عن ذكرها تقاديا عن

الاشتغال بالعبث ، إلا أن ألم ببعضها إلما ماما فيما يأتي من الفصول المناسبة . كما أني لم أتعرض لما أخذ عليه في سقط الزند ؛ لأنه لا يخرج عن كونه من الغلو الواقع لـكثير من الشعراء ، وقد كفانا مؤونة البحث فيه بقوله في خطبته :

« وما وجد لي من غلو علق في الظاهر بآدمي ، وكان مما يحتمله صفات الله عن سلطانه ، فهو مصروف إليه ، وما صلح لخلوق سلف من قبل أو غير أو لم يخلق بعد ، فإنه ملحق به ، وما كان محضا في المين لا جهة له ، فأستقييل الله العترة فيه »

وقد أورد شارحه في التنوير بعض أبيات من ذلك في شرح الخطبة . وـمما لم يذكره قوله ، وهو عندي أشنع ما في سقط الزند :

باـهـت بـهـرـةـ عـدـنـاـ فـقـلـتـ هـاـ لـوـلاـ الـفـصـيـصـيـ كـانـ الـجـدـ فيـ مـضـرـ  
فـهـذـاـ وـلـاـ رـيـبـ مـنـ حـضـرـ الـمـيـنـ الـذـىـ لـاـ جـهـةـ لـهـ ، وـقـدـ اـسـتـقـالـ اللهـ العـتـرـةـ فـيـهـ ،  
وـالـلـهـ يـغـفـرـ لـمـنـ يـشـاءـ . وـمـاـ عـدـاهـ لـيـسـ فـيـهـ شـىـءـ سـوـىـ الـغـلـوـ الـمـفـرـطـ . عـلـىـ أـنـهـ لـمـ يـأـتـ  
بـهـ إـلـاـ فـأـبـيـاتـ مـعـدـودـةـ لـاـ تـجـاـوزـ الـعـشـرـةـ ، وـلـكـنـ الـقـلـيلـ مـنـ هـذـاـ كـثـيرـ . وـعـنـدـيـ  
أـنـ لـاـ وـجـهـ لـاـغـتـفارـ لـقـائـلـهـ ، وـفـيـ غـيـرـهـ مـنـ السـكـلـامـ مـنـدـوـحةـ عـنـهـ .. وـلـعـلـهـ سـرـىـ  
لـأـبـيـ الـعـلـاءـ مـنـ أـبـيـ الطـيـبـ الـمـتـنـبـيـ ؟ فـقـدـ كـانـ وـلـوـعاـ بـهـذـاـ النـوـعـ . وـمـنـهـ قـوـلـهـ :  
لـوـ كـانـ ذـوـ الـقـرـنـينـ أـعـمـلـ رـأـيـهـ لـمـ أـتـيـ الـظـلـامـ صـرـنـ شـمـوسـاـ  
أـوـ كـانـ صـادـفـ رـأـسـ عـازـرـ سـيـفـهـ فـيـ يـوـمـ مـعـرـكـةـ لـأـعـيـاـ عـيـسـىـ  
أـوـ كـانـ بـلـ الـبـحـرـ مـثـلـ يـمـيـنـهـ مـاـ اـنـشـقـ حـتـىـ جـازـ فـيـهـ مـوـسـىـ  
سـامـحـ اللـهـ أـبـاـ الطـيـبـ ، مـاـ كـانـ أـغـنـاهـ عـنـ هـذـاـ الـغـلـوـ الـمـقـوـتـ ، مـعـ قـدـرـتـهـ عـلـىـ نـظـمـ  
مـاـ هـوـ أـوـقـعـ فـيـ النـفـوـسـ ، وـأـخـفـ عـلـىـ الـأـسـمـاعـ ؟ وـأـقـبـحـ مـنـهـ قـبـولـ مـدـوـحـهـ لـهـ ،  
وـإـجـازـتـهـ عـلـيـهـ . وـلـاـ أـدـرـىـ مـاـ كـانـ عـذـرـ الـمـعـزـ فـيـ قـبـولـ قولـ ابنـ هـانـيـ ؟  
ماـ شـئـتـ لـاـ مـاـ شـاءـتـ الـأـقـدارـ فـاحـكـمـ فـأـنـتـ الـوـاحـدـ الـقـهـارـ

اللهم إلا أن يكون ما نقل عن القوم من دعوى الألوهية في الباطن صحيحاً .  
وما في سقط الزند دون هذين القولين بمراحل .

وقد رأيت أبا العلاء شدد النكير على ابن هانى وأخراجه في رسالة الغفران ،  
ياستقبح منهم مثل هذا الغلو ، فلعله رجع عنه .

وقد عقد الشاعري فصلاً في يتيمته لما أخذ على أبي الطيب ، جاء فيه بأشيماء  
بمحوجة . ومع هذا فلم يلهمعوا بالكافاره كما فعلوا مع أبي العلاء ؛ وذلك لما وقر  
في النفوس من شهرته بالزندقة ، كما ذكرت آنفاً ، حتى كادوا يلصقون به كل  
شعر من هذا القبيل . وقد رأيت بعضهم يروي له قول المتنبي :

**أَغَيَاةُ الدِّينِ أَنْ تُحَفُّوا شواربَكُمْ يَا أُمَّةَ حَكَتْ مِنْ جَهْلِهَا الْأَمَّ**

هذا وديوان أبي الطيب مشهور متداول في الأيدي ، فما ظنك بغير المشهور ؟  
وكذلك أبو نواس لما كان مشهوراً بالإجاده في وصف الحمر ، نسبوا إليه فيها  
ما لم يقله ، فكثر المنحول في شعره . ونقل عن بعض العلماء أنه كان يقول : أوشك  
هؤلاء الرواة أن ينسبوا للمجنون كل شعر فيه ليلى . وقوله هذا ينبغي للأديب أن  
يتبنته له ، فلا يقدم على نسبة قول القائل بسبب اشتهر به ، ولو هيج بذلك ، في  
شعره ؛ فقد كان للشعراء أسماء شائعة بينهم خفت على ألسنتهم ، وحملت في  
أفواههم ، فكانوا كثيراً ما يأتون بها زوراً ، نحو : لملي ، وهند ، وسلمي ،  
ودعد ، ولبني ، وعفراء ، وأروى ، وريتا ، وفاطمة ، ومية ، وعلاوة ، وعائشة ،  
والرباب ، وجمل ، وزينب ، وأشباههن . ذكر ذلك ابن رشيق ، ثم قال : وأما  
عنزة وبشينة فقد حماها كثير وجليل ، حتى كما حرمتا على الشعراء . انتهى .

وكما اشتهر بعض الشعراء بأسماء ، اشتهر غيرهم بفنون وأنواع غلبت عليهم ،  
وسهلت على نقوسهم ، فأجادوا القول فيها ؛ كأنى نواس في الحمر ، والبحثري في

الطيف ، وابن المعز في التشبيهات ، وديك الجن في المراثي ، وأبي الطيب في الأمثال والحكم ، وابن الرومي في المجاز . بل رأيت بعض شعراء غلبت عليهم ألفاظ استعملوها كثيراً ، كأُم دَفَر عند المعري ، وابن وَدَى عند الأمير محمود سامي باشا البارودي . ومن تتبع شعر كل شاعر ، ربما لا يعدم أمثالها فيه .  
فيكون اقتصارنا على ما أثبتته أبو العلاء في مؤلفاته ، أدعى إلى الإنفاق ، وأبعد عن الاعتساف .

\* \* \*

واعلم ، أرشدك الله ، أني لم أنتصر له في بعض الموضع جنوحاً إلى عصبية ، أو استرسلاً مع هوى . ولتكن وقت في الكثير من أقواله على اعتقاد صحيح ، وإيمان ثابت لا يخالطه شك . فكان تأويل ما عداها بما يحتمله اللفظ ، أولى من التسريع إلى إكفار مؤمن ، والحكم عليه بالزندقة ؟ خصوصاً وأن ما يدل على إيمانه صريح في لفظه ، والذي يوهم محتمل لوجهين ، فحمله على ما يوافق الصريح من أحد وجهيه أحق وأصوب . فإذا رأيت شيئاً من ذلك فلا تسرع في الإنكار علىّ ، بل عليك بتحسين الظن ، ومراجعة النظر ، تجد ما قلته غير بعيد . وحسبيك ما أثاروه على الإمام أبي حامد الغزالى في قوله : ليس في الإمكان أبدع مما كان ، حتى وضعوا فيه المؤلفات ، وشغلوا الناس بالترهات . ولا شك أنه لم يُرد بقوله هذا ما ذهبوا إليه وتألوه . وأى مسلم يخالجه ريب في عقيدة هذا الإمام ، وهو حجة الإسلام ؟

ولله در أبي العلاء حيث يقول :

جِوارِكَ هَذَا الْعَالَمَ الْيَوْمَ نَكْبَةُ عَلَيْكَ وَلَيْسَ الْبَيْنُ عَنْهُ مُؤْسَراً  
سَيَعْلَمُ ذَلِكَ الْمُدَعِّي صِحَّةَ الْهُدَىٰ مَتَىٰ كَانَ حَقٌّ أَيْنَا كَانَ أَخْسَراً

ويقول :

لَهُ اللَّهُ قوماً إِذَا جَتَهُمْ بِصَدَقِ الْأَحَادِيثِ قَالُوا كُفَّارٌ

ويقول :

أَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ رَجُلٍ لَا يَبْدِي فَيُفَرِّقُ بَيْنَ إِيمَانِ وَكُفْرِ

وَقَالَ أَيْضًا :

لَا تَقِيدُ الْفَنْطَنِ عَلَىٰ فَإِنِّي مُشَلٌ غَيْرِي تَكَلَّمُ بِالْمَجازِ

ومثله قوله :

وَلَيْسَ عَلَى الْحَقَائِقِ كُلُّ قَوْلٍ وَلَكِنْ فِيهِ أَصْنافُ الْمَجازِ

## فصل في معتقده في الله

من زعم أن أبا العلاء كان من منكري وجود الإله جل وعلا ، فقد زعم باطلًا ، وأسرف في الشطط ، ودل على جهله بحقيقة معتقده . وهيهات أن تمض له حججة ، أو يجد لزعمه مستندًا ، لو طالبناه بالدليل .

ونحن مثبتون في هذا الفصل من أقواله ما ليس وراءه متسع لطاعن ، أو مجال لمناقشته ، وبادئون منها بثلاثة أقوال ، ربما خفي المراد منها على كثيرين ، فأولوها على غير ما ينبغي أن تؤول ، ثم نتبعها بما يكشف الربين عن عقيدة الرجل في خالقه .

\*\*\*

أولها قوله :

قُلْتُمْ لَنَا صَانِعٌ حَكِيمٌ قُلْنَا: صَدَقْتُمْ، كَذَّا تَقُولُونْ  
زَعْمَمُوهُ بِسْلَامَكَانِي وَلَا زَمَانِي أَلَا فَقُولُوا  
هَذَا كَلَامٌ لَهُ خَيْرٌ مَغْنَاهُ لَيْسَتْ لَنَا عُقُولُ

وليس في هذه الأبيات إنكار لوجود الإله ، وحسبك منها قوله : «قُلْنَا صَدَقْتُمْ، كَذَّا تَقُولُ» ، لكن يؤخذ من ظاهرها إثبات الزمان والمكان له تعالى ، وهو ما لا يقول به إلا المحسنة وأضرابهم ، تنزيه الله عما يقولون . وقد ذكر صاحب معاهد التنصيص أن الفخر الرازى أورد هذه الأبيات في كتابه الموسوم بالأربعين ، وأعقبها بقوله : «وقد هدى هذا في شعره» ، وقد وقفت على نسختين من هذا الكتاب قلم أجده قال ذلك ، فلعل العبارة تحرفت على صاحب المعاهد ، فتوهم

نها ما ذكره . ولما كان المقام يحتج إلى تفصيل لاستيفاضة ما يرمي إليه بـ «العلاء» ، اقتضى أن ننقل إليك عبارة الأربعين ، ثم نعقبها بما ظهر لنا في هذه الآيات . قال «الفخر» في مبحث حدوث العالم ، وإيراد شبكات المخالفين وردتها : «السؤال الرابع : إذا قلنا كان الله موجودا في الأزل ، وسيكون موجوداً في الأبد ، فقولنا كان يفيد أن أمراً كان موجوداً وحاصل ، وقد انقضى وما بقي . ويكون يفيد أن أمراً سيصير موجوداً وحاصل ، وبعد ما حصل . فإذا كل ما يصدق عليه أنه كان وسيكون ، فهو محكم عليه بكونه متعددًا متغيراً ، فذات الله تعالى لما كان واجب الدوام ، تمنع التغيير ، وجب أن لا يصدق عليه أبنته أنه كان في الأزل ، وسيكون في الأبد ، وأنه كان الآن . ثم لما جربنا عقولنا وجدناها حاكمة بأن كل ما لا يصدق عليه أنه كان قبل وسيكون بعد وأنه كان الآن ، فهو عدم مخصوص . وعند هذا قال المنكرون إنكم لما أثبتتم ذاته منزهة عن الجهات والأيون والأوضاع ، خرج هذا الإثبات عن العقل ، واقترب من العدم المخصوص ؟ ثم إنكم لما أثبتتموه منزهاً عن أن يصدق عليه قوله قولنا كان ويكون وهو كأن ، فهذا تصریح بالعدم المخصوص . فإن أدخلتموه تحت قولنا كان ويكون وهو كأن ، اقتضى ذلك الحكم بكونه متعددًا متغيراً ، فكيف الخلاص من العقد الحيرة ، والمضايق المضلة المعنية . ونظم المعنى هذا المعنى في شعر له فقال . . . اتهى .

ثم أورد الآيات ، إلا أنه روى مكان قوله «زعمتموه» ، «ثم زعمتم» وشرع في الرد على هذا السؤال . فقال :

«الجواب عن السؤال الرابع : وهو قوله إن كل ما يصدق عليه كان ويكون فهو متعدد متغير ، فنقول : المراد بن قولنا كان ويكون استمراره مع الأزمنة

الآتية والأزمنة الماضية ، من غير أن يكون متغيراً بحسب تغير هذه الأزمنة ؟ وهذا المعنى لا يدركه إلا العقل الذي نوره الله تعالى بنور هدایته ، وإن كان الوهم والخيال يعجزان عنه . » . انتهى كلامه .

ثم ساق حجج المشايخ علىبقاء الصانع بما يخرج عن قصدنا هنا .

ولا يخفى ما في قوله إن هذا المعنى لا يدركه إلا العقل الذي نوره الله بنور هدایته . فإذا علمت هذا ، ثم علمت أن مذهب السلف رضي الله عنهم في الصفات النقلية ، كالاستواء على العرش ، والتزول إلى السماء الدنيا ونحوها ، أنها صفات ثابتة وراء العقل ما كلفنا إلا اعتقاد ثبوتها والتصديق بها من غير تفسير ولا تأويل ، مع اعتقاد عدم التجسيم والتشبيه ، لئلا يضاد النقل العقل — ظهر لك أن عبارة أبا العلاء إنما ترمي إلى هذا المعنى ، وتشير إلى هذا القصد ؛ ففراده أن مثل هذه الأمور لا تتسع العقول لإدراكها ، بل هي مما استأثر الله به علمه . وليس في الآيات ما يمنع من حملها على ذلك . بل كيف يتصور في الرجل اعتقاد التجسيم ونحوه ، وهو القائل في موضع آخر :

تَعَالَى اللَّهُ وَهُوَ أَجَلُّ قَدْرًا مِنَ الْإِخْبَارِ عَنْهُ بِالْتَّعَالَى

ومن يذهب في التزريء إلى هذا الحد لا يتصور فيه اعتقاد التجسيم . ثم اعلم أن مذهب السلف يرجحه كثيرون من المتكلمين . وكان الإمام مالك والزهري يقولان به ، بل هو عقيدة الإمام أحمد بن حنبل وأتباعه إلى يومنا هذا . وإنما رجحوه لما فيه من السلامة من تعين معنى قد يكون غير مراد له تعالى ، وهو الأوفق لحمل العامة عليه ، صيانة لعقوتهم عن الزلل ، كما فعله الإمام الغزالى في « إنجام العوام ، عن علم الكلام » . وقد وقفت على فصل للفخر الرازى في تفضيل هذا المذهب ، ذكره في تفسيره الكبير عند قوله تعالى : « ثُمَّ اسْتَوَى

على العرش» ، مع أن هذا الإمام من كبار الأشعرية القائلين بالتأويل .

ولله در الإمام خيس بن على الواسطى حيث يقول :

تَرَكْتُ مَقَالَاتِ الْكَلَامِ تَجْمِيعَهَا لِمُبْتَدِعٍ يَدْعُو إِلَيْهِ إِلَى الرَّدِّ  
وَلَازَمَتْ أَصْحَابَ الْحَدِيثِ لِأَنَّهُمْ دُعَاةٌ إِلَى سُبْلِ الْمَسْكَارِمِ وَالْمُهْدَى  
وَهَلْ تَرَكَ الْإِنْسَانُ فِي الدِّينِ غَايَةً إِذَا قَالَ قَلَدْتُ النَّبِيَّ مُحَمَّداً  
عَلَى أَنْ كَثِيرًا مِنْ أُمَّةِ الْكَلَامِ أَيْضًا يَرْجِحُونَ مَذْهَبَ الْخَلْفِ فِي تَأْوِيلِهِمْ  
هَذِهِ الصَّفَاتُ تَأْوِيلًا يُلْيِقُ بِجَلَالِ الْمَوْلَى عَزَّ وَجَلَّ ، لِمَا فِي هَذَا الْمَذْهَبِ مِنْ مُزِيدٍ  
الْإِيْضَاحِ وَالْرَّدِّ عَلَى الْمُحْصُومِ . وَلَكُلِّ مِنْ أَصْحَابِ الْمَذْهَبِينَ وَجْهَةٌ لَا يَرِيدُونَ بِهَا  
إِلَّا الْوَصْوَلُ إِلَى الْحَقِّ ، فَرَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ ، وَجَزَاهُمْ عَنَا أَحْسَنُ الْجَزَاءِ .

الثاني من الأقوال : قوله :

أَمَّا الإِلَهُ فَأَمْرُهُ لَسْتَ مُدْرِكَهُ فَاحْذَرْ لِحِيلَكَ فَوْقَ الْأَرْضِ إِسْنَاطَا  
وَلَيْسَ فِي هَذَا أَيْضًا إِنْكَارٌ لِوُجُودِ اللَّهِ تَعَالَى ، وَإِنَّمَا فِيهِ الْإِيمَانُ إِلَى عِجزِ الْبَشَرِ  
عَنْ إِدْرَاكِ كُنْهِ ذَاهِهِ تَعَالَى . وَلِعُمرِي مَا نَطَقَ إِلَّا بِالصَّوَابِ . وَأَيْنَ لِخُلُوقٍ ضَعِيفٍ  
لَا يَصْلُ إِلَى إِدْرَاكِ كُنْهِ نَفْسِهِ مِنَ الْوَصْوَلِ إِلَى هَذَا الْمَقَامِ؟ وَفِي كِتَابٍ تَأْيِيدٍ  
الْحَقِيقَةِ الْعُلِيَّةِ لِلصَّيْوَطِيِّ ، قَالَ شَارِحُ مَنَازِلِ السَّائِرِينَ فِي بَيَانِ عِجزِ الْعُقُولِ عَنْ  
إِدْرَاكِ الْذَّاتِ الْمَقْدِسَةِ ، وَتَرَكَ الْفَكْرَةَ فِي ذَلِكَ : «يَعْرُفُ الْعَبْدُ أَنْ عَقْلَهُ يَعِجزُ عَنْ  
إِدْرَاكِ كُلِّ الْمَوْجُودَاتِ مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ فَضْلًا عَنْ خَالقِهَا» ، وَقَدْ عَجَزَتِ الْعُقُولُ عَنْ  
إِدْرَاكِ الْخَاصَيَّةِ الَّتِي يَجْذِبُ بِهَا الْمَغْنَاطِيسُ الْحَدِيدِ ، وَالسَّقْمُونِيَا الْأَخْلَاطُ الصَّفْرَاوِيَّةُ ،  
إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ ، مَعَ الْقَطْعِ بِوُجُودِهَا . فَإِذَا عَرَفَ الْعَبْدُ عِجزَهُ ، وَأَيْسَ مِنَ الْوَقْوفِ  
عَلَى غَايَةِ مَطْلَبِهِ ، حَمَلَهُ ذَلِكَ عَلَى التَّمْسِكِ بِجَبَلِ الْتَّعْظِيمِ وَالْإِجْلَالِ ، وَسَلَمَ بِذَلِكَ  
مِنَ الْوَقْوعِ فِي شَيْءٍ مِنَ الْأَخْتَلَالِ .» . انتهى .

وفيما نقل عن أمير المؤمنين كرم الله وجهه أنه كان يقول : « التوحيد  
أن لا تتوهمه » ويقول : « كل ما أدركته فهو غيره ». وكان الصديق رضي الله عنه  
يقول : « يا من غاية معرفته القصور عن معرفته ». أما قوله تعالى : « لَا تُدْرِكُ  
الْأَبْصَارُ » ، فالأكثرون على حمل البصر هنا على الجارحة ، من حيث إنها محل  
القوة . وقيل هو إشارة إلى ذلك وإلى الأوهام والأفهام . فالبيت على هذا عقد  
معنى هذه الآية الكريمة . وقرب من قوله من قطعة أخرى :

وَإِنَّ إِلَهِي إِلَهُ السَّمَا      رَبُّ الْوُهُودِ وَرَبُّ النَّبَكِ  
سَأَنْتُ الْمُحَدَّثُ عَنْ شَأْنِي      فَمَا زَالَ يَصْنُعُ حَتَّىٰ أَرْتَبَكَ

\* \* \*

الثالث : قوله :

مَتَّ عَرَضَ الْحِجَاجَ لِلَّهِ ضَاقَتْ      مَذَاهِبُهُ عَلَيْهِ وَإِنْ عَرَضْنَاهُ

و معناه ظاهر بَيْنَ ، يشبه ما في القول السابق . وقد فسره بعضهم بقوله :  
« أى لا يزال عقل الإنسان يتسع مجاله في الأمور ، ويستعمل أنواع القياس ؟ حتى  
يتنهى إلى الله تعالى . فإذا انتهى إليه ضاقت المذاهب عليه ، فلم يعلم أكثر من  
أنه سبحانه خالق المخلوقات . ». انتهى .

وقد أحسن أبو العلاء في قوله بعد هذا البيت :

وَقَدْ كَذَبَ الَّذِي يَغْدُو بِعِقْلٍ      لِتَضْحِيقِ الشُّرُوعِ وَقَدْ مَرِضَنَاهُ  
الشرع : جمع شرع . قال بعض الفضلاء : « عَرَضُ الشَّرَاعِنَ آنْ تَخْنَى  
أَسْبَابَهَا ، فَلَا يُوقَفُ عَلَى حَقَائِقِهَا ، فَيَظْلَمُ النَّاظِرُ فِيهَا فَاسِدَةً ، وَإِنَّمَا الْفَاسِدَ  
عَقْلُهُ ، لَأَنَّهُ تَعَاطَى مِنْهُ غَامِضاً لِيَقْفُ عَلَيْهِ ». انتهى .

قلت : فليت المتعججين كل يوم يصلاح الدين الإسلامي ليوافق روح العصر كما يزعمون ، ينظرون نظرة في هذا البيت ، نسأل الله لنا ولهم المداية .

\* \* \*

وبعد ، فليس في كلام أبي العلاء ما يوهم تقاصا في حق الخالق سبحانه وتعالى ، فضلا عن إنكار وجوده ، غير هذه الأقوال الثلاثة . وقد عرفت أنها ليست في شيء من ذلك أبition . فلم يبق إلا أن أسرد لك عيون أقواله الدالة على حسن معتقده في خالقه . قال :

لِعَمَلِيكِ الْمُذَكَّرَاتُ عَيْمَدُ  
وَكَذَالَكَ الْمُؤْنَثَاتُ إِمَاءُ  
فَالْهِلَالُ الْمُنِيفُ وَالْبَدْرُ وَالْفَرْ  
قَدُّ وَالصُّبْحُ وَالثَّرَى وَالْمَاءُ  
وَالثَّرَيَا وَالشَّمْسُ وَالنَّارُ وَالنَّفَّ  
رَةُ وَالْأَرْضُ وَالضَّحَى وَالسَّهَاءُ  
هَذِهِ كُلُّهَا لِرَبِّكَ مَا عَاهَ  
خَلَّنِي يَا أَخَى أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فَلَمْ يَبْقَ فِي إِلَّا النَّدَاءُ

وقال :

إِذَا قِيلَ لَكَ أَخْشَ اللَّهَ هَمْ مَوْلَاكَ فَقُلْ : آرَا

آرا : كلمة فارسية ، معناها : نعم . وقال :

فَلَكُشتُ مُطِيقَا لِلْغُدوَّ وَلَا أَمْسَرَى  
لَهُ كَرَمٌ شَكَرَمٌ يُسَاحِّهِ أَلَّا نَرَى  
وَأَدْخُلُ نَارًا مِثْلَ قَبَرَأَوْ كِسْرَى  
فَيَأْمُرُ بِي ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَى الْيُسْرَى  
فَمَا حَظَى أَلَّا ذَنَى وَلَا يَدِي أَلَّا خُسْرَى  
بَعِلمٍ إِلَهِي يُوجَدُ الْعَفْ شِيمَقِي  
غَبَرْتُ أَسِيرَا فِي يَدَيْهِ وَمَنْ يَكُنْ  
أَصْبَحَ فِي الدُّنْيَا كَمَا هُوَ عَالِمٌ  
وَإِنِّي لَأَرْجُو مِنْهُ يَوْمَ تَجَاوِزٍ  
وَإِنْ أُغْفَ بَعْدَ الْمَوْتِ هَمَّا يَرِي بُنْيِ

اليسرى هنا : من اليسار ضد العسر ، وليس من اليسار ضد اليمين . وقال :

اللهُ لَأَرِيبَ رَفِيهِ وَهُوَ مُحْتَجِبٌ بَادِ وَكُلُّ إِلَى طَبِيعِهِ جَذَبَا

وقال :

لَا تَكْذِبْنَ كَيْفَانْ فَعَلْتَ فَلَا تَقُلْ  
كَذِبَا عَلَى رَبِّ السَّمَاوَاتِ تَسْكَنْشَبَا  
غَالَلُهُ فَرَدُ قَادِرٌ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْعَى لِآدَمَ صُورَةً أَوْ تُحْسَبَا  
وَإِذَا أَنْتَسَبْتَ فَقَلْتَ إِنِّي وَاحِدٌ مِنْ خَلْقِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ تَنَسْبَتَا

وفي معنى البيت الثاني قوله من قطعة أخرى :

مَا زَالَ مُلْكُ اللهِ يَظْهَرُ دَائِبًا إِذْ آدَمَ وَأَبُوهُ فِي الْأَضْمَارِ  
لعله أراد بأبيه : التراب الذي خلق منه ، وفي بعض النسخ : وبنوه ،  
وهو ظاهر .

وقال :

وَلَمْ يَحْبِبْنِي أَحَدٌ نِعْمَةً  
وَلَكِنْ مَوْلَى الْمَوَالِيْ حَبَّا  
وَإِنْ جَاءَ مَوْتٌ فَقُلْهُ مَرْحَبَا  
نَصَحتُكَ فَاعْمَلْ لَهُ دَائِبًا

ومن طمعه في عفو ربه ، قوله :

أَرَى أَثْبَ مِنْ آتَ اللَّهِ بِقَدْرِ وَمَنْ يَكُنْ  
مَرَاثِيَهُ الْإِخْرَانُ يُصْدَقُ وَيُكَذَّبُ  
أَخْشَى عَذَابَ اللهِ وَاللهُ عَادِلٌ  
وَمَثَلُه قوله :

وَمَا أَنَا يَائِسٌ مِنْ عَفْوِ رَبِّي  
كُلَّ مَا كَانَ مِنْ عَمَدٍ وَسَهُو

ومثله قوله أيضًا :

لَمْ لَا أُؤْمِلُ رَحْمَةً مِنْ قَادِرٍ  
وَالشُّولُ يُطَلَّبُ فِي السَّحَابِ الْأَسْوَلِ

**قال يذكر خوفه من العقاب :**

ظُلْمًا فَلَيْتَ أَبَاهَا الْفَظَّ مَوْزُودٌ  
بِكَرَبٌ هَلْ أَنَا بِالْغَفْرَانِ فِي ظَمَانِي  
مَزْوَدٌ إِنْ قَلَى مِنْكَ مَزْوَدٌ

**وقریب منه قوله :**

فَكُلْ مَا لَاقَيْتُهُ سَهْلٌ  
إِنْ خَمَّ اللَّهُ بِغُفرَانِهِ  
قَدْ فَنَى الْوَقْتُ هُنَا حِيلَتِي  
إِذَا أَنْفَقَ، الْإِمْهَالُ وَالْمَهْلُ

**وقال في خوفه وطمهه :**

أَبْمَأَ الْحَيَاةِ فَلَا أَرْجُو نَوَافِلَهَا  
لَكِنِّي لِإِلَهٍ حَائِفٌ رَاجٍ  
وَكُلٌّ أَزْهَرٌ فِي الظُّلْمَاءِ خَرَاجٍ  
رَبُّ السَّمَاكَ وَرَبُّ الشَّمْسِ طَالِعَةٌ

وَاللَّهُ ذَرَهُ حَمِيمَتُ الْقَوْلِ :

لِيَقُولَ الْدَّهْرُ مَا يَهْمُ بِهِ  
إِنَّ ظُنُونِي بِخَالِقِ حَسَنَةٍ  
وَلَوْ أَقَامَتْ فِي النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ  
لَا تَيَأسُ النَّفْسُ مِنْ تَفَضُّلِهِ

روقال :

أَرَى أَنْكِفَاتِي إِلَى الْمَنَابِأَغْنَى عَنِ الْأُسْرَةِ أَنْكِفَاتِ  
أَثْبَتُ لِي خَالقًا حَكِيمًا وَلَسْتُ مِنْ مَعْشَرِ نَقَاءَ

وقال:

سُبْحَانَ مَنْ بِرَأَ النُّجُومَ كَانَهَا  
لَوْ شَاءَ رَبِّكَ صَيَّرَ الشَّرَاطِينَ مِنْ  
وَالْتَّاجِ تَقْوَى اللَّهُ لَا مَا رَصَدُوا

وقال من أخرى :

فَزَعُوا إِلَى ذِكْرِ الْمَلِيكِ وَحَسَبُهُمْ أَنْسًا بِذَلِكَ فِي الضَّمِيرِ الْوَالِحِ

وقال :

أَحَادِيرُ السَّيْلَ وَمَنْ لِي بِهِ  
بَجَةٌ إِذَا أَسْمَعَنِي رَعْدَهُ  
وَالْوَقْتُ لَا يَفْتَأِ فِي مَرَهٍ  
مُقْرَبًا مِنْ أَجْلٍ بَعْدَهُ  
فَرَاقِ الْخَالقِ بِالْغَيْبِ فِي أَزْ  
قِيمَتِهِ وَالنِّيمَتِ وَالْقِعْدَهُ  
أَرَادَ الْمَهِيَّةَ مِنَ الْقِيَامِ وَالنُّومِ وَالْقِعْدَهُ ، فِيَاهُ عَلَى فِعْلَةِ بَكْسِرِ الْأَوَّلِ . وَهُوَ  
عَقْدٌ لِمَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى : « الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ رَقِيمًا وَقَعْدًا وَعَلَى جَنُوبِهِمْ »  
وَمَعْنَى الْآيَةِ ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ : الَّذِينَ لَا يَغْفِلُونَ عَنْهُ تَعَالَى فِي عَامَةِ أَوْقَاتِهِمْ ، كَمَا ذَهَبَ  
إِلَيْهِ بَعْضُ الْمُفَسِّرِينَ .

وقال أبو العلاء :

إِذَا كُنْتَ مِنْ فَرْطِ السَّفَاهِ مُعَطَّلًا  
فِيَاجَاهِيدُ أَشْهَدَ أَنْسِي غَيْرُهُمْ يَعْدِيدُ  
أَخَافُ مِنَ اللَّهِ الْعُقُوبَةَ آجِلًا  
وَأَزْعُمُ أَنَّ الْأَمْرَ فِي يَدِهِمْ يَكْهِيدُ  
فَإِنِّي رَأَيْتُ الْمُلْحِدِينَ تَعَوَّدُهُمْ  
نَدَامَهُمْ عَنْدَ الْأَكْفَارِ اللَّوَاحِيدُ  
لَيْتَ شِعْرِي كَيْفَ يُرْتَمِي بِالْأَخْدَادِ مِنْ يَخَاطِبُ الْمُلْحِدِينَ يَمْثُلُ هَذَا الْكَلَامُ  
وَفِيهِمْ يَقُولُ أَيْضًا :

أَمَّا الْمُجَاوِرُ فَأَرْعَهُ وَتَوَقِهُ  
وَأَسْتَعْفِ رَبِّكَ مِنْ جَوَارِ الْمُلْحِدِ  
لَيْسَ الَّذِي جَحَدَ الْمَلِيكَ وَقَدْ بَدَتْ  
آيَاتُهُ بِأَنْتَ لِمَنْ لَمْ يَجْحُدِ

وَيَقُولُ :

إِذَا تَمَّ الْحَدَّتُ أَمْ بِجَهَنَّلِ  
فَتَكَلِّمُهَا بِتَوْحِيدِ السُّبُوفِ  
كَثِيرَاتُ الْبَهَارِجِ وَالْزُّبُوفِ  
وَهَذِي الْأَرْضُ لِلْمَلَكِ الْمَرْجَى  
ثُمَّ يَهَا كَلِمَامُ الضُّبُوفِ

وقال :

تَعَالَى اللَّهُ كَمْ مَلِكٍ مَهِيمِ  
تَبَدَّلَ بَعْدَ قَصْرٍ ضيقَ لَحْدِ  
وَلَا أَقْنَى بَدَائِهِ يَجْحَدِ  
أَقْرِئِيَّاتٍ لِي رَبِّا قَدِيرًا

وقال :

فَذَرْنِي أَقْطَعُ الْأَيَّامَ وَخَدِي  
فَمَا أَفْقَيْتُ إِلَّا حَرْفَ جَحْدِ  
فِي أَيِّ الْبِلَادِ يَكُونُ لَحْدِي  
بِوَحْدَانِيَّةِ الْعَلَامِ دِنَا

سَأَلْتُ عَنِ الْحَقَائِقِ كُلَّ قَوْمٍ  
سِوَى أَنِّي أَزُولُ بِغَيْرِ شَكِّ

وقال :

فَاصْرِفْ وَلَاءَكَ لِلْقَدِيمِ الْمُوجِدِ  
وَلِقَدْ هَيَّدْتُ وَلَاءَ قَوْمٍ سَبَّةَ

وقال :

بِعَسْمَيْنِ بِالْجَهْلِ عَبْدَ الرَّحْمَنِ  
وَعَبْدَ الْعَزِيزِ وَعَبْدَ الصَّمَدِ  
عَبِيدًا وَذَلِكَ أَقْصَى الْأَمْدِ  
وَلَكِنَّهُ خَالِقُ الْعَالَمَيْ  
تَعَمَّدَهُ يُغْنِيكَ بِالْهُدَى أَنْ تُدْرِسَ مُغْنِيَّهُمْ وَالْعُمَدِ

المُغْنِي ، والْعُمَد : كتابان أحدهما في علم الكلام ، والآخر في الأصول ، وهما للقاضي عبد الجبار بن أحمد ، من كبار أئمة المعتزلة ، المتوفى سنة خمس عشرة أو ست عشرة وأربعمائة . ولابي محمد عبد الله بن العباسى الراهمى منى المعتزلى كتاب اسمه المغنى أيضاً ، إلا أن ذكره مقووناً بالعمد يدل على أن المراد الأول .

وقال أبو العلاء :

كَمْ غَيْرَتْنَا بِأَمْرٍ خَطَّ حَادِثَةَ  
وَرَبَّنَا اللَّهُ لَمْ تُلْمِمْ بِهِ الغَيْرُ

وقال .

وَقَالَ : مَا زَالَ رَبُّكَ ثَابِتًا فِي مُلْكِهِ يَنْهِي إِلَيْهِ لِعَبَادٍ جُمُواْرٌ

وَالْجَهَلُ أَغْلَبٌ غَيْرَ حِلٍّ لَّا نَنْفَعُ وَيَبْقَى الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ

وقال في الإقرار بالذنب من قطمة :

**غُفْرَانَ رَبِّكَ قَلَّ مَا فَعَلَ الْفَقَيْهُ** ما لِنَسَّ تُخَوِّجَهُ إِلَى أَسْتِغْفَارٍ  
صدق والله ، فغفرانك الالهم . وقال :

رَجَّتْ بِتَسْبِيحِ الْمَلِيكِ حَمَامَةً<sup>١</sup>      بِالشَّامِ تُوْطِنُ أَوْ تَحْلُّ حِجَازًا  
وَرَأَى بِهَا الشُّعَرَاءَ وَالثُّجَاجَانَ<sup>٢</sup>      وَالطَّيْرُ مُثْلُ الْإِنْسَانِ تَعْرَفُ رَبِّهَا

وقال في معناه :

سَبَّحَ اللَّهَ نَاعِبٌ، صَوَّتُهُ : غَارِقٌ، وَكُذْرِيَّةً تَصْبِحُ : قَطَا

**وقال:**

حَسْنَةٌ عَزَّتِ الْأَنَامَ بِلَطْفٍ وَعَزَّتْهَا إِلَى الْقُدُّورِ الْعَوَازِي  
مَلِكٌ أَنْشَأَ السَّمَاوَاتِ فَالْبَدْرُ  
رُلَدَيْهُ فِي صُورَةِ الْجَلْوَازِ  
كَمْ لَهُ كَوْكَبٌ أَبْرَأَ وَأَزَّ النَّ  
اسَ حَتَّى سَطَّا مَلَى أَبْرُوازِ

لَنَا رَبٌّ وَلَيْسَ لَهُ نَظِيرٌ يُسَيِّرُ أَمْرَةً جَبَلًا وَيُرْسِي  
تَطَلُّ الشَّمْسَ مَاهِنَةً لَدِيهِ فَمَا يُلْقِي سُنْنَةً أَمْ مَاسَتْ بُرْسَ

**وقال:**

إذا كنتَ بالله المهيمِنْ وَاتِّقا فَسَلِمْ إِلَيْهِ الْأَمْرَ فِي الْفُؤُدِ وَالْمَحْظَى

يُدْبِرُكَ خَلَاقُ يُلْبِرُ مَقَادِرًا تُخْطِيكَ إِحْسَانَ الْغَائِمِ أَوْ تُحْظِي

وقال :

وَسِرْتُ نَعْمَرِي إِلَى قَبْرِي عَلَى مَهْلٍ وَفَدَ دَنَوتُ فَحَقَّ الْخَوْفُ وَالْمَهْمَعُ  
ما نَحْنُ أُمُّ مَا بَرَأَتَا عَالَمٌ كُثُرٌ فِي قُدْرَةِ بَعْضِهَا الْأَفْلَاكَ يَبْتَلِعُ

وقال :

نَدِينُ بِأَنَّ اللَّهَ وِزْرٌ وَحْوَافُهُ رَشَادٌ فَصَلَوَا الْوَيْرَفِ الدَّهْرِ وَالشَّفَعَهُ

وقال :

أَلْأَرْضُ لِلَّهِ مَا أَسْتَحْيِي الْحَالُونَ بِهَا أَنْ يَدْعُوهَا وَهُمْ فِي الدَّارِ أَخْيَافُ  
تَنَازَّعُوا فِي عَرَارِي فَبَيْنَهُمْ نَبْلُ حَطَامٍ وَأَرْقَاحٍ وَأَسْيَافُ  
إِنْ خَالَفُوكَ وَلَمْ يَجِدُكَ خِلَافَهُمْ شَرًا فَلَا بَأْسَ إِنَّ النَّاسَ أَخْيَافُ

أخياف : أي مختلفون ، ومنه : إخوة أخياف ، إذا كانت أمهem واحدة  
واباؤهم شتى ؛ فإذا كانوا لأب واحد من أمهات شتى ، قيل : هم أبناء علات .

وقال في معنى ما تقدم :

هُوَ الْفَلَكُ الدَّوَارُ أَجْرَاهُ رَبُّهُ كُلَّ مَا تَرَى مِنْ قَبْلِ أَنْ تَجْرِيَ الْفَلَكُ  
لَهُ الْعِزُّ لَمْ يَشَرِّكْهُ فِي الْمُلْكِ غَيْرُهُ فَيَاجْهُلُ إِنْسَانٌ يَقُولُ : لِي الْمُلْكُ

ومثله قوله :

وَيَقُولُ دَارِي مَنْ يَهْوَى وَأَعْبَدِي مَنْ ذَلِكَ عِبَادُهُ لِرَبِّهَا وَالدَّارِ

وقوله أيضا :

وَالْمُلْكُ لِلَّهِ مَنْ يَظْفَرُ بِنَيْلٍ غَنِّيٍّ بِرُدُودِهِ قَسْرًا وَتَضَعُنْ نَفْسَهُ الدَّرِّ كَمِنْ التُّرَابِ لِكَانَ الْأَغْرِيُ مُشَتَّرًا كَمِنْ

ذكر الإسحاقى فى تاریخه أن السلطان سليم العثمانى لما فتح مصر نزل بالروضة في مكان أعد له بالمقياس ، ونقل عن القطبى أنه رأى هذين البيتين مكتتو بین بخطه بأعلى المقاييس على الرخام الأبيض كتابة خفية لا تقاد تظاهر إلا بالتأمل ، ومرقوم تحتهما : كتبه الفقير سليم . ثم قال : ولعمرى إن كان هذان البيتان من نظم المرحوم فهمَا في غاية البيان والبراعة ، ونهایة في الشعر العربي الفصيح المنسجم ؟ وإن كان تمثل بهما فهمَا أيضاً مرتبة عالية في حسن التمثيل ولطف الاستحضار . انتهى . قلت : أما كونهما له فقد ثبت خلافه ؟ فلم يبق إلا أنه تمثل بهما . وما هو بكثير على فضل هذا السلطان واطلاعه . وسلطين آل عثمان ، وإن اشتهر عنهم قلة الاهتمام باللغة العربية ، فقد نبغ منهم جماعة فيها . منهم : السلطان محمد الفاتح ؟ وفضله في الاشتغال بالعربية غير منكوح . ومن شيوخه المولى خواجه زاده ،قرأ عليه مت عن الدين الزنجانى في التصريف ؟ وكانت الهماء تجتمع عندـه لـلـمنـاظـرـة ، وتعجبـه مـبـاحـثـهـمـ . ويـحكـيـ أنهـ كانـ فـيـ صـغـرـهـ غـيرـ مـهـتمـ بـالـطـلـابـ ، فـأـمـرـ وـالـدـهـ سـلـطـانـ مـرـادـ المـوـلـىـ شـمـسـ الدـيـنـ الـكـوـرـانـيـ بـالـتـشـدـيدـ عـلـيـهـ ، فـصـدـعـ بـأـمـرـهـ ، حـتـىـ ضـرـبـهـ مـرـةـ ضـرـبـاـ مـوجـعاـ ، وـلـمـ يـزـلـ بـهـ حـتـىـ خـتـمـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ فـمـدـةـ يـسـيـرـةـ . وـمـنـهـ : سـلـطـانـ مـرـادـ الثـالـثـ اـبـنـ سـلـيمـ الـمـتـوفـىـ سـنـةـ ١٠٠٣ـ . كـانـ أـجـلـ أـهـلـ بـيـتـهـ عـلـمـاـ وـأـدـبـاـ وـذـكـاءـ وـفـهـماـ . اـشـتـغلـ بـالـتـصـوـفـ وـبـرـعـ فـيـهـ ، وـنـظـمـ الشـعـرـ بـالـلـغـاتـ الـثـلـاثـ : الـفـارـسـيـةـ وـالـتـرـكـيـةـ وـالـعـرـبـيـةـ . وـمـنـهـ : سـلـطـانـ أـحـدـ بـنـ مـحـمـدـ حـفـيدـ سـلـطـانـ مـرـادـ الـمـارـ ذـكـرـهـ . كـانـ فـضـلـاـ وـوقـتهـ ، مـالـلـأـدـبـ وـالـمـاحـضـرـاتـ ، وـنـظـمـ الشـعـرـ بـالـتـرـكـيـةـ . وـمـاـ يـرـوـىـ لـهـ مـنـ الشـعـرـ الـعـرـبـيـ قـوـلـهـ :

ظَلَّىٰ يَصُولُ وَلَا وَصُولَ إِلَيْهِ جَرَحَ الْفَوَادَ يَصَارِمَ لَحْظَيَّهُ

مَا قَامَ مُعْتَدِلاً وَهَرَّ قَوَامَهُ إِلَّا تَهَشَّكَتِ السُّتُورُ عَلَيْهِ  
يَسْقِي المَدَامَةَ مِنْ سُلَافَقِ رِيقَهِ  
وَيَحْصُنَا بِالْمُنْجَرِ مِنْ جَفَنَيْهِ  
عَيْنَاهُ تَرْجِسُنَا وَأَسْ عِذَارَهِ  
رَيْخَانَنَا وَالْوَزْدُ مِنْ خَلْدَيْهِ  
يَا شَعْرُ فِي بَصَرِي وَلَا فِي خَدَهِ  
إِنِّي أَغَارُ مِنَ النَّسِيمِ عَلَيْهِ  
عَجَّبِي لِسُلْطَانِ يُعَزِّ بِعَذَالَهِ  
وَيَجُورُ سُلْطَانُ الْفَرَامِ عَلَيْهِ  
لَوْلَا أَخَافُ اللَّهَ ثُمَّ جَحِيمَهُ وَسَجَدْتُ يَنْ يَدِيهِ  
وَالْبَيْتَانُ الْأَخِيرَانُ مِنْ قَصِيدَةِ لَابْنِ رَزِيلِ الشَّيْعِيِّ، أَتَى بِهِمَا السُّلْطَانُ عَلَى  
سَبِيلِ التَّضْمِينِ .

### رجُمُحُ إلى شعر أبي العلاء

هُنْ دَلَائِلُ إِيمَانِهِ بِاللَّهِ ، وَتَقوِيَّضُهُ الْأَسْرِ إِلَيْهِ ، قَوْلُهُ :  
رَدَدَتُ إِلَى مَلِيكِ الْخَلْقِ أَمْرِي فَلَمْ أَسْأَلْ مَقْيَقَعَ الْكَسُوفُ  
فَكُمْ سَلِيمٌ الْجَهُولُ مِنْ أَمْنَاءِيَا وَعُوْجَلَ بِالْحِمَامِ الْفَيْلُوسُوفُ  
وَقَالَ :

وَالرُّوحُ طَائِرٌ تَحْسِنُ فِي سِجْنِهِ حَتَّى يَنْ رَدَاهُ بِالْأَطْلَاقِ  
سَيْمُوتُ تَحْمُودُ وَيَهِيلُكُ آلِكُ وَيَدُومُ وَجْهُ الْوَاحِدِ الْخَلَاقِ

وَقَالَ :  
فَلَا تَبْكُوا هَلَّ وَلَا تَبْكُوا أَزُولُ وَلَيْسَ فِي الْخَلَاقِ شَكٌ  
وَصَلُوا فِي حَيَاتِكُمْ وَزَكُوا نَحْنُ وَاسِيرِي فَهُنَّ لَكُمْ صَلَاحٌ

وَقَالَ :  
نَسَمَتْ رِجَالٌ بِالْمُلُوكِ سَفَاهَةٌ وَلَا مُلْكَتْ إِلَّا لِلَّذِي خَلَقَ الْمُلُوكَ

أَرَى فَلَكَا مَا دَارَ إِلَّا لِحِكْمَةٍ  
فَلَا تَنْسَ مَنْ أَجْرَى لِحَاجَتِكَ الْفُلَكَ  
وقال :

فَمَا يَخْلُدُنَ صُنْعُوكَ وَلَا مَلَكَ  
فَذَاكَ إِنْسَانٌ قَوْمٌ يُشْبِهُ الْمَلَكَ  
إِنْ يُرْسِلِ النَّفْسَ فِي الْدَّارِ صَاحِبَهَا  
وَمَنْ يُطَهِّرْ بِخَوْفِ اللَّهِ مُهْجَّتَهُ  
وقال :

فَازْجُ الذِّي هُوَ أَبْدَانِي وَإِيَّاكَ  
تُخْصِي خُطاكَ فَهَلْ تُخْصِي خَطَايَاكَ  
شِفَاءٌ مَا بِكَ أَعْيَانِي وَأَعْيَانِكَ  
مَالِي أَرَاثَ غَبِيَّاً لَسْتَ تَقْدِرُ أَنْ

مَعْوِلِي فِي كُلِّ حَالٍ عَلَيْكَ  
يَبْقَى لَهُ مُلْكٌ فَيَدْعُى مُلِينَكَ  
قَلَّتْ : مَهْلَا، لَيْسَ هَذَا إِلَيْكَ  
شَاءَ وَيُمْضِي فَازْجُرِي عَادِلَيْكَ  
وَالْفَلَكَ الْأَعْظَمُ فِيهَا فُلِينَكَ  
يَا خَالِقَ الْبَدْرِ وَشَمْسِ الضَّحَى  
وَكُلِّ مَلْكٍ لَكَ عَبْدٌ وَمَا  
قَدْ رَأَمَتِ النَّفْسُ لَهَا مَوْلَانَا  
إِنَّ الذِّي صَاغَكَ يَقْضِي بِمَا  
أَلْبَحَ فِي قُدْرَتِهِ نُفْتَنَةً

وَقَالَ :  
إِلَهَ الْأَنَامِ وَرَبُّ الْفَمَامِ

وَرَجَ الغَنِيَّ مِنْ رَبِّكَ الْمُتَعَالِ  
فَلَا تَسْأَلِ الْمَرءَ الْغَنِيَّ عَطَاءَهُ  
وَقَالَ :

يُقْدِرُهُ مِنْ مَلِينَكِ غَيْرِ مُنْتَقِلِ  
أَمَاتَرَى الشَّهْبَ فِي أَفْلَاكِهِ كَمَا أَنْتَقَلَتْ  
وَقَالَ :

نَمُوتُ لِأَنَّا حُلَفاءٌ نَقْصٌ  
وَيَبْسُقَ مَنْ تَفَرَّدَ بِالْكَمَالِ

وقال :

حِكْمَةُ تَدْلُّلٍ حَكِيمٌ قَادِرٌ مُتَفَرِّدٌ فِي عِزَّهِ بِكَمَالٍ

وقال :

تَوَهُّمُ بَعْضُ الْقَوْمِ وَهُمْ فَأَصْلُوَا يَقِينَ أُمُورِ بَاتَ يَتَبَعَّهَا الْوَهْمُ  
جَهَنَّمًا ، وَلَكِنْ لِلْخَلَاقِ صَانِعٌ أَوْ شَهْمٌ

وقال في رد تأثير الأشياء لله تعالى :

وَقَدْ يَأْمُرُ اللَّهُ أَكْهَمَ إِذَا نَبَأَ فَيُفْرِي وَقَدْ يَنْهَى الْحُسَامَ فَيَكْسِبُهُ

وزاد هذا المعنى وضوحا بقوله وأجاد :

لَوْيَنْطِقُ السَّيْفُ نَادَى لَيْسَ لِيَعْمَلُ قَضَى مَالِكُ الْأَفْلَاكِ أَنْضَافِي  
مَتَى أَرَادَ فَصَفْحَائِ الْلَّذَانِ هُمَا بَحْرُ الرَّدَى مِنْ حِيَاضِ الْمَوْتِ حَوْضَانِ  
وَإِنْ كَهَمْتُ فَأَمْرُ اللَّهِ أَكْهَمْنِي وَإِنْ مَضَيْتُ فَأَمْرُ اللَّهِ أَمْضَانِي

وقال :

مَا فِي بَنِي آدَمَ غَنِيٌّ  
بَلْ كُلُّهُمْ مُغْتَرٌ عَدِيمٌ  
يَغْنِي الدُّنْيَا مَا لَهُ فَنَاءٌ  
وَذَلِكَ الْوَاحِدُ الْقَدِيمُ

وقال :

رَأَيْتُ سَجَایَا النَّاسِ فِيهَا تَظَالَمٌ  
وَلَا رَيْبٌ فِي عَدْلِ الَّذِي خَلَقَ الظُّلْمَةَ

وقال :

فَسَادٌ وَكُونٌ حَادِثَانِ كِلَّاهُما شَهِيدٌ بِأَنَّ الْخَلَقَ صُنْعُ حَكِيمٍ

وقال :

أَبِالْقَدَرِ الْمُتَاجِ تَدِينُ جِنٌ تَسْمَعُ غَيْرَهَا شَيْءٌ الرَّجُومُ

وَتَعْلَمُ أَنَّ مَالَمْ يَقْضِي صَعْبٌ  
إِذَا دَرَأَ اللَّهُ يَنْفَدِدُ كُلُّ أَمْرٍ  
يَجْزُؤُ بِحُكْمِهِ مَوْتُ الْثَّرَّابِ  
وَكُمْ وَجْمَ الْفَقَى مِنْ بَعْدِ ضِحْكٍ

وقال :

إِذَا مَدَحُوا آدَمِيًّا مَدَحَ  
وَذَلِكَ الْفَنِيُّ عَنِ الْمَادِحِينَ  
أَلَّهُ سَجَدَ الشَّامِخُ الْمُشَمَّخُ  
وَمَغْفِرَةُ اللَّهِ مَرْجُونَةٌ

وقال :

أَدِينُ بِرَبِّ وَاحِدٍ وَتَجْنِبُ

وقال :

فَعِيشُوا فِي الْبَرِّيَّةِ خَامِلِينَا  
وَبِيَتُوا الْمُهَمَّتِينَ آمِلِينَا

إِذَا مَا شَنَثْتُمْ دَعَةَ وَخَفَضًا  
وَلَا يُعْقِدُ لَكُمْ أَمْلٌ بِخَلْقٍ

وقال :

بِوُدُّى وَلَكِنَّ الْمَهِيمَنَ أَمْطَانِي  
وَلَا حَارِمِي شَيْئًا إِذَا هُوَ أَعْطَانِي

بِمَطِيقِي الْوَقْتِ الَّذِي مَا امْتَطَيْتُهُ  
وَمَا أَحَدٌ مُعْطِيٌّ وَاللَّهُ حَارِمِي

وقال :

إِلَهُكَ تَرْجُو فَضْلَهُ وَأَلَاهُ  
وَدَامَتْ حَلَى مَرَّ الزَّمَانِ عَلَاهُ

لَعْنِي لَخَيْرُ الدُّخْرِي كُلُّ شِدَّةٍ  
وَلَا مَلِكٌ إِلَّا لِلَّذِي عَزَّ وَجْهُهُ

وقال :

تَهْبِجُهُ مَعْشَرَ لَيْلَاً وَنَهْنَاهُ  
وَفَازَ بِحِنْدِسٍ مُمْتَجِدُوهُ  
إِلَهُكَ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ جَمِيعًا  
فَلَا يَفْخَرُ بِشَيْءٍ مُوْجِدُوهُ  
وَرَبُّكَ أَنْجَدَ الْأَقْوَامَ حَتَّى  
بَنَى أَعْلَى الْقُصُورِ مُنْجِدُوهُ  
فَمَتَجَدَّهُ فَلَمْ يَخْسِرْ أَنَاسٌ  
أَنَابُوا إِلَيْكَ وَمَجْدُوهُ

ولنختم هذا الفصل بقوله :

تَشَابَهَتِ الْأَشْيَاءُ طَبْعًا وَصُورَةً وَرَبُّكَ لَمْ يُسْمَعْ لَهُ يُشَبِّيهُ  
هذه أقوال من يفهمه المتخرون يأنسـكار الإله ، سقناها إليك لتـذكر النـظر  
فيها المـرة بعد المـرة ، ثم نـكلـك إلى مـحاسبـة نفسـك ، ومحـاكـمة فـكرـك ؟ هل تـرى  
فيها غـير التـوحـيد والتـنـزـيه ، واجـلال اسمـه تعـالـى ، والـطـمع في رـحـمـته ، والـخـوف  
من عـقـابـه ، والـحـضـ على التـقوـى ، والإـنـسـكار على الـلـحـدين ؟  
ولا نـخـالـك بعد ذـلـك إـلا مـنـصـفـه ، إنـ كـفـتـ منـ الـخـاصـين .

## فصل في معتقده في النبوات والرسل

يتم الكثيرون أبا العلاء بمحاجة النبوات ، وعدم الإيمان بالبعث والنشور ؛ وكثيراً ما يعتمدون تحريف كلامه ، أو صرف ظاهره إلى غير مراده ، افتياً على عليه ، وانتصاراً لمدعاه . فضلاً عما وضوه على لسانه من الكذب والبهتان ، كما أثبتته نقلة أخباره . وقد مر بك حديثه مع القاضي المنازى ، وكيف اقتضبه الرواة ليثبتوا إلحاده وإنكاره للآخرة . ونقل ياقوت والسلوى عن القاضي أبي يوسف عبد السلام القزويني أنه قال : « قال لى المعرى : لم أهنج أحداً قط . فقلت : صدقت ، إلا الأنبياء عليهم السلام افتعير لونه . أو قال : وجهه . اه » ولا أدرى ماذا يثبته هذا الحديث أو ينفيه .

وإليك ما ذكره العلامة ابن الوردي في تمه المختصر ، وهو من أدق الباحثين في أمره . قال : « قال لى يوماً بعض أصحابى من الأمراء ذوى الفهم : كيف كان أبو العلاء فى اعتقاد البعث ؟ فأناشدته قوله :

فِيَا وَطَنِي إِنْ فَاتَنِي مِنْكَ سَابِقٌ  
مِنَ الدَّهْرِ فَلِيَنْعَمْ إِسَاكِنْكَ أَبَالُ  
وَإِنْ أَسْتَطِعُ فِي الْحَشْرِ أَتَكَ زَائِراً  
وَهِيَهَا ، لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَشْغَالُ  
وبلغنى أن بعضهم زعم أن أبو العلاء كان ينكر النبوات ، فهذا مردود بقول أبي العلاء :

عَجِبْتُ وَقَدْ جُزِّتِ الصَّرَاةَ رِفْلَةَ  
أَعْمَتِ إِلَيْنَا أَمْ رِفَاعَ ابْنِ مَرْيَمَ  
وقوله في شريف :

يَا ابْنَ الَّذِي يُلْسَانِيهِ وَبَيَانِيهِ هُدِيَ الْأَنَامُ وَنُزِّلَ التَّنْزِيلُ

عَنْ فَضْلِهِ نَطَقَ الْكِتَابُ وَبَشَّرَتْ يَقْدُومِهِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ  
وقال في الشريف أبي إبراهيم العلوى الموسوى :

يَا أَبْنَاءَ مُسْتَغْرِضِ الصَّفُوفِ يَبْذُرُ  
أَحَدَ الْمُسْتَغْرِضِ الَّذِينَ هُمُ الْأَغْرِيَةُ  
رَاضُّ مِنْ كُلِّ مَنْطِقٍ وَالْمَعَانِي  
وَالشَّخْصُ الَّتِي خَلَقَنَ حِسْيَاهُ  
قَبْلَ خَلْقِ الْمِرْيَّيْخِ وَالْمِيزَانِ  
قَبْلَ أَنْ تُخْلَقَ السَّمَاوَاتُ أَوْ تُأْتَ  
وَافَقَ أَسْمُ ابْنِ أَحْمَادَ اسْمَ رَسُولِ  
يَا أَبَا إِبْرَاهِيمَ قَصَرَ عَنْكَ اللَّهُ  
أَشْرِبَ الْعَالَمُونَ حَبَّكَ طَبَّعَا

وقوله :

أَيْدِيقُ مُعْجِزَاتِ الرَّشْلِ قَوْمٌ وَفِيهِكَ وَفِي بَدِيرِهِتِكَ أَعْتِيَارٌ  
انتهى كلام ابن الوردي . وما ذكره من الشعر منقول من سقط الزند .  
ولقائل أن يقول ما سلمكم تنتصرون للرجل بكلامه في سقط الزند ، وهو لم يقصد  
به بياناً لذهبته ، أو شرحاً لمعتقداته ، بل جرى فيه مجرى الشعراء في أفانيتهم  
الشعرية ، وأخرجه مخرج هياجمهم في كل واد من القول وضرب من الخيال ؛  
وهم كما تعلون يجزوون الكذب ، ويقولون ما لا يفعلون ؛ فشأنه في ذلك شأنهم  
ودعواه دعواهم ؛ فإذا مدح شريئاً لم يكن له بد من تقدير آباءه ، والإقرار  
بجدهم عليه الصلاة والسلام بالنبوة والرسالة ، تعظيمها لشأن المدح ؛ كما لا مندوحة  
له في الرثاء عن وصف ما تقيه المرئى من التكريم في جنات النعيم ، ليكون قوله  
مقبولاً لدى من يخاطبهم ، وأدعى للحظوة عندهم ، وإن لم يكن هو معتقداً له .

وما يقال في هذا يقال في غيره ، وإنما للز默كم أنه كان على غير ما تدعون له من الزهد والتقوى ، لما أثبتته في هذا الديوان من الغزل والتشبيه وبكاء الشباب والفنر ، وهي والزهد على طرق نقيض . فلو اقتصرتم على ما في لزوم ما لا يلزم ونحوه من الكتب التي وضعها لبيان فلسفته وأرائه ، لسلتم من مثل هذا النقد . ونقول في رد ذلك : ربما كان لما ذكرت وجه من الصحة ، إلا أننا لما رأيناكم آخذتم الرجل على بعض ما جاء في هذا الديوان ، واصطدر جنم به إلى الطعن في عقیدته ، مع أنه لا يخرج عن الغلو المألف للشعراء كما يذن به آنفًا — استجزنا أيضًا أن نمحجكم بما جاء فيه من صريح ذكر الحشر ، والإيمان بالرسل وإثبات المعجزات لهم عليهم السلام . وشنان ما بين حجتتينا . على أن ما ادعيةتموه لا يصح الحكم به على مطلق شعر يقوله الشاعر ، وإنما فالويل للشعر والشعراء بعدئذ .

\* \* \*

وبعد ، فإننا لم نحكم لأبى العلاء بصحبة إيمانه بالرسل والنبوات إلا من أقواله المثبتة لذلك ، المصرحة به . فلا ريب في أن ما يوهم في ظاهره نقيضها من أقواله الأخرى ، مؤول بما يحتمله لفظه ؛ وكثير منها لم يرد به الطعن على الأديان نفسها ، بل أراد أهلها ومنتظليها ، لتفريطهم فيها أو إفراطهم ، كما صرّح به في أقوال أخرى ، سنأتي عليها في هذا الفصل .

وقد رأيت بعض المتعصبين عليه يظفر بالبيت الموهم ، فيرويه فدًا من غير نظر لما قبله أو بعده . ولو تدبر ذلك اظهر له مراده ، ولم يجد سبيلا للطعن عليه . على أنا مع هذا لا نبرئه رحمة الله من بعض سقطات زلة بها لسانه ، ليس فيها جحد للنبوات ، ولكن ذكرها لا يخلو من شناعة . فكان الأولى له التفادي عن نظمها في هذا السبط . ولا مشاحة في عذر من أنكر عليه فيها ، وإنما

كلامنا فيمن يرميه بالإلحاد ، وهو براء منه ، بدليل ما ذكرناه من كلامه  
وما سند كره .

\* \* \*

أما من استدل على إنكاره النبوات ، وتحكيمه العقل في التحسين  
والتبنيج ، بقوله :

عَلِمَ الْكَائِنَاتِ فِي كُلِّ وَجْهٍ أَوْلَى عِنْدَهُ السَّمَاكُ صَبِّيَ  
خَالِقُ النَّبِيِّاتِ مَا يَتَغَابَى إِذْ تَبَدُّ لَكِنَّهُ ضَعِيفٌ غَبِيُّ  
أَيَّهَا الْفِرْسَ إِنْ خُصِّصْتُ بِعَقْلٍ فَاسْأَلْنَاهُ فَكُلُّ عَقْلٍ نَبِيٌّ

فقد أخطأ المرى ، ونكب عن سبيل القصد ، فإن مراده بقوله « فكل  
عقل نبي » أن العقل كاف في الإثبات والدلالة على وجود صانع لهذه الكائنات ،  
ولا عذر للعبد في جهله بخالقه ، مادام له عقل ينظر به ويستخبر به ، كما يدل عليه  
سياق الأبيات عند التأمل .

وهذه المسألة من المسائل التي قام فيها الخلاف بين أئمة الكلام ، وانقسم  
فيها أهل السنة إلى قسمين . فذهب جمهور الماتريدية وعامة مشايخ سير قند إلى أنه  
تعالى لم يبعث الناس رسولاً لوجب عليهم بعقولهم معرفة وجوده تعالى ووحدته  
وأتصفه بما يليق به من الحياة والعلم والقدرة وغيرها ، وكونه محدثاً لعالم ؛ وهو  
أيضاً أرجح قول الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه . وذهب جمهور مشايخ الأشاعرة  
إلى أنه لا يجب إيمان ولا يحرم كفر قبل بعث الرسل . ولا يرد على الأول أنه  
لو كان العقل حجة كافية ما أرسل الله الرسل ، ولاكتفى به ؛ لأنه يقال في جوابه :  
ما كان أصل البعث والجزاء مما يشكل على العقل وحده ، إلا بعظيم تأمل فيه ،  
وكذلك أنواع العبادات والحدود ونحوها لا تنال بمجرد العقل — كان إرسال

الله تعالى رسle و إِنْزَال كتبه ، لبيان ذلك . وأصل الخلاف إنما هو في الإيمان بالله ، لا في أحكام الشرائع . فإن قيل لو كان العقل كافياً في ذلك لاقتصار الشرائع على بيان ما ذكرتم ، ولم تتعرض لأحكام الإيمان بالله تعالى وتنزيهه ، واتصافه بصفاته اللاحقة ونحوها ، اكتفاء بدلالة العقل عليها . قلنا : كان ذلك لزيادة التكين وتمة البيان ، من قبيل توارد الأدلة وتعاقبها . فإنه تعالى لم يدعنا والبيان بأبيه واحدة ، بل من علمنا سبحانه بآيات متكررة . وكذلك لم يدعنا رسولًا واحدًا من أول الأمر إلى آخره ، واللحجة كانت قائمة بالواحد ، كما بقامت بنبيه عليه الصلاة والسلام إلى القيامة ؟ فلا يدل ذلك على أن الرسول الواحد أو الآية الواحدة لم يكونا حججًا كافية .

هذا محصل ما ذكروه في هذا المقام ، ولكل من الفريقين أدلة من الكتاب والسنة يحتج بها لمذهبها ، فاطلبها إن شئت في كتب الكلام ، خصوصاً فيما ألف منها في الخلاف بين الماتريدية والأشعرية ؟ وانظرها أيضاً في كتب التفسير عند قوله تعالى : « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً » .